





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



اكتوبر 1 **9 8** 3





محت وننحالتّه الزيّادي

ڟٵ۠ۿؚڔٙڰٵڹ۬ؽؾۘؽؙڬٳٳڵڒٮؽڵڵۿڵ ۊڡٷقف بَعْض المَنِيتَةِ رقين مِنْها

المنتنأة العامة للنتنر والتوزيع والاعلات طرابلس ـ الهاهيرية العربية الليحم الشعبية الاسراكية الطبعــة الأولمـــ 1392 و. 1983 م

 المنشأة العامه للنسّا والتّهز بع واللعلات طرابلس ـ الهاهيرية العربية السِّية الشّعية الاشتراكية

## بسلمالالحمر الرحم

أذِنَ للذي نَيْقَالْلُونِ بَأَنّهُ مَظُ الْمُواوانِ اللّهَ عَلِيْصَمْرِهِ مِ الْمَدِيرِ وَ الذِينَ أُخْرِجُوا من ديارِهِم عَلِيْصَمْرِهِ مِ الدَينَ أُخْرِجُوا من ديارِهِم بِعَنْ اللّه اللّه وَلُولا دَفْعُ اللّه النّاسَ بَعَضَهُم بَعِضْ لَمَدَمَت صَدَوامعُ وبَيع اللّه النّاسَ بَعضَهُم بَعِضْ لَمَدَمَت صَدَوامعُ وبَيع وصَلُواتٌ وَمَسَاجدُ يذكر فِيها اللهُ اللّه كثيرًا وَصَلُواتٌ وَمَسَاجدُ يذكر فِيها اللهُ اللّه كثيرًا ولينصرَنْ اللّهُ من بنصرُه إنّ اللّه لفَويّعَ زيز ولينصرَنْ اللّهُ من بنصرُه إنّ اللّه لفَويّعَ زيز ولينصرَنْ اللّهُ من بنصرُه وانّ اللّه لفَويّعَ نيز

يَا أَهْلَ الْهِكَ الْبِهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَاللّهِ وَالنَّمْ اللّهُ وَلَا اللّهِ وَالْمُ اللّهُ اللّهِ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللل



# بــــالىدالرحم!إرحم **تىسىدىر**

### [ للأستاذ الدكتور محمد الدسوقي ]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسل الله المجمعين . وبعد فإن الدارس المنصف لتاريخ الرسالات الالهية يلاحظ ان كل الرسالات التي سبقت الاسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم قد أوتيت من قيل أهلها والمؤمنين به . فدخلها على أيديهم التحريف والتبديل في الأصول والفروع ، ولكن الاسلام لم يؤت من قيل أهله وإنما من قبل غير المؤمنين به ، بيد أن ما قام به هؤلاء من محاولات مضادة تتغيا تقويض الإسلام لم تؤثر في هذا الدين ذاته ، فمصدره الأساسي وهو القرآن الكريم لم ينله ما نال الكتب السابقة وظل محموظاً من التغيير والتحريف ، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين هو إنا له لحافظون ﴾ .

والذي لا مراء فيه أن تلك المحاولات المضادة كان لهـا أثرها السِّيء بين المسلمين أنفسهم وبين غيرهم أيضاً . أما المسلمون فقد تأثر بعضهم بما صدر من آراء تبغى تشويه الاسلام وزعزعة ثقة المسلمين بأنفسهم ، وكانت جهود نفر منهم في مقاومة تلك الآراء لا تسلم من الأفكار غير الاسلامية ، واثمر هذا في تاريخ الفكر الاسلامي القديم والحديث تراثاً يضطرب بالنظريات والاتجاهات التي تبعد قليلاً أو كثيراً عن روح الاسلام وأصالة مبادئه وتعاليمه .

أما الأثر السيَّىء للمحاولات المضادة بين غير المسلمين فتبدو في النظر إلى الاسلام نظرة كريهة ، وفي اعتبار المسلمين امة وثنية ، وقد نجم عن ذلك العزوف عن الايمان بهذا الدين ، على الرغم من حاجة الناس إليه في العصر الحاضر ، عصر افلاس الحضارة المادية في أن تكفل للبشرية الأمن النفسي والتعاون العادل ، ومناصرة المظلومين ومناهضة القاسطين .

ويعد الاستشراق من أخطر الظواهر المضادة للاسلام ، فيا عرف التاريخ الانساني عبر مراحله المتباينة أن طوائف من أمم مختلفة تنوعت ثقافاتها ولغاتها وأعرافها التقت كلمتها واتحدت اهدافها حول العكوف على دراسة دين لا تؤمن به لا تريد من ذلك معرفة الحق من الباطل ، وإنما تريد العمل دون كلل من أجل تشويه الاسلام وحضارته الانسانية الرائعة .

إن تيار الاستشراق يندفع بقوة منذ هزم صلاح الدين الصليبيين في « حطين » وهو في اندفاعه لا يحمل غير الغشاء والزبد الذي يذيع بين المسلمين الفساد والضرر ، وقد ينتهي بهم الى غربة كاملة عن دينهم ما لم يقفوا أمام هذا التيار سدا منيعاً يحول بينه وبين ما يسعى اليه . صحيح أن بعض المستشرقين قال كلمة الحق ، ولكن هؤلاء كانوا كصوت خافت وسطعاصفة عاتية فلم يكن لموضوعيتهم وصدقهم مع أنفسهم تأثير ذو بال ، وظل التيار الاستشراقي بغثائه مندفعا حتى الآن نحو غايته الفاسدة .

وكانت الفتوحات الاسلامية من أهم القضايا التي شغلت الفكر الاستشراقي ، وقد كان لهذا الفكر وما يزال موقف العام من تلك الفتوحات ، إنه موقف الاتهام الباطل والحكم الجائر بانها ظاهرة استعارية ، وليست فتوحات في عالم القصيدة وبناء الشخصية الانسانية بناء متكاملا يستجيب لسنة الفطرة ، فهو يجمع بين الروح والمادة والفردية والجاعية والدنيا والآخرة .

وهذه الدراسة التي قام بها الاخ محمد فتح الله الزيادي محاولة جادة لمناقشة الفكر الاستشراقسي في الفتوحسات الاسلامية ، لقد عرض لآراء المستشرقين وفيق تصينيف موضوعي لها، وتناولها بالنقد العلمي البذي لا يعرف

التحامل ، ولا يبخس الناس شيئاً ، ولا يضيره أنه لم يستقرىء كل الآراء ، فذلك أمر لا سبيل إليه ، ويكفيه أنه جمع منها مااستطاع الوقوف عليه ، وتمكن به من أن يلقي ضوءاً كاشفا حول موقف الاستشراق من الجهاد في سبيل الله .

وأطمع أن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات تعرض للفكر الاستشراقي من جميع أقطاره ، كي لا يصل إلى غايته أو يحقق مآربه .

إن الأمة الاسلامية اليوم في جهاد فكري لا يقل ضراوة عن الجهاد المسلح ، بل إن ذلك الجهاد هو الخطوة السديدة لأن يؤتى بذل الدم أكله في النصر واعلاء كلمة الله في دنيا الناس .

والله يتولانا جميعا بهدايته وتوفيقه .

د . محمد الدسوقي
 كلية التربية : جامعة الفاتح

طرابلس في 8 / 3 / 83 .

#### المقدمكة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي كان معلم هذه الأمة الأول ومرشدها الى سواء السبيل ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الذين حملوا مشعل نور الرسالة الاسلامية من بعده ، وساروا بها الى مشارق الأرض ومغاربها ينيرون بها قلوبا مظلمة ويرشدون بها عقولا ضالة ويقيمون بها حياة عادلة هائة .

#### وبعد :

فمنذ أن بعث لله سيدنا محمدا على مبلغا بالدعوة الاسلامية وداعيا اليها ، وهذه الدعوة تتعرض لشتى ألوان المعارضة والمقاومة ، وقد تعددت مظاهر هذه المعارصة وتنوعت عبر فترات التاريخ الاسلامي ، واختلفت باختلاف الظروف والأحوال والبيئات ، فبينا كانت ايذاء شخصيا ومناوشات متنوعة في العهد المكي ، كانت مجابهة مسلحة وصداما قويا في فترة ما بعد الهجرة ، وبينا كانت بين المسلمين وبين قريش

وحلفائها في الفترة الأولى ، نراها تتسع بعــد تأسيس الدولــة الاسلامية لتشمل أعظم قوتين في ذلك الوقت الفرس والروم ، وهكذا استمر الصراع بين الدولة الاسلامية وبسين المعاندين والمكابرين في كل عصر من عصور التاريخ الاسلامي ، الى أن أطل القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري والذي شهد تفجر أكبر صراع بين المسلمين وبين المسيحيين الذين سنوا حربا تحمل الصليب شعارا لها وتتحرك من حقد صليبي كنسي سافر ، وكان الهدف من الحروب الصليبية هو الاستيلاء على أماكن المسلمين المقدسة وتدميرهم وابادتهم حتى لايقف الاسلام كما يظنون حجر عثرة أمام تقدم وانتشار المسيحية ، هدا بالإضافة الى الأطماع الاستعمارية التي حركت نبلاء أوربا وحعلتهم يتحالفون مع الكنيسة ، ويتظاهرون بحماية الصليب ، وما كانوا في الواقع يريدون إلا السيطرة على الأرض ، والاستحواذ على كنوز الشرق ، ولكن حملاتهم هذه باءت بالفشل وبقي الاسلام قويا شامخا يتقدم وينتشر بين أمم العالم في سرعة مذهلة ، وبمجهودات بسيطة لا ترقي إلى ما ينفقه المسيحيون على حملاتهم التبشيرية ولا تقاس بهما . وبانتهاء الحروب الصليبية تغيرٌ أسلبوب المجابهة للاسلام ،

وأصبح يعتمد الحرب الفكرية التي تعتمد على التشويه والتشكيك في محاولة لتنفير الناس من اعتناق هذا الدين وبالتالي وقف تقدمه وانتشاره . ولقد تحمّل المستشرقون وأعوانهم مهمة تحقيق هذا الهدف ، وذلك عن طريق دراسة الاسلام فكرا وثقافة وحضارة ، ثم الكتابة عن هذا الدين واظهاره في قالب يبرز المفهوم الغربي ويخفي ما عداه من المفاهيم .

من هنا تبدو خطورة عمل المستشرقين وأبحاثهم ، ومن هنا أيضا تبدو ضرورة اليقظة والانتباه منّا نحن المسلمين ، الذين يجب علينا أن نتتبع أبحاث الغربيين التي تمتلىء بها الصحف والمجلات والكتب يوميا ، ونتقبّل ونشكر ونشجّع ما كان صحيحا ، ونرفض وندحض ما كان باطلا كاذبا .

من هذا المنطلق فقط كان اختياري لهذا الموضوع الذي نال من سهام المستشرقين ورماحهم الكثير ، وقد تفضل كشير من علمائنا بالرد على حزئيات مختلفة في هذا الموضوع ، ولكنها كانت كلها تأتي عرضا وفي ثنايا أبحاث أخرى ربما في كثير من الأحيان لا ينتبه القارىء لها ، وللذلك فقد اخترت هذا الموضوع مع علمي بأنه موضوع واسع ولا سبيل الى حصر كل الآراء التي صدرت عن المستشرقين فيه لكثرتهم من جهمة

ولتعدد جنسياتهم وعقائدهم ولغاتهم من جهة أخرى ، ولكن الموضوع مع صخامته وصعوبة استقراء الآراء فيه لا تكاد اتجاهات المستشرقين حوله تخرج عها انتهت اليه هذه الدراسة ، وكانت الآراء التي أثبتها هنا أمثلة ونماذج ولعلها تغني عن سواها مما يدور في فلكها .

وقد اتبعت في دراسة هذا الموضوع خطة تقوم على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . ففي التمهيد تحدثت عن عالمية الدعوة الاسلامية ، وذلك لأن ايمان المسلمين بأن دينهم ورسالتهم ليستا للعرب وحدهم وانما هما للعالم أجمع هو الذي دفعهم الى تحمل المخاطر والأعباء ومواجهة الجيوش وترك الأهل والمال والولد ، مستهدفين قبل كل شيء تكسير كل حاجز يقف أمام وصول الدعوة الاسلامية الى شعوب الأرض ، وفي التمهيد أيصابينت أن بعض المستشرقين لا يسلمون بعالمية الدعوة الاسلامية ، وقد أوردت عددا من آرائهم وحاولت تفنيدها ، ولما كان المستشرقون وحركتهم الاستشراق يحتلون نصيبا وافرا في هذه الدراسة فقد خصصت الفصل الأول لدراسة تاريخ في هذه الحركة وأهدافها ووسائلها وتطورها عبر مراحل تاريخها ، ثم انتقلت في الفصل

الثاني الى توضيح وجهة النظر الاسلامية حول الحرب والفتوح الاسلامية ، وقد قسمت هذا الفصل الى مبحثين ، الأول : وفيه تحدثت عن الظروف والأحوال التي سادت العالم قبل ظهور الدعوة الاسلامية وما لذلك من أثر في إقبال الناس على اعتناق الاسلام ، والثاني : وفيه تحدثت عن فكرة الحرب ونظرة الاسلام اليها والى مسبباتها ، وبيّنت أيضا الأسباب التي ساعدت الاسلام على الـذيوع والانتشار ، وقد أخذت في دراسة هذا الفصل بالايجاز والاجمال دون الاسهاب والتفصيل .

وفي الفصل الثالث عرضت آراء نفر من المستشرقين في انتشار الاسلام وحركة الفتوح الاسلامية ، وحاولت تفنيدها والرد عليها ، وقد أومأت آنفا الى أن حصر الآراء في هذا الموضوع أمر متعذر إن لم يكن مستحيلا ، وأضيف إلى ما أسلفته أني اعتمدت على ما كتب من آراء المستشرقين أو ما ترجم منها الى العربية أو الانجليزية ، الأمر الذي فقدت معه الكثير من تلك الآراء التي لم تحظ بالترجمة الى هاتين اللغتين ، وإذا أضفنا الى العائق الأول عائقا آخر وهو النقص الكبير في المراجع وخصوصا الدوريات منها ، فإن الهوة تتسع والأمر

يزداد صعوبة ، ذلك أن استقصاء وحصر آراء المستشرقين في مثل هذه الظروف يصبح أمرا مستحيلا .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مراجع متنوعة ، منها ما يتصل بالتاريخ ومنها ما يتصل بالفقه والحديث والتفسير ، ومنها ما يتصل بآراء المستشرقين وهي مبثوثة في دراساتهم ومؤلفاتهم .

وفي الخاتمة أثبت أهم النتائج التي استطعت الوصول اليها ، وقدمت بعض المقترحات التي تتعلق بدراسة غير المسلمين للاسلام .

والله ولي التوفيق

محمد فتح الله الزيادي طرابلس15- 2-1982 م rerted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

عَالمَيْة الدَّعُوة الاسلاميَّة ومَوقف المستشرقين منها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكل دين من الأديان أو عقيدة من العقائد ـ ساوية كانت أو أرضية ـ أهداف تسعى الى تحقيقها ، وغايات تنشد من أتباعها الوصول إليها . . . . ، والدين الاسلامي كغيره من الأديان الساوية التي سبقته يتفق معها في وحدة الأديان ومنبعها الأول وهو كونها من عند الله سبحانه وتعالى ، وأنها ترمي كلها الى سعادة البشرية ، وتخليصها من كل شوائب الوثنية ، وطوعا لذلك فان الاسلام ليس بالدين الجديد ، وإنما هو استمرار وتجديد للوحي الذي أنزله الله على نوح ومن بعده على بقية الأنبياء ، وإذا كان الناس في زمننا هذا يرون أمامهم أديانا مختلفة فإنما يرجع ذلك الى تحريف أتباع الأنبياء للذه الأديان بعد وفاة هؤلاء الأنبياء (1) .

وإذا كان الاسلام يتفق مع بقية الديانات التي سبقته في وحدة الأديان ومصدرها الإلهي ، فانه يختلف معها في كونه الدين النهائي الخاتم لجميع الأديان ، كما أن نبيه محمدا على هو الخاتم لجميع النبيين ، وإذا كان ذلك كذلك فإن الدين

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان ( مهمة السدين الاسلامي في العالم ) ـ محمد فريد وحدي ـ مجلة الأزهر ـ العدد 4 ـ ربيع الثاني 1352 هـ/ القاهرة .

الاسلامي يعتبر هو الغاية القصوى لكل الأديان التي سبقته ، وقديما قال علماء الأخلاق: إن الغاية تتصور من المبدأ وتكون هي الباعث على السير اليها ، ولذلك أراد لله أن يؤمن جميع الأنبياء بخاتمهم ، وأن يكلفوا أتباعهم بالايمان به ، حثا لسير الجماعة البشرية الى الكيال المنشود (۱۱) .

ولم يكن الاسلام خاتما للدّيانات السّابقة فحسب ، بل إنه انفرد أيضا بخاصّية أخرى لم يتميّز بها أيّ دين سابق له ، وهذه الخاصّية تتمثل في كونه دينا عامّا أنزله الله على سيدنا عمد عمد عمد من اليقوم بتبليغه الى الناس كافّة ، عربا وعجما ، بيضا وسودا ، انسا وجنّا ، وتبعا لهذه المهمّة فان الاسلام اختلف عن غيره من الديانات الأخرى بأنّه دين صالح لكل زمان ومكان ، وأنّه مساير لكل العصور مهما اختلفت نواحي الحياة فيها ، وهذا كما أومأت آنفا شأن الدين الذي اقتضت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يكون غاية لكل الأديان التي خلت قبله .

وقبل الكلام عن عالمية الدعوة الاسلامية تجدر الاشسارة

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان ( الاسلام وحده هو دين الانسيانية الراشيدة ) ـ د . الشامي محمد السيد ـ مجلة كلية اللغة العربية ـ العدد 2 ـ سنة 1974 م ـ ص 50 ـ ليبيا .

الى أن لقب العالمية والانسانية أصبح شعارا يطلق على كل دعوة جديدة، بهدف تحسينها لدى الشعوب وخاصة النامية منها حتى تكون دافعا لاعتناقها والسير في ركابها، وهي فكرة يتبناها الاستعار الغربي، خدمة لمآربه وتحقيقا لأغراضه، فهي فكرة حق أريد بها باطل. ولكن اطلاق صفة العالمية على الدعوة الاسلامية ليس محض خيال، أو ادّعاء يقصد به خدمة أغراض أحرى، بل إنّه حقيقة واقعة تثبتها المعجرة الخالدة وهي القرآن، كما تثبتها الأدلّة العقلية والنقلية التي سأحاول الحديث بإيجاز عنها في السطور التالية.

إنَّ العقيدة التي يمكن أن نطلق عليها صفة العالمبة هي : ( العقيدة العامّة الشاملة الفطريّة الواضحة التّي تسعى لسعادة الانسان كفرد والانسانيّة كمجموع ) (۱) ، وطوعا لهذا التعريف يجب أن تكون العقيدة عامّة وشاملة وواضحة ، تراعي في الانسان فطرته وقدراته وامكاناته ، وتسعى لتوجيهه في حياته كفرد ، ولتوجيهه الى كيفية التّعامل

 <sup>(1)</sup> من مقال بعنوان ( نطرة في عالمية العقيدة ) ـ أبو جهاد ـ مجلة حضارة الاسلام ـ العدد 1 ، 2 ـ السنة 8 ـ ربيع الأول والثاني 1387 هـ/ يونيو يوليو 1967 م ـ ص 129 .

مع بني جنسه ، ومع جميع ظواهر الكون الأخرى حتى تتحقق في النهاية سعادة الانسانية أفرادا وجماعات . فالعقيدة يجب أن توضّح للانسان فكرة الوجود ، وجود الخالق ووجود المخلوق حتى تلبى حاجة الانسان الملحّة في معرفة خالقه ، والتي تساءل الانسان عنها منذ أن خلق ، كذلك يجب أن تهتم العقيدة الموصوفة بالشمولية بجميع جوانب الانسان الروحية والماديّة ، وإغفال جانب والاهتام بجانب آخر ليس من سهات العقيدة الشاملة ، وهو جمود فكري وعقلي لا مبرر له ، وإذا كان المراد من العقيدة هو الاهتام بالانسان وضبطها لسلوكه فان أهم ميزة يجب أن تنعت بها هي ألا تكون نظرية بحتة لا تتصل بالواقع ولا تتفاعل معه ، لأن ذلك يجعلها بعيدة عن الواقع العملي ، وغير ميسورة التطبيق (۱) .

واعتادا على ما تقدّم يمكن أن نقرّر أن العقيدة الاسلامية هي عقيدة شاملة وعامّة ، ذلك لأنها خاطبت في الانسان فطرته التي خلق عليها ، وحققت له نظاما دقيقا لحياته ، وأجابت عن كل تساؤلاته الروحيّة والعقليّة ، واهتمت بتربية عقله وفكره ووجدانه ، أي أن العقيدة الاسلاميّة تميّزت

<sup>(1)</sup> نطرة في عالمية العقيدة ـ أبو جهاد .

بثلاثة مبادىء أساسيّة:

- 1 ـ تفسير روحي لحقيقة العالم .
  - 2 ـ تحرير روحي لذات الفرد .
- 3 إقامة نظام من المبادىء العالمية توجّه تطور المجتمع الانسانى على صعيد روحى ومادي معا(1).

واذا أردنسا جلاء الأمسور وتسأكيد عالمية الدعسوة الاسلامية ، فان المقام يحتم علينا توضيح ثلاثة أمور لها علاقة وطيدة بهذه المسألة : \_

- 1 ـ طبيعة المعجزة التي أيّدالله بها نبيّه محمدا ﷺ .
  - 2 الأصول العامة التي قرّ رها الاسلام.
    - 3 ـ طبيعة الخطاب في الآيات القرآنيّة .

أمّا الأمر الأول فإن الأنبياء الذين بعثهم الله قبل سيدنا محمد على كانت معجزاتهم \_ بوجه عام \_ حسيّة ، فهي وإن تباينت من حيث صورتها جمع بينها المظهر المادي المشاهد ، فمعجزة عيسى كانت إبراء الاكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله ، ومعجزة موسى كانت انقلاب العصى حيّة تلقف ما

<sup>( 1 )</sup> الاسلام صرورة عالميّـة ــ زاهر عرب الزغبي ــ الهيئة المصرية للتأليف ــ 1971 م ــ القاهرة .

بأفك به سحرة فرعون ، وكانت أيضا انفلاق البحر وخروج يد موسى من جيبه بيضاء للناظرين ، وكانت معجزة ابراهيم في نجاته من الحرق الخ . فتلك المعجزات كانت كلها حسية ذات أثر مادى مرئى ، وكانت أيضا معجزات شخصيّة ترتبط بحياة النَّبي وتؤكَّد صدقه في حال حياته ، فاذا توفَّاه الله أصبحت خبرا يروى وتاريخا يسطّر ، هكذا كانت معجزات الأنبياء الذين خلوا قبل بعثة محمد على ، ولكن حين ظهر الاسلام كانت معجزته من نوع آخـر ، حيث أيـّد الله نبيّه محمدا على بعجزة القرآن الخالدة، التي حفظها الله من التغيير والتبديل ﴿ إِنَا نَحِنْ نَزَلْنَا الذِّكُورُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴾ (1) ، وقد تميّزت معجزة القرآن بأنهًا معجزة غير شخصيّة ، بعني أن وجودها ليس مرتبطا بوجود النبي فها هو القرآن الكريم لا زال بيننا سليما كما أنزلـه الله على نبيَّه على الرغــم من مرور مشـات السنوات على وفاة الرسول عليه السّلام (2) ، كذلك تميّزت معجزة القرآن الكريم بأنهًا معجزة عقليّة تحض العقل الانساني على النَّظر والتدبّر واتخّاذ هذا وسيلة للايمان الصادق ، ومن ثم

<sup>(1)</sup> الآية 9 من سورة الححر .

<sup>(2)</sup> في الثقافة الاسلامية ـ د . محمد الدسوقي ـ منشورات جامعة العاتح ـ طرابلس/ليبيا ـ ط 2 ـ سنة 1977 م .

كان نفي الاكراه في الدين آية من آيات احترام العقل الانساني ، وعدم إكراهه على الايمان دون اقتناع وتصديق ، ولعل مرد ذلك الى أن العقل الانساني وقت نزول القرآن كان قد بلغ درجة من الاستعداد لتقبّل تلك المعجزة الخالدة ، فضلا عن أن تميّز هذه المعجزة بالعقلانيّة يوحي بأنها جاءت للناس قاطبة ، لأن العقل صفة انسانيّة وقدر مشترك بين أبناء البشرية قاطبة .

وفي الأمر الثاني أقول: إن الأصول العامّة التي شرعها الله لعباده في هذا الدين تنبىء على أنّه الدين النهائي، وأنّه الدين الذي أراد الله أن يكون دين البشريّة كلها، ذلك لأن هذه الأصول تميّزت بأنّها أصول ترسىء دعائم المجتمع السعيد الذي تتحدّد فيه العلاقة بين الانسان وخالقه، وبين الانسان وأخيه الانسان، ومن أهم هذه الأصول:

1 ـ تنزيه مقام الألوهية من كل ما شابها من خرافسات وأباطيل ، فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد ، وهمو وحده مسيّر الكون ومدبّره ، إليه وحده نتوجه بالعبادة والشكر ، لا نخشى أحدا غيره ولا تنحني جباهنا إلاً له ، لا وسيطبيننا وبينه ،

اليه الملجأ والمآب.

2 ـ تربية ضمير المسلم على الاخلاص في كل حركاته وسكناته لله تعالى يقدم أعماله كلِّها دون أن يطلب جزاء أو شكورا ، ودون الخوف من عقباب أحمد فردا كان أو دولة ، يقدم أعماله وهو عالم بأنه سيقف بين يدى خالقه خمس مرات كل يوم يراجع فيها حساباته مع ربّه ، يطالب منه العفو والمغفرة عن الخطأ ، وينال منه الرضا والقبول عن العمل الصالح<sup>(1)</sup>.

3 ـ تقرير المساواة العامة بين جميع أفراد البشر ، فلا سيَّـد ولا مسود ، ولا حاكم ولا محكوم ، بل الكل في نظر الاسلام سواء ﴿ يَمَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خُلَقْنُسَاكُمُ مِنْ ذَكُرُ وأَنْسَى وجعلناكم شعوبا وقبائيل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم المالي وهذه المساواة الكاملة محيت كل السلطات التي تعارف عليها الناس قبل ظهور الاسلام ، فالسلطة

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان: (الأهداف الكبرى لرسالة الاسلام) ... مصطفى السباعي - مجلة حصارة الاسلام - عدد 1 - سنة 7 - ربيع الأول 1386 هـ/ 19 يونيو 1966 م ـ ص 11.

<sup>( 2 )</sup> الآية 13 'من سورة الحجرات .

الرّوحية المتمثّلة في رجال الدين والتي طالما سامت الناس ألوانا من الخسف وألبستهم لباس الذل لم يعد لها محل في المجتمع الاسلامي ﴿ إني قريب أجيب دعوة الدّاعي اذا دعان ﴾ (۱) ، والسلطة الحكوميّة المتمثّلة في السادة والـزعاء والقياصرة الـذين كانوا يتوارثون السلطة ويحتكرونها بينهم ، لم يعد لها وجود في المجتمع الاسلامي أيصا ، بل الكل يتشاورون في كل ما يلم بأمور حياتهم ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (2) ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (3) ﴿ وهكذا اعترف الاسلام بحرية الانسان وكرامته وحقه في العيش عزيزا لا يخضع لسلطان أحد إلا سلطان الخالق عزّ وجلّ .

4 \_ تحميل الانسان كافة المسئوليات الملقاة على عاتقه ، واشعاره بعظم الرسالة التي كلف بها ، وأنه مجازى على كل ما يقدمه خيرا أو شرا ، وأن مناط سعادته في الدنيا والآخرة مرهون بما يقدمه من عمل ، حيث لا تنفع يوم القيامة شفاعة ولا قرابة ولا وساطة ، ﴿ كُلُ نَفْسَ بَمَا كُسَبَت

<sup>(1)</sup> الآية 186 من سورة البقرة .

<sup>( 2 )</sup> الآية 38 من سورة الشورى .

<sup>( 3 )</sup> الآية 159 من سورة آل عمران .

رهينة ﴾<sup>(1)</sup> ﴿ وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى ﴾ <sup>(2)</sup> .

5 - يقرر الاسلام أن العقل مناط التكليف ومصدر التمييز بين الحق والباطل ، وأنّه قسطاس الحكم وفيصل التفرقة بين المشتبهات ، وبما أن الناس جميعا يتفقون في مقتضيات الفطرة ويختلفون في الغرائز الطبيعية ، فان ذلك يجعلهم محتاجين لحكم ومقوم ، ولا سبيل لأن يكون الحكم غير العقل ، ولذلك حثّ الحق تبارك وتعالى على تكميله بالنظر والتفكر والتدبّر ﴿ إِنّا أنزلناه قرآنا عربيّا لعلّكم تعقلون ﴾ (3) . ﴿ وتلك الأمثال نضر بها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون ﴾ (4) ، وبهذا الأصل حرَّر الاسلام العقول من أسر الخرافات والأساطير البالية ، وأمر المسلم بأن ينمّي عقله بالنفكر في ملكوت الله وخلقه ، ففي ذلك سعادة وتربية للنفس ورقي بها الى أعلى الدرجات .

ولا شك أن اهتهام الاسلام بالعقل ، ودعوته الى تنميته بالتفكير والتدبّر راجع الى كون الاسلام دينا عاما لجميع أفراد

<sup>( 1 )</sup> الآية 38 من سورة المدّثر .

<sup>(2)</sup> الآية 39 منّ سورة النجمّ .

<sup>(3)</sup> الآية 2 من سورة يوسف .

<sup>( 4 )</sup> الآية 43 من سورة العنكبوت .

البشرية ، وصالحا للتطبيق في كل زمان ومكان ، واذا كان الأمر كذلك فان الاسلام قد قرّر أحكاما عامّة وشرع تشريعات مجملة ، ثم ترك تفصيلها وتقنينها للمجتهدين في كل عصر حتى يستطيعوا تكييف الاطار العام الذي رسمه الاسلام مع مقتضيات كل زمان ، وكمثال على ذلك قرّر الاسلام مبدأ عاما للحكم الاسلامي يقوم على الشورى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (١) ، ثم ترك تطبيق ذلك المبدأ مفتوحا بحيث يمكن تكييف ذلك المبدأ مع كل عصر ، وقد رأينا عبر مراحل التاريخ الاسلامي تطبيقات متعدّدة لهذا المبدأ لا تزال خاضعة للتغيير حتى يومنا هذا .

وحين يترك الاسلام للعقل حرية الاستنباط والاجتهاد فان ذلك يجب أن يكون في اطار الدائرة العامة التي رسمها الاسلام حين قرّر أصولا للشريعة الاسلامية لا يمكن المساس بها ، في حين ترك المجال مفتوحا في إعمال العقل في الفروع التي تندرج تحت هذه الأصول ، فالعقل لا يمكن له أن يناقش في كون المسكر حراما ، ولا يمكن له أيضا أن يعترض على علّة تحريم الخمر ، ولكن يمكن للعقل أن يناقش ماهية الأنواع التي

<sup>(1)</sup> الآية 38 من سورة الشورى .

يكن أن تكون مسكرة ، فتلك مسألة \تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، فيا هو مذهب للعقل الآن لم يكن موجوداً في عصر النبي ﷺ ، ولو ترك الاسلام الانسان رهين النص لأجاز الكثير من مسكرات العصر الحديث وهو بالطبع أمر لا يقرّه الاسلام ولا يرتضيه لأتباعه . ولقد أدرك الرسول على أهمية العقل ودوره في استنباط الأحكام ، فكان أن شجَّع أصحابه على الاجتهاد في المسائل التي تجدّ عليهم ، ومن ذلك ما رواه البغوى عن معاذ بن جبل أن الرسول على لما أرسله إلى اليمن قال: كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال: أقضى بكتاب الله ، قال : فان لم تجد في كتاب الله ، قال : فبسنّة رسول الله ، قال : فان لم تجد في سنّـة رسول الله ، قال : أجتهـد رأى ولا آلو، قال: فضرب رسبول الله على صدره وقبال: الحمد لله النبي وفق وسول الله الذي وفق رسول رسول الله لما يسر رسول الله مِلَا يَرضي رسول الله (١) . وفي هذا دليل واضح على أن المسلمين يجب أن يجتهدوا في الأمور التبي تجد في حياتهم ، والتي لم يرد فيها نص واضح ، ومن هنا عرفت الشريعة الاسلامية قاعدة تغير الأحكام بتغير الزمان ، وعرفت (1) رواه الامام أحمد في صحيحه -ج 5 مط . دار صادر والمكتب الاسلامي ـ بيروت ـ ص 242

أيضاً المصالح المرسلة والعرف كمصدرين من مصادرها التشريعية .

وحين يقول الأصوليون بأن الأحكام تتغيّر تبعا لتغيّر الأزمنة والأمكنة ، فهم إنما ينطلقون من قاعدة أن الأحكام الشرعيّة أتت لجلب النفع للناس ودفع الضرر عنهم ، ومن المسلّم به أن حاجة الناس ومصالحهم تتغيّر من زمن الى زمن ومن مكان الى آخر ، ولا سبيل لتحقيق هذه المصالح إلا بالاجتهاد الذي يمكن عن طريقه تكييف الأحكام وفقا لمقتضيات البيئة ، وكمثال على تكييف الأحكام بما يستجد من ظروف أذكر ماحدث في شأن الطلاق ، حيث أن القرآن حدّه بطلقتين ﴿ الطللاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ (أ) ، والرسول على أنكر على من طلّق امرأته ثلاثا بلفظ واحد حين قال : ( تلعب بكتاب الله وأنا بين ظهرانيكم ) (2) ، ومع أن الاجماع المستند على النص استمر على هذا الحكم الأ أن سيدنا عمروضي الله عنه عدّل هذا الحكم ، وأمر بامضاء الطلاق بالثلاث تأديبا لمرتكبه وذلك حين استهتر

<sup>(1)</sup> الآية 229 من سورة البقرة .

<sup>(2)</sup> أعلام الموقعين \_ ابن القيم \_ حـ 3 \_ ص 48.

الناس واستهانوا بأمر الطلاق(1) . هذا وهناك الكثير من الأمثلة على تبديل الأحكام تبعا لتبدّل الظروف لا يتسع المقام لذكرها ، ولكن ما يهم في هذه الناحية هو أن اتاحة الاسلام الفرصة لتكييف الأحكام مع مختلف البيئات والأزمان انحا يرجع الى كونه دينا عاما جاء للبشرية كلها على اختلاف أجناسها ، وتنوّع بيئاتها .

6 - الترخيص للانسان بأن ينال نصيبه من الدنيا بشرط أن يكون ذلك من طريق حلال وهذا المبدأ من شأنه أن يراعي فطرة الانسان التي فطر عليها ، بعكس تلك الدعوات التي تحاول أن تسير بالانسان الى زهد مطلق من شأنه أن يتعارض مع الفطرة الانسانية ، وهو مالا يساير مبدأ مراعاة الواقع الذي أومأت سابقا الى أنّه من شروط العقيدة العالمية ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ ((2) ، ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كها أحسن الله اليك ﴾ (3)

<sup>(1)</sup> معالم الشريعة الاسلامية ـ د . صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1975 م ـ ص 60 وما بعدها .

<sup>(2)</sup> الآية 32 من سورة الأعراف .

<sup>(3)</sup> الآية 77 من سورة القصص .

إن الشريعة الاسلامية وهي تخاطب البشرية قاطبة لا يمكن أن تغفل مبدأ الواقعية في التشريع ، فلقد تعاملت هذه الشريعة مع الانسان على أساس أنّه روح وجسد ، وأنّه كها يجب على المسلم أن يتقي نفسه من الدنس والشوائب التي قد تفسد عليه علاقته بربّه أو علاقته بأخيه المسلم ، كذلك يجب عليه أن يهتم بجسده وما يتطلّبه من أكل وشرب ونكاح واستمتاع بمباهج الحياة وملذاتها ، ولكن يجب أن يكون كل ذلك في اطار ما أحل الله لهذا الجسد من متاع الدنيا . إن الدعوات التي تتجاهل الجسد واحتياجاته تقع في خطأ قاتل ، وذلك لأنّها تنحرف بالانسان عن طبيعته لتجعل منه ملاكا سابحا في اجواء بعيدة عن واقعه وطبيعته التي خلقه الله عليها ، وفي مثل هذا الخطأ وقعت كثير من الدعوات القديمة ، وكان من نتيجة ذلك أن وقف تطور العقل البشري ، وتعطلت من النسان المادية .

7 ـ يقرر الاسلام أن الدين انما شرع لخير الناس وسعادتهم لا لتسخيرهم واذلالهم ، فها العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده ، والسنن التي أمر الرسول بها الا وسائل لفوائد روحانية ودنيوية تأتى من ورائها ، وليست هي مقاصد

تطلب لذاتها ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (1) ﴿ وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكر وا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ (2) ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمت عليكم ﴾ (3) . (4) وهكذا فإن التاريخ البشري لم يشهد شريعة أرسخ قواعد في العدل ولا أبعد مدى في المساواة واحترام الحقوق ، ولا أجمع لأصول الحياة الاجتاعية وأشمل لعناصر التطورات النسي أرادها الله لأن تكون صالحة لكل العصور والسئات .

أمًا الأمر الثالث والأخير الذي يؤكد بوضوح أن الـدين الاسلامي هو دين البشرية كلها ، وأن محمدا على هو رسول

<sup>(1)</sup> الآية 45 من سورة العنكبوت .

<sup>(2)</sup> الآية 27 من سورة الحج .

<sup>(3)</sup> الآية 6 من سورة المائدة .

<sup>(4)</sup> دائرة معارف القرن العشرين \_ محمد فريد وحدي \_ ج 5 \_ مادة اسلام \_ ط 3 \_ دار المعرفة \_ سروت \_ 1971 م \_

للناس أجمعين ، فهو طبيعة الخطاب في الآيات القرآنية ، حيث نجد أن خطاب هذه الآيات يتناول الناس أجمعين ، ولا يخص قوما دون آخرين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خلقكم من نفس واحدة ﴾ (١) فلفظ الناس له دلالة على الجمع من معناه جمع انسان وانسانة ، أي أن هذا اللفظ يتناول كافة أفراد البشر دون النظر الى جنس أو لون ، فلو كانت الدعوة الاسلامية خاصة بالعرب وحدهم لكان الخطاب بيا أيها العرب افعلوا كذا ، ولا داعي لاستعمال لفظ النياس الذي يتجاوز الأمّة العربية ليشمل كل مخلوق على هذه البسيطة ، وما دامت الدعوة الاسلامية لا تخص العرب وحدهم بل هي دعوة عالمة فإن الخطاب بيا أبها الناس جاء في كثير من الآيات القرآنية ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفي بالله شهيدا ﴾(2) ﴿ وَمَا أُرْسَلْنَاكُ إِلاَّ كَافَّةَ لَلْنَاسُ بِشَيْرًا وَنَذْيِرًا ﴾ (3) ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الناس اني رسول الله اليكم جميعا كه (١)، يقول ابن كثير في تفسيره لهــذه الآية : ( هــذا خطــاب للأحمــر والأسود

<sup>(1)</sup> الآية 1 من سورة النساء .

<sup>( 2 )</sup> الآية 79 من سورة النساء .

 <sup>( 3 )</sup> الآية 28 من سورة سبأ .

<sup>(4)</sup> الآية 158 من سورة الأعراف .

والعربي والعجمي ﴿ إِنِّي رسول الله اليكم جيعا له أي جيعكم وهذا من شرفه وعظمته على أنَّمه خاتم النبيِّين وأنَّمه مبعوث الى الناس كافَّة كما قال الله تعالى﴿ قُمْلُ اللهُ شَهْيَدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ وأوحى اليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ كه وقال تعالى : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ له والآيات في هذا كثيرة كها أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الاسلام ضرورة أنّه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى الناس كلهم ) (١) ويقول الرازي في تفسيره لهذه الآية أيضا: ( هذه الآية تدل على أن محمدا عليه الصلاة والسّلام مبعوث الى جميع الخلق وقال طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية وهم أتباع عيسى الأصفهاني: إن محمدا رسول صادق مبعوث الى العرب وغير مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على إبطال قولهم هذه الآية لأن قوله يا أيها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال إني رسول لله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الي جميع الناس وأيضا فما يعلم بالتواتر من دينه أنَّه كان يدعي أنَّه

 <sup>(1)</sup> تفسير القرآن العظيم .. إبن كثير .. ج 3 سورة الأعراف .. دار الفكر ..
 بيروت .. ط 2 \_\_ 1970 م .. ص 235 .

مبعوث الى كل العالمين فإما أن يقال أنّه كان رسولا حقا أو ما كان كذلك فإن كان رسولا حقّا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدّعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية أنّه كان يدّعي كونه مبعوثا الى جميع الخلق وجبكونه صادقا في هذا القول وذلك يبطل قول من يقول انّه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرائيل ) (۱) ، وهكذا يتضح من خلال الكثير من الآيات القرآنيّة أن سيدنا محمدا رسول الى الناس كافّة في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن رسالته تعم كل مكلف مها كان لونه أو جنسه .

وقد ورد أيضا في الحديث الصحيح ما يؤيّد صحة بعثته الى الناس كافّة فقد روى الامام البخاري : (حدّثنا محمد ابن سنان قال: حدّثنا هشيم قال: حدّثنا سيار هو أبو الحكم قال: حدّثنا يزيد الفقير قال: حدّثنا جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله على : أعطيت خما لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيمّا رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصل وأحلّت لي

 <sup>(1)</sup> التفسير الكبير \_ فخر الدين الرازي \_ ح 4 سورة الأعراف \_ دار الفكر \_
 بيروت \_ ط 2 - 1978 م \_ ص 302.

الغنائم ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافّة وأُعطيت الشفاعة )(۱) ، وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله فله قال : ( والسذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار )(2) ، وروى مسلم أيضاً أن رسول الله فله قال : ( إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبين )(3) .

### موقف المستشرقين من عالمية الدعوة الاسلامية

هناك الكثير من المستشرقين الـذي ينكرون أن يكون الاسلام دعوة عالمية؛ ويرى هؤلاء أن سيدنا محمدا على بعث الى العرب وحدهم ، وأن الرسالة الاسلامية كانت للأمة العربية دون غيرها ، ومن هؤلاء المستشرق ( وليم موير )

<sup>(1)</sup> فتح الباري ـ ابن حجر ـ ج 2 ـ طبعة مصطفى الحلبي ـ 1959 م ـ القاهرة ص 79

<sup>(2)</sup> صحيح مسلم ـ كتاب الايمال ـ ج 1 ـ ح 240 ـ دار احياء الكتب العربية . القاهرة ـ ط 1 ـ 1955 م ـ ص 134 .

<sup>( 3 )</sup> صحيح مسلم . كتاب الفضائل مج 15 . ص . 51 .

الذي يقول : ( إن فكرة عموم الرسالة جاءت فها بعد ، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه ، وعلى فرض أنَّـه فكر فيها فقد كان تفكره تفكيرا غامضا ، فان عالمه الذي كان يفكر فيه انما كان بلاد العرب ، كما أنْ هذا الدين الجديد لم يهيأ إلاّ لها ، وأن محمدا لم يوجه دعوته منذ بعث الى أن مات ألاً للعرب دون غيرهم ، وهكذا نرى أن نواة عالمية الاسلام قد غرست ، ولكنها اذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك فانما يرجع هذا الى الظروف والأحوال أكثر منه الى الخطط والمناهج ) (١) ، ويقول المستشرق (كيتاني ) : ( لم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعو أمم العالم في ذلك الوقت الى هذا الدين )(2) ، ويقول المستشرق (كارل بروكلمان) : ﴿ وَلَقَدْ بَعْثُ مُحَمَّدُ الْيُ العرب قبل كل شيء ، ولكن كان على دينه الاسلام أن يعمل لاحياء ملَّة ابسراهيم الخالصة ، التسي حرفه اليهسود والنصاري ، ونشرها في أرجاء العالم كله . وليس من الميسور

<sup>(1)</sup> تاريخ الاسلام \_ حسن ابراهيم حسن \_ج 1 \_ ط 9 مكتبة النهضة الممرية \_ 1975 م \_ القاهرة \_ ص 169 .

<sup>( 2 )</sup> الاسلام في قفص الاتهام ـ شوقي أبو خليل ـ ط 3 ـ دار الفكر ـ دمشق ـ 1977 م ـ ص 49 .

أن نقرر على وجه الدقة ما اذا كان النبي نفسه قد استشعر أنه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية ) (1) .

هذه هي بعض آراء الذين تكلموا في هذه القضية ، وهي بالطبع تدل على رأي جمهور المستشرقين ، ومع هذا فمنهم من كان ينظر الى الأمور أحيانا بروح علمية خالصة بعيدة عن التعصب العرقي والمذهبي ، ومن هؤلاء توماس ارنولد الذي يقول : (لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل إن للعالم أجمع نصيبا فيها . ولما لم يكن هناك غير إله واحد ، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى اليه الناس كافة . ولكي تكون هذه الدعوة عامة ، وتحدث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب ، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التي (قيل) (2) أن محمدا بعث بها في السنة السادسة في الكتب التي (قيل) (2) أن محمدا بعث بها في السنة السادسة من الهجرة ( 886 م ) الى عظهاء وملسوك ذلك

 <sup>(1)</sup> تاریخ الشعبوب الاسسلامیة ـ کارل بروکلهان ـ ط 6 ـ دار العلم ـ
 بیروت ـ 1974 م ـ ترجمة بیه فارس والبعلبکی .

 <sup>(2)</sup> تجدر الاشارة هذا الى أن ارنولد يحاول التشكيك في صحة الكتب التي أرسلها الرسولﷺ الى الملوك ، وذلك عن طريق حكايتها بقيل التي تفيد التضعيف ، وهو يتبع في ذلك الكثير من المستشرقين الذين لا يعترفون بصحة هذه الكتب .

العصر . . . . ، على أنه إن كانت هذه الكتب قد بدت في نظر من أرسلت اليهم ضربا من الخرق ، فقد برهنت الأيام على أنها لم تكن صادرة عن حماسة جوفاء . وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحا وأشد صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الاسلام) (١) . هذا رأى من الآراء العلمية المحضة التي كتبت في هذا الموضوع ، ولئن لم نعتبر هذا ردا على أولئك المستشرقين الذين يرون أن الدين الاسلامي هو دين العرب ، فإن هناك الكثير من الباحثين المسلمين الذي ناقشوا آراء موير وكيتاني وغيرهم وفندوها ، ومن ذلك ما رد به أحدهم على موير حيث يقول: ( ومن الغريب أن يشك وليم موير في صحة دعوى عموم الرسالة ، وأن يبنى شكه هذا على أن محمدا ما كان يعرف غير الجزيرة، وأنها كانت عالمه الذي لم يفكر في سواه ، وأن هذا الدين لم يهيأ إلا لتلك البلاد ، وأن محمدا منذ أن بعث الى أن مات لم يوجه دعوته الا للعرب دون غيرهم ، فهل خفيت على ذلك المؤرِّخ صلة قريش بدول ذلك العهد ، وما أتاحته لها التجارة من دربة وخبرة بشئون هذه

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام ـ توماس ارنولد ـ تر . حسن ابراهيم وعبـد المجيد عابدين ـ ط 3 ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ 1970 م ـ ص 48 ،

الأمم وأحوالهم ، وأن محمدا بوجه خاص قد سافر غير مرة للتجارة ببلاد الشام ؟ ) ، ثم يقول بعد أن يذكر قصة تجارة محمد مع خديجة وهجرة النبي الى المدينة : ( هل يبعد على هذا الرجل أن يرنو بناظره الى ما وراء الجزيرة ليبسط عليها سلطانه إن كان من محبي السلطة والحكم ، أو ليفيض عليها من فضل الله الذي عمر الجزيرة وملأها عدلا وأمنا ودعة وحبا )(1) .

وإذا أمعنا النظر في آراء موير فإننا لا نرى دليلا يؤيدها ، ولا حقيقة تثبتها ، فقوله إن هذا الدين الجديد لم يها إلا لبلاد العرب قول مغاير للحقيقة ، فتعاليم الاسلام ومبادؤه وأهدافه التي أوردت بعضا منها آنفا تدل على أنه الدين الصالح لأن يعتنقه كل أفراد البشرية لما يجدون فيه من سياحة وسهولة تجعل الانسان ينعم بالسعادة في حياته وبعد محاته \_ إن اتبع هذه التعاليم وطبقها \_ وآيات القرآن الكريم أيضا تفند ما يحاول أن يقرره موير من اختصاص الدعوة الاسلامية بالعرب حيث يقول الباري جل وعلا : ﴿ قل يا ايها المناس إني رسول حيث يقول الباري جل وعلا : ﴿ قل يا ايها المناس إني رسول الله اليكم جميعا ﴾ (2) ﴿ وما أرسلناك الاكافة للناس بشيرا ونذيرا

<sup>(1)</sup> تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ـ ص 169 .

<sup>(2)</sup> الآية 158 من سورة الأعراف .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون (1) . وأما أن محمدا الله لي العرب وحدهم ، يوجه دعوته منذ أن بعث الى أن مات إلا الى العرب وحدهم ، فهذا قول تبطله السيرة النبوية التي تؤكد أن نبينا الله قد أرسل الرسل ومعهم الكتب الى زعاء وملوك البلاد المجاورة للجزيرة العربية يدعوهم فيها الى الاسلام ويتوعدهم إن هم لم يتبعوا رسالته ، وينقذوا شعوبهم من ضلال الشرك الذي يعيشون فيه، ومما يبطل قول موير أيضا ما روى أن رسول الله الله قال متنبئا: «إن بلالا أول ثمار الحبشة، وإن صهيبا أول ثمار الروم»، وفي ذلك دليل على أن الرسول عليه السلام كان على يقين من أن الرسالة الاسلامية ستعم جميع الأجناس ، وأنها ليست مقصورة على الجنس العربي فحسب ، وقد كان هذا القول في زمن لم يكن المسلمون يعلمون فيه شيئا عما يتعلق بعياة الفتح والغزو .

وهناك بعض المستشرقين المذين يرون أن مسألة عالمية الاسلام أمر من الأمور التي لم يصل فيها الباحثون الى رأي قاطع، ومن هؤلاء المستشرق النيوزيلاندي (سونـدرس)الذي يرى أن هناك آيات تفيد أن محمـدا صلـوات الله عليه قد أراد

<sup>(1)</sup> الآية 38 من سورة سبأ .

لدينه أن ينشر على الناس كافة ، كما أن هناك آيات أخرى تفيد بأنه مكلف بتبليغ العرب وحدهم ويستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتـذكرون (<sup>(2)</sup> ويعلـق على هاتـين الآيتـين بقوله: إن ما تفيده هاتان الآيتان يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربي هل يخاطب به أناس لا يتكلمون العربية ؟. والحقيقة أن الانسان يقف متسائلا أمام تساؤل سوندرس ، إذ كيف يريد أن تكون لغة الرسالة الموصوفة بأنها عالمية وإنسانية إن لم تكن مقصورة على لغة الرسول ؟ إنه بذلك يمنع أن تكون هناك دعوة عالمية وانسانية الااذاكان صاحبها يتكلم بجميع لغات البشر (3). ثم بماذا يفسر هذا المستشرق اقبال الكثير من العجم ، من فرس وروم وغيرهم على اعتناق الاسلام وتعلم العربية ، والنبوغ فيها وفي علومها المختلفة ، وفي الكثير من العلموم الاسملامية الأخسري ، هل هم بذلك طفيليون على الاسلام ؟ وهل هم غير مكلفين بالدعوة التي اعتنقوها ؟.

<sup>(1)</sup> الآية 7 من سورة الشوري.

<sup>(2)</sup> الآية 46 من سورة القصص .

<sup>(3)</sup> الاسلام دعوة عالمية ـ عباس محمود العقاد ـ ط 1 ـ دار الكتاب اللبنامي بيروت ـ 1974 م .

ted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الحقيقة التي يثبتها التاريخ القديم والحديث هي أن المسلمين من غير العرب استشعر وا عظمة هذه الدعوة وساحة مبادئها \_ منذ أن وصلتهم الطلائع الأولى التي بشرت بهذه الدعوة وحملتها الى كافة أرجاء المعمورة \_ ، فاشرأبت نفوسهم الى هذه الرسالة الخالدة ، فآمنوا بها وأقبلوا على تعلم الوسيلة التي بها يستطيعون فهم أوامر هذه الرسالة ونواهيها وهي اللغة العربية ، ومن هؤلاء من دانت الأمة الاسلامية لآرائهم كأبي حنيفة (1) والبخاري (2) وسيبيويه (3) وغير هؤلاء كثير .

<sup>(1)</sup> هو النعمان بن ثابت التيمسي ولـد سنـة 80 هـ/ 699 م وتـــوفي ســــة 150 هـ/ 767 م . ولد ونشأ بالكوفة ، وهو أحد الأثمة الأربعة عند أهل السنة . انظر :

أ \_ تاريخ بغداد ج 13.

ب \_ النجوم الزاهرة ج 2 .

ج \_ الجواهر الضيئة في طبقات الحنفية .

<sup>(2)</sup> هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ، ولد في بخاري سنة 194 هـ/ 870 م ، صاحب أوثق كتاب في السنة وهو المسمى باسمه ، انظر :

أ ــ تذكرة الحفاظج 2 .

ب \_ تهذيب التهذيب ج 9 .

ج \_ طبقات الحنابلة ج 1 .

<sup>( 3 )</sup> هو عمـرو بن عثمان بن قـبـر الحارثـي بالـولاء ، ولــد في شــيراز سنــة 148 هـ/ 765 م وتوفي سنة 180 هـ/ 796 ، انظر :

أ \_ ابن خلكان ج 1 .

ب \_ البداية والنهاية حـ - 10 .

ج ـ تاريخ بغدادج 12 .

غير أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن أبينه هو أننا حين نقر رعالمية الدعوة الاسلامية لا يحكن أن ننسى بحال من الأحوال أن هناك علاقة وطيدة بين الاسلام والعروبة ، ذلك أن مشيئة الله اقتضت أن يتحمل العرب وحدهم مسئولية القيام بالدعوة الى الاسلام ونشره بين شعوب العالم ، يقول المولى جل وعلا: ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (١) ، فالناس الذين اصطفاهم الله للقيام بمسئولية النهوض بالدعوة الاسلامية هم العرب الذين اصطفى الله من بينهم من شرفه بأن يكون مبلغ هذه الدعوة ورسولها . ولا بد أن نقرر أيضا أن الأرض العربية \_ أقصد الجنزيرة العربية \_ هي المكان الذي اقتضت مشيئة الله ان يكون مسرحا للدعوة الاسلامية ، ومكانا لتجميع البشر عليها ، ومن هذه الجزيرة انطلمق العسرب بالاسلام ، وانساحوا في الأرض يحملون أرواحهم على أكفهم لنشر دين الله بين الناس دون إكراه لأحد على الايمان ، وقله انتشر الاسلام في فترة زمنية وجيزة في رقعة فسيحة من الأرض ، حيث بلغ انتشار هذا الدين في نهاية القرن الأول

<sup>( 1 )</sup> الآية 75 من سورة الحج .

الصين شرقا ، وعبر المضيق ليدخل أوربا غربا(١) .

هذه هي اذا رسالة الاسلام الخالدة التي بعث الله بها نبيه محمدا على ليبلغها الى الناس أجمعين ، وقد كافح الرسول كفاحا مريرا في سبيل أن تصل دعوته الى كل أذن داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وقد حمل أصحابه معه راية الكفاح الى أن انتقل الى جوار ربه ، ثم استمروا من بعده يحملون راية الكفاح الأولى بنفس العزيمة والاخلاص ، واستطاعوا بتلك النفوس المطمئنة أن ينتقلوا بالدعوة الاسلامية من الجزيرة العربية وينشروها في معظم بقاع الأرض التي مكنهم الله من الوصول اليها .

ولقد أثار موضوع انتشار الاسلام ـ الذي سيكون موضوع هذا البحث ـ ردود فعل عنيفة لدى جميع الأمسم والشعوب ، نظرا للسرعة التي اتسم بها ، الأمر الذي جعل أصحاب الديانات الأخرى والمذاهب السائدة ينظرون اليه وكأنه النار التي اشتعلت في هشيم بال فأتت عليه حتى لا تكاد تُبقي فيه شيئا ، وهكذا استمر الصراع بين معتنقي الدين

<sup>( 1 )</sup> تحديات أمام العروبة والاسلام ـ صابر طعيمة ـ دار الجيل ـ بـيروت ـ 1976 م .

الاسلامي ـ الذين وهبوا أنفسهم لنشره ـ وبين المشركين الذين اخذوا يقاومون هذا الدين الجديد بشتى الوسائل وعلى مر العصور التي شهدت الفتح الاسلاميي ، إلى أن جاء القيرن الخامس الهجري الذي شهد تفجر الحروب الصليبية ، والتي عبر فيها الصليبيون عن حقدهم وعدائهم السافر للاسلام وأهله ، والتي أرادوا لها أن تكون نهاية للمجد الاسلامي الذي عم الأرض ، وبداية لمجد صليبي طالما انتظروه وحلموا به ، ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولموكره الكافرون﴾ (١) . ولكن النتيجة التيي لم تكن متوقعة لدى أعداء الاسلام كانت غير ذلك ، فلقد كانت نتيجة مرة ومذهلة ، عبر عنها أحد قادة الحروب الصليبية ( لويس التاسع ) بقوله : ( لا سبيل الى السيطرة على المسلمين عن طريق الحسرب أو القسوة ، ذلك لأن في دينهسم ( عامسلا حاسمًا ﴾(2) هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد وبــذل النفس والدم رخيصا في سبيل حماية العرض والأرض ، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين فمن المستحيل السيطرة عليهم ،

<sup>(1)</sup> الآية 8من سورة الصف .

<sup>(2)</sup> في المصدر ( عامل حاسم ) .

لأنهم قادرون دوما انطلاقا من عقيدتهم على المقاومة ودحر الغزو الذي يقتحم بلادهم ، وأنه لا بد من ايجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيّف هذا المفهوم عند المسلمين ، حتى يصبح مفهوما أدبيا أو وجدانيا ، وإيجاد ما يبرره على نحو من الأنحاء بحيث تسقط خطورته واندفاعته ، وأن ذلك لا يتم الا بتركيز واسع على الفكر الاسلامي وتحويله عن منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام لقاء القوى الغربية ، وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتسواء أو الصداقة أو التعاون )(1).

وانطلاقا من هذه النتيجة \_ التي عبر عنها شخص مارس العدوان المباشر ضد الاسلام \_ كان على أعداء الاسلام ان يغيروا من أسلوب حربهم ضد الاسلام وأهله ، ومن هنا وبتوجيه من الكنيسة \_ سيدة الموقف في ذلك الوقست \_ نشأ الأسلوب الجديد في المواجهة مع الاسلام ، والذي اعتمد على عنصرين أساسيين ها : التبشير والاستشراق ، تكفل العنصر الأول منها بمحاولة فتنة المسلمين ماديا عن طريق اغراء الفقراء منهم بتقديم المعونات الصحية والتعليمية وغير ذلك من الأشياء

<sup>(1)</sup> الاسلام في وجه التغريب \_ أنور الجندي \_ دار الاعتصام \_ القاهرة .

التي يمكن لها أن تجعل المسلمين أداة طبعة في أيديهم يفعلون بهم ما شاؤوا ، أما العنصر الثاني فقد تكفل برسم الخطط والأساليب للعنص الأولى، وذلك عن طريق دراسة كل ما يتعلق بأحوال المسلمين من عقيدة وثقافة وحضارة وكل ما له صلة بالاسلام والمسلمين ، حتى يستطيعوا من خلال ذلك أن ينفُــذوا ما اقتــرحــه لويس التاســـع ، أي يزيّفـــوا المفاهـــيم والقيم الاسلامية ، ويجعلوها عديمة الجدوى في محاولة نهائية لفصل المسلم عن شخصيته وكيانه ، يقول صمويل زويم أحد أقطاب التبشير المسيحى في العالم : ( ليس غرض التبشير المسيحي وسياسته ازاء الاسلام هو اخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحيين ، ان المسلم لا يمكن أن يكون مسيحيا مطلقا ، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة على استحالة ذلك، ولكن الغاية التي نرمي اليها انما هي اخراج المسلم من الاسلام فقط ليكون ملحدا أو مضطربا في دينه ، وعندها لا يكون مسلما ولا تكون له عقيدة يدين بها ، عندها يكون المسلم ليس له من الاسلام الا اسم أحمد ، والملحد هو أول من يحتقر الاسلام )<sup>(1)</sup>.

<sup>( 1 )</sup> الاسلام والثقافة الغربية ـ أمور الجندي ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة .

وهكذا يتضبح للمسرء أن السبب السرئيسي لاهتام المستشرقين بالاسلام ، هو خوفهم الشديد من المد الاسلامي الجارف ، الذي يهدم كل المعتقدات البالية والمزيفة التي يعتقدون بها ، وخوفهم الشديد أيضا من ظهور النموذج الجديد المتمثل في الانسان المسلم ، الذي أصبح مصدر خطر عليهم بما يمثله من التزام في العقيدة والأخلاق والمعاملة .

إن المستشرقين حرصوا على دراسة الاسلام بتأثير من الكنيسة التي دفعتهم الى هذه الدراسة ليكتشفوا عناصر القوة في الاسلام فيدعموا بها المسيحية ، ويكتشفوا عناصر الضعف في المسيحية فيبثوها في الاسلام ، يقول المستشرق ( هومان استنجل) في كتابه (عقائد الاسلام): «إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائدا الاسيحية بناء على فهمنا العميق للتعاليم الاسلامية ، وفهمنا لنفسية المسلم المتدين وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف فيا يستخدمه من أوله حتى اليوم ، وحتى نبني من جديد دفاعا جديدا عن العقيدة المسيحية ، دفاعا يضع في حسابه روح الاسلام والتطور الفكري للمسلمين فيا يتعلق في حسابه روح الاسلام والتطور الفكري للمسلمين فيا يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد على ألف عام »(۱) .

<sup>(1)</sup> الاسلام في وجه التغريب ـ أنور الجندي .

ومن الأسباب الرئيسية لاهتام المستشرقين بالاسلام هو تنفيذ رغبة الكنيسة الملحة في الحيلولة بين الشعوب النصرانية والاسلام ، وذلك عن طريق تشويه الاسلام وحجب محاسنه لاقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم كنظام للحياة ، وقد ظهرت هذه الرغبة في أعقاب الحروب الصليبية وعودة المحاربين الى أوربا يحملون صورة مشرقة لمعاملة المسلمين لهم ، وسهاحة الدين الذي يعتقدون به (1) .

هذه هي \_ بصورة مختصرة \_ الأسباب الكامنة وراء اهتام المستشرقين بالاسلام ، واقبالهم على دراسته والبحث في قيمه ومبادئه وأهدافه ، والعمل على إفساد كل هذه القيم والمبادئ ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وسأحاول \_ باذن الله \_ أن أوضح هذه الأسباب بصورة أكثر شمولا عند الحديث \_ في الفصل الأول من هذه الدراسة \_ عن نشأة الاستشراق وتطوره وغاياته ووسائله .

<sup>(1)</sup> أساليب الغزو الفكري للاسلام . د. علي محمد جريشة وآخر ـ ط1 ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ 1977 م .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصّل الأولب الاستشراق

- مفهومه
- نشأته
- تطـــوره
- دوافعـــه
- اهـــدافــد
- وستائله



يجدر في مستهل هذا الفصل التعرف على مفهوم كلمة الاستشراق ، وتطور دلالتها التاريخية ، حتى يكون الحمديث بعد ذلك عن تاريخ الاستشراق وأهداف ووسائله قائها على تصور واضح لمفهومه .

إن كلمة الاستشراق مشتقة من الشرق ، وهي تعني مشرق الشمس ، ومن ثم تدل الكلمة على الاهتام بما يجويه الشرق من علوم ومعارف وسهات حضارية متنوعة ، ويكون المستشرق هو الانسان الذي وهب نفسه للاهتام بما يدور في المستشرق من مجالات مختلفة ، وفي المقابل أيضا نجد كلمتي مستغرب واستغراب تدلان على الميل نحو الغرب اعجابا أو تقليدا أو دراسة . ولكن هل يمكن تحديد المفهوم الجغرافي للشرق الذي انكب المستشرقون على دراسته ؟ إن تحديد هذا المصطلح جغرافيا غير ممكن ، نظرا لاختلاف الجهة المحدد منها ، فالشرق بالنسبة للألماني مشلا هو غير الشرق بالنسبة للأمريكي ، وهو أيضا غير الشرق بالنسبة للماك اختلاف المحصود للأمريكي ، وهو أيضا غير الشرق بالنسبة للماكستاني ، كذلك اختلاف العصور ( فقد كان البحر المتوسط في العصور الوسطى هو مركز الحياة في

العالم ، وكان هذا المركز هو الذي يحدد مفهوم كلمة (شرق) و غرب) ، ثم انتقل مركز الأحداث بعد نهاية هذه العصور الوسيطة الى شهائي غرب أوربا ، ثم اتسعت حدود العالم بعد قيام حضارات كثيرة راقية في القارتين الأمريكيتين ، وأدى هذا الاتساع الجغرافي والحضاري الى تغير مضمون ومفهوم كلمة الشرق) (أ) . ومع أن بعض الكتاب تحرج في تحديد المدلول المجغرافي لكلمة شرق ، إلا أن البعض الآخر حاول أن يحد جغرافيا معنى هذه الكلمة وخاصة الكتّاب الغربيون ، فمعنى والجزر الأسيوية وفي بعض الأحيان يطلق هذا المصطلح على والجزر الأسيوية وفي بعض الأحيان يطلق هذا المصطلح على القسم الغربي من آسيا والتي تسمى أيضا الشرق الأدنى (أ) ، ويرى بعض من الكتاب الآخرين أن مصطلح ويرى بعض من الكتاب الآخرين أن مصطلح ويستعمل للأقطار التي تشرق منها الشمس في مقابلة مصطلح يستعمل للأقطار التي تشرق منها الشمس في مقابلة مصطلح

<sup>(1)</sup> المستشرقون والتاريخ الاسلامي ـ د. على حسني الخربوطلي ـ سلسلة المجلس الأعلى للششون الاسلامية ـ عدد 111 ـ مطابسع الأهــرام التجارية ـ القاهرة ـ 1970 م .

THE WORID BOOK ENCYCLOPEDIA. «VOL·14-1964.U.S.A-(2) P.647.

ويتضمن أوربا ونصف الكرة الغربي(1) .

إن أهم ما يمكن قوله في هذا المجال هو أن كلمة شرق حسب دلالتها التاريخية القديمة أو المعاصرة تعنى مجموعة الأقطيار المنتشرة في آسيا و بعض الأقطيار في افيريقيا ، وهيي الأقطار المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد يضاف الى هذا أيضاً بعض أجزاء من أوربا الشرقية، وذلك لأن هذه الأقطار قد ربطت بينها روابط تاريخية كثيرة ، فكشير من هذه الأقطار يرتبط بعامل الدين ، وكثير آخر يرتبط وابط اللغة ، الى غير ذلك من الروابط. ولعل أحسن تفسير لكلمتي الشرق والغرب حضاريا ما ذكره أحمد الباحثين حين قال: ( أما الغرب فهو اصطلاح حديث جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأوروبيون في عصورالاستعمار من تقسيم العالم الى شرق وغرب ، يعنون بالغرب أنفسهم ، ويعنون بالشرق أهل آسيا وافريقية الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم ، وجرينا نحن على هذا الاستعمال . والكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحا واستعمالا فهي قديمة في مفهومها ودلالتها. فقد كان

<sup>(1)</sup> The american educator Encyclopedia - vol 11 -1966 - Chicago - P. O 86.

في العالم من زمن قديم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة ، احداهما في الشرق والأخرى في الغرب تمشل ذلك في الصراع بين الفرس والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبين ، ثم في الصراع بسين المعثمانيين والأوربيين مدا وجزرا . ثم كان آخر فصول هذه المعثمانيين والأوربيين مدا وجزرا . ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وافريقية ، وبين المغرب ممثلا في أوربا وأمريكا ) (أ) . ان هذا التفسير يجمع بين مدلول الكلمة ونشأتها في العصور الحديثة ، ثم يربط بين المدلول الحديث للكلمة وبين مدلولها الحضاري والتاريخي ، ولذلك فإن هذا التعريف يمكن أن يكون تعريفا كاملا لهذه الكلمة انطلاقا من المدلول التاريخي لها ، والذي يضع في حسابه وقوع العالم تحت سيطرة قوتين احسداهما شرقية والأخرى غربية .

والاختلاف في تحديد مفهوم كلمة شرق ينشأ عنه اختلاف في تحديد المستشرق من هو ؟ فبعض الباحثين يقول : ( اننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الدين يكتبون عن

 <sup>(1)</sup> الاسلام والحضارة الغربية ـ د. محمد محمد حسين ـ ط 1 ـ دار الارشاد ـ بيروت ـ 1969 م ـ ص 11 .

الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية )(1) ويقول آخر: المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية ، فلا بد أن يتوافر في هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها في العالم المتخصص المتعمق ، حتى ينتج ويفيد البشرية والحضارة بإنتاجه العلمي . ولا بد أن ينتمي هذا العالم الى الغرب ، ولو كان هذا العالم يابانيا أو اندونيسيا أو هنديا لما استحق أن يوصف بالمستشرق ، لأنه شرقسي بحكم مولده وبيئته وحضارته ، وقد تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تاريخا أو فلسفة أو آثارا أو اقتصادا ولكنها ترتبط بالشرق )(2) ، ويقول الأستاذ محمد كرد علي : ( المستشرقون الرأي يراه البعلبكي الذي يقول : ( المستشرق هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته ) (3) مما ادوارد سعيد فيقول: (إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق فيقول: (إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق فيقول: (إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق

<sup>(1)</sup> انتاج المستشرقين ـ مالك بن نبي ـ مكتبة عمار ـ القاهرة ـ 1970 م .

 <sup>(2)</sup> المستشرقون والتاريخ الاسلامي ـ د. علي الخربوطلي .
 (2) حماة المحمد العلم العمد عماد 2

<sup>(3)</sup> مجلة المجمع العلمي العربي - مجلد 3.

 <sup>(4)</sup> قاموس المورد ـ منسير البعلب كي ـ ط 13 ـ دار العلم للملايين ـ
 1979 م .

هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه ، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراقا )(أ) ، ويقول الأستاذ عبد الوهاب حمودة : ( المستشرق كل من تجرد من أهل الغرب الى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية والعربية ، وتقصي آدابها طلبا لمعرفة شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها أو علومها وآدابها الى غير ذلك )(2) .

ومع أن الباحثين يكادون يجمعون على تحديد المستشرق بأنه كل من تخصص في دراسة الشرق أو في جانب من جوانب علومه المختلفة ، إلا أنهم يختلفون في هوية اللذي يحكن أن يسمى مستشرقا ، فمنهم من يخصص الكلمة لكل من يتخصص في دراسة الشرق سواء كان غربيا أم شرقيا ، ومنهم من يخرج الشرقي من دائرة المستشرقين باعتبار أنه غير غريب على الشرق حتى يستحق مصطلحا خاصا ، والذي أود الاشارة

ORIENTALISM -EDWARD , W. SAID -NEWYORK -NOVEMBER ( 1 )  $78\,.$ 

<sup>(2)</sup> من مقال بعنوان : ( من زلات المستشرقين ) ـ عبد الوهـاب حمودة ـ مج . لواء الاسـلام ـ مجلــد 4 ـ عدد 6 ـ السنــة الرابعــة ـ نوفمبــر 1950 م/ صفر 1370 هــ .

اليه هنا هو أن المتسادر إلى الذهبين وخصوصها لدى غسر المتخصصين هو أن المستشرق من تخصص في دراسة الاسلام والعرب من غير المسلمين ، ولعل هذا راجع الى أن معظم بحوث هذه الفئة تركزت حول العرب والاسلام ، وكانت في بدايتها ذات طابع حاقد مما شد انتباه المسلمين وجعلهم يطلقون لفظ المستشرق على كل من يتناول علومهم ومعارفهم وحضارتهم بالبحث والتحليل . يقول الأستاذ حمود الغول : ( إن غمامة من الشك والغموض هي التي تسيطر عليك عندما تسمع كلمة مستشرق .... رغم أن هناك صلات متينة متصلة بين العلماء العرب والمستشرقين خارج البلاد) (١) ، واذا صح هذا التعليل فإن كلمة مستعرب أجدر بأن يوصف بها هؤلاء الذين تخصصوا في دراسة حضارة العرب والمسلمين ، ويكون لفظ المستشرق قد تعيّنُ لكل من درس الشرق عموما سواء درس الاسلام أو غيره من الديانات الأخرى ، وسواء درس العرب أو غيرهم من الأمم الأخرى . والحقيقة أنه رغم ما عرف به الباحثون المستشرق فإنـه في نظـري تبقـى كلمـة

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان : ( المستشرق أقل دراية بأسرار اللغة العربية ) ـ حمود الغول ـ مج . العربي ـ مجلد سنة 1958 م .

المستشرق تدل دلالتين أكاديمية وهي ماتناولها الباحشون الذين أشرت اليهم آنفا ، وعامة وهي كل من تعرض لحضارة العرب والاسلام بالدراسة وخاصة من اتصف بالدس والكيد على الاسلام .

## نشأة الاستشراق

لا يوجد دليل قاطع يدل على البداية الجقيقية والمنظمة للاستشراق ، فالمصادر التي تعرضت لهذا الموضوع تختلف في تحديدها لبداية الاستشراق ، فمن الباحثين من يرى أنه بدأ بحواولات فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي (أ) ، ومنهم من يرى أنه بدأ في بعض البلدان الأوربية في القرن الثالث عشر الميلادي ، أو ربحا قبل ذلك بقليل (2) ، ومنهم من يرى أنه بدأ منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م ، حينا قدم عدد كبير من العلماء في جميع فروع المعرفة مع نابليون ، الدي الصطحب معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام

<sup>(1)</sup> الاستشراق والمستشرقون ـ د. مصطفى السباعي ـ ط 2 ـ المكتـب الاسلامي ـ بيروت ـ 1979 م . ـ ص 14 .

<sup>( 2 )</sup> الفكر الاسلامي الحديث ـ د. محمد البهي ـ ط 6 ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1973 م ـ ص 532 .

بأبحاث متعددة(١).

ورغم اختلاف الباحثين هذا ، وتشعب الآراء في هذا الموضوع ، يمــكن تقسيم تاريخ الاســتشراق الى المراحــل الآتية :

#### أولا: مرحلة الانبهار بالحضارة العربية والاتجاه اليها:

هناك اتجاه كبير يميل الى أن الاستشراق بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الاسلامي أبواب أوربا ، وقيام الدولة الاسلامية في الأندلس ، التي أسست نهضة وحضارة اسلامية لم تشهدها أوربا من قبل ، وحينذاك أخذ الأوربيون الغارقون في الجهل والتخلف الحضاري يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين ، وبلوغهم هذا المجد العظيم ، فبدأوا يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به هذا التيار الجديد ، أو يكتسبون من علومه ما ينفعهم في انقاذهم من تخلفهم وجهلهم . ويؤكد بعض الباحثين أن بعض الرهبان اتجهوا الى الأندلس وغيرها من مراكز الحضارة الاسلامية في أوربا في أيام ازدهارها ، وتعلموا في مدارسها ، وتثقفوا بعلوم المسلمين

<sup>(1)</sup> المستشرقون والتاريخ الاسلامي ـ د. على الخربوطلي .

وثقافتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلـوم ، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ، واستطاعوا أن يترجموا بعض الكتب العربية الى لغاتهم ، وكان من طلائم هؤلاء الراهب الفرنسي ( جربرت ) الذي انتخب بابا لكنيسة روما سنة 999 م بعد أن عاد الى بلاده متزودا بعلوم الأندلس ومعارفها ، ومنهم أيضا الراهب ( بطرس المحترم 1092 ـ 1156 ) ، والراهب ( جسراردي الكريمونسي 1114 -1187 ) (1) ، وإلى جانب تلك المحاولات الفردية كانت هناك محاولات أخرى أكثر تنظما ، وهي التي اتخذت شكل البعثات الرسمية التي وفدت على الأندلس للدراسة وتلقمي العلم ، وأولها بعثة فرنسية برئاسة الأميرة اليزابيث ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا ، والبعثة الثانية انجليزية وعلى رأسها الأميرة ( دوبان ) ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلـز ، وكانست الثالثية من مقاطعيات (سفيوا) و (البافياريا) و( سكسونيا ) و( الرين ) وقد ضمت هذه البعثة حوالي سبعمائة طالب وطالبة (2).

<sup>(1)</sup> لمحات في الثقافة الاسلامية \_ عمر عودة الخطيب \_ ص 187 . (2) المستشرقون والتاريخ الاسلامي \_ د. على الحربوطلي .

وكان من أبر زسيات هذه الموحلة الاتجاه إلى ترجمة الكثير من أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية ، ونتيجة للرغبة الشديدة في ترجمة الكتب العربية أنشأ (دون رايموندو الأول) رئيس أساقفة طليطلة مكتب المترجمين سنة 1130 م حيث تم بواسطته نقل أمهات كتب الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة (1) ، وفي هذه المرحلة أيضا تمت أول ترجمة للقرآن الكريم وكانت في سنة 1143 م على يد راهب انجليزي يدعي ( هرمان ) ، ولكن هذه الترجمة لم تظهر الي حيز الوجود نظرا لخوف الكنيسة من تأثيرها في السرأى العام المسيحي بما تعطيه من مفاهيم اسلامية ربما تساعد في انتشار الاسلام بين المسيحيين ، ولذلك ظلت هذه الترجمة حبيسة دير ( كلوني CLUNY ) بجنوب فرنسا ، ولم تظهر الا في سنة . <sup>(2)</sup> 1543

<sup>( 1 )</sup> المستشرقون \_ نجيب العقيقي \_ ج 1 \_ ط 3 \_ دار المعارف \_ القاهرة \_ 1946 \_ ص 99 .

<sup>(2)</sup> المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ـ د. محمد صالح البنداق ـ دار الآماق الحديدة ـ بيروت ـ 1980 م ـ ص 90 .

#### ثانيا: مرحلة ما بعد الحروب الصليبية:

يعتبر الاستشراق في هذه المرحلة نتيجة من نتائسج الحروب الصليبية ، حيث ان الصليبين اللذين انهزموا عسكريا ، وفشلوا في غزو المسلمين بقوة السلاح ، بدأوا في، التفكير جديا لغزو المسلمين فكريا حتى يتمكنوا من زحزحتهم عن عقيدتهم الراسخة التي كانت السبب الرئيسي في تصديهم للصليبين ، ومما يؤيّد هذا تلك الوثيقة التي تتضمن وصية القديس لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة ، التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع لويس في الأسر على أيدي المصريين في مدينة المنصورة ، وقد أعطى الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد الى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تديّنهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبسذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الاسلام وصون الحرمات والأعراض ، ولذلك لا بد من البحث عن سبيل آخر يمكن عن طريقه تحويل التفكير الاسلامي ، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الاسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي

يغزون به الفكر الاسلامي (١) . وعلى اثر ذلك بدأت حركة جادة من الرهبان لتعلم اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية ، وقضى مجمع ڤيينا سنة 1311 م برئاسة البسابا (اكلمنتس الخامس) أن تؤسس في باريس واكسف ورد وبولون وصلمنكة أي في عواصم العلم في هذه البلدان دروس عربية وعبر انية وكلدانية (2) ، وهي ما عرفت أخبرا بكراسي الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية ، ثم بدء بعد ذلك في تأسيس المعاهد التي أنيط بها حمل أعباء الدراسات العربية ، وذلك مثل مدرسة ( بادوى ) العربية ، وتبع ذلك بدء الأديرة في دراسة المؤلفات العربية المترجمة الى السلاتينية ، وهمى لغة العلم في بلاد أوربا في ذلك الوقت ، ثم أخذت الجامعات الغربية في اعتاد الكتب العربية واعتبارها مراجع للدراسة ، ومع انشاء المعاهد التي تخصصت في الدراسات العربية بدأت العناية الخاصة بالتراث الاسلامي وجمعه ، وبدأت أيضا ترجمة بعض المؤلفات العربية في الأدب واللغة.

<sup>( 1 )</sup> أساليب العزو الفكرى ـ د. على جريشة ـ ص 19

<sup>( 2 )</sup> من محاضرة بعنوان : ( المستعربون من علماء المشرقيات ) ـ محمد كرد على \_ محلة كلية الآداب \_ حامعة فاروق الأول \_ مجلد ٤ ـ سنة 1948 م .

#### ثالثا: مرحلة التنظيم الفعلى:

حين جاء القرن الثامن عشر ـ وهـ و الوقـت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الاسلامي والاستيلاء على ممتلكاته .. ، ظهر الاتجاه الحقيقي والمنظم للاستشراق ، وقد تَمَثَّل ذلك في نبوغ بعض علماء الغرب في هذا الميدان وذلك بإصدار العديد من المجلات في كثير من بلاد الغرب ، والاستيلاء على الكنوز العربية المتمثلة في المخطوطات والوثائق الهامّة ، والانتقال مها إلى المكتبات والمتاحف الغربية ، وذلك عن طريق شرائها من أصحابها اللذين لا يعرفون قدرها أو سرقتها من المكتبات العامة حين كان الاستعمار الغربي يمتلك زمام الأمور في كثير من بلاد العالم الاسلامي ، وهذا هو سر وجود الكثير من نوادر المخطوطات العربية الآن في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ، وفي الكثير من المكتبات الغربية الأخرى ، وقله بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد ، مع العلم بأن العدد في تزايد مستمر منذ ذلك الوقت نظرا لنشاط المستشرقين واهتمامهم بهذه الكنوز ، التي تمثل في الواقع التراث الحقيقي للأمة العربية والاسلامية (1) .

<sup>(1)</sup> أجنحة المكر الثلاثة \_عبد الرحمن الميداني \_ ص 90 .

و بمرور الوقت ازدادت هذه الحركة تنظما ، وازدادت اتساعا ، وشعر العديد من روادها بضرورة وجود رابط يجمع أعضاء هذه الحركة ، ويعطى لهم الفرصة للتلاقي والتشاور ، وقد تم ذلك عندما عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة 1783 م ، وتبع ذلك الكثير من هذه المؤتمرات التي يتدارس فيها المستشرقون خطط عملهم وتسظيم جهودهم ، بغية الوصول الى هدفهم المنشود الذي هو حلقة من سلسلة التآمر والكيد على الاسلام والمسلمين . ولم يظهر الاستشراق كعلم له أهميته العظمي ، وتخصص ضروري الا عندما شعرت الحكومات الغربية بحاجتها الى دراسة أحوال البلاد الشرقية التي استعمرتها ، من حيث لغتها وديانتها واقتصادها وحضارتها ، فأخذت هذه الحكومات تنفق الأموال الطائلة على أبحاث المستشرقين ، وترصد الميزانيات للمنظمات والهيشات التي يعملون من خلالها ، بغية الحصول على دراسات شاملة يمكن عن طريقها التكيف مع طبائع البلدان المستعمرة ، وبالتالي تثبيت أقدام الاستعمار في تلك المناطق ، وتشير بعض المصادر التاريخية الى وجود تعاون وثيق بين كبار المستشرقين والمسئولين في وزارتبي الخارجية والمستعمرات في الكثير من البلدان الغربية ، وهذا التعاون وتلك الدراسات لا يزالان الى

يومنا هذا ، كما أن الدراسة في أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية هي دراسة موجهة توجيها سياسيا واستعماريا لخدمة أغراض معينة ، ومن ثم يصعب على الطالب العربي أو المسلم اختيار الموضوع الذي يريده ، واذا تمكن من اختياره فإن فرصة النجاح فيه معدومة .

وكنتيجة لإنفاق الأموال الطائلة على أبحاث المستشرقين تميزت هذه المرحلة بظهور العديد من الكتب والموسوعات التي تناولت الثقافة العربية والاسلامية في مختلف نواحيها ، كها ازدحمت المجلات العلمية أيضا بالمقالات التي كتبها المستشرقون عن التاريخ والحضارة والفكر الاسلامي ، والملاحظ على هذه الكتابات عموما ، بل على هذه المرحلة بكاملها ، أنها تميزت بتغير شكلي في الأسلوب الذي كان ينتهجه المستشرقون في الهجوم على الاسلام ، حيث أنهم انتقلوا من الهجوم المباشر الى الهجوم المتستر أو الخفي فإذا كنا في المراحل السابقة نرى كتابات لا تتورع في اظهار حقدها على الاسلام ، فإننا في هذه المرحلة نرى أسلوب الجديدا قد يفهم منه الانصاف ، ولكن عند التدقيق فيه لا تكاد تجد الا التشكيك والدس والكيد للاسلام وأهله .

ومع ظهور هذا النوع من الكتابات التي انبهر بها السطحيون من ذوي الميول الغربية ظهرت دعوى تشير الى أن منهج الاستشراق في البحث قد تغير ، وذلك بأن أصبح يتجه الى الموضوعية والتجرد ، ولذلك فإن كتابات المستشرقين في هذه المرحلة يجب ان تلقى نظرة جديدة جادة تقوم على الثقة والاحترام . ولكن ما مدى صحة هذا الكلام ؟ وما مدى صدق هذه الدعوى ؟

إن نظرة جادة على مؤلفات بعض مستشرقي العصر الحديث والمعاصر وكتاباتهم عن الاسلام تشير الى أن بعض هذه الكتابات قد تغير مشكلا ولم تتغير مضمونا ، بينا ظل البعض الآخر من هذه الكتابات على نفس النهج السابق الذي سلكه مستشرقو المراحل السابقة ، انظر الى جولد تسيهر مشلا ( 1850 — 1921 ) وهو يقول : ( لكي نقدر عمل محمد من الوجهة التاريخية ، ليس من الضروري أن نتساءل عمّا اذا كان تبشيره ابتكارا وطريفا من كل الوجوه ناشئا عن روحه ، وعمّا اذا كان يفتح طريقا جديدا بحتا . فتبشير النبي العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها

هذا هو ما يقول عناب هذه المرحلة ، بل زعهاء الاستشراق فيها ، وإذا كان هذا شكل أبحاثهم فأين النظرة العلمية الثاقبة ، وأين التجرد الذي ادعاه البعض ووصف به هذه المرحلة من تاريخ الاستشراق ، إن اضفاء صفة العلمية على أبحاث المستشرقين أمر قال به عدد منهم في محاولة لمست

<sup>(1)</sup> العقيدة والشريعة في الاسلام ـ اجناس جولد تسيهر ـ تر . محمد موسى وآخرون ـ دار الكاتب المصرى ـ القاهرة ـ 1946 م ـ ص 5 .

<sup>( 2 )</sup> تاريخ الشعوب الاسلامية \_كارل بروكلهان \_ ص 36 ٪

<sup>( 3 )</sup> المستشرقون والاسلام ـ د . عرفان عبد الحميد ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ 1969 م ـ ص 16 وما بعدها .

<sup>( 4 )</sup> نفس المصدر السابق .

تلك الصورة القاتمة التي تكونت في ذهن القارىء العربي أو المسلم على أبحاث المستشرقين ، وقد وجدت هذه الدعوى آذانا صاغية من بعض المثقفين الذين جرفهم تيار الانبهار بكل ما هو غربي ، والذين يحكن أن نطلق عليهم لفظ ( المستغربين ) في مقابل لفظ المستشرقين مع الاختلاف في مسار كل منها .

### رابعا: مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية:

من سيات هذه المرحلة ـ والتي تمتد الى يومنا هذا ـ الاستمرار في عقد المؤتمرات وتطوير أسلوبها ، وتوسيع دائرة عضويتها ، وكذلك زيادة عدد المجلات العلمية التي بدأت تصدر في كل بلد أوربي تقريبا ، وكذلك ازدياد نشاط أقسام الدراسات الشرقية في الكثير من الجامعات الغربية وذلك نتيجة للأعداد الكبيرة من الطلاب الوافدين على هذه الأقسام للاراسة العليا ، ومن الملاحظ على هذه المرحلة أيضا هو الأنخفاض الواضح في مستوى عمل المستشرقين ، حيث لم نعد نرى ذلك النوع من المستشرقين الذي يفنون أعارهم في تحقيق مخطوط أو في جمع شتات مؤلف مندثر في أماكن متفرقة . على أن المنهج الاستشراقي في الكتابة والبحث لا يزال ـ حتى

يومنا هذا \_ يسير على نفس المنهج اللي بدأ به ، كها أن الارتباط بين المستشرقين وبين الدوائر الاستعارية والكنيسة لا ينزال قائها حتى الآن ، بل رجما زاد هذا الارتباط كثيرا نتيجة للدعم المستمر من الحكومات الغربية ، والذي استطاع معه المستشرقون تغيير أساليبهم ووسائلهم ، وتطويرهما بتطور الظروف والأحوال .

ومن الجدير بالذكر هنا هو أن الدعم المالي للاستشراق لم يأت فقط من الحكومات الغربية ، وإنما كانت هناك أيضا مساعدات أخرى وردت على المستشرقين من بعض الحكومات العربية أيضا \_ وإن كانت هذه متأخرة بعض الشيء \_ وقد تحدث الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي عن ذلك فأكد أن بعض الجامعات الغربية وخصوصا البريطانية منها قد تسلمت مبالغ مالية من بعض الحكومات العربية ومن هذه الجامعات العسوبية ومن هذه الجامعات الأوسط بجامعة كامبردج ، وذكر أن مدير مركز الشرق الأوسط بجامعة كامبردج قد اعترف بتسلمه لمنت عربية مع العلم بأنه نشر آراء ذكر فيها أن القرآن ليس وحيا إلهيا وإنما هو من إنشاء محمد نفسه ، وتساءل الطيباوي هل يعلم المتبرعون التعرب بأن هذا الأستاذ قد ورط نفسه في سياسات جنوب

الجزيرة العربية في الأيام الأخيرة للاستعمار البريطاني ، وشارك أيضاً في إذكاء الخلافات العربية الداخلية . . . . ، هذا وقد كانت هذه المساعدات قد وردت من الكويت ، الامارات العربية ، قطر ، السعودية ، وغيرها من الأقطار العربية الأخرى ، وقد تراوحت المبالغ المقدمة بين 2000 ،

ومع أن الاستشراق ظل بعد الحرب العالمية الثانية يسلك نفس الطريق الذي سار فيه من قبل ، فان دعوى تحرره من آثار السياسة والاستعار والتعصب ، وإثارة الشبهات حول المسلمين وتراثهم ، وأن عمل المستشرقين أصبح علميا خالصا ، لا تسلم لهؤلاء الذين يزعمون ذلك ، وأوضح دليل يرد عليهم دعواهم تلك الكتابات المعاصرة والتي لا تختلف في جوهرها عها كتبه المستشرقون في أخطر أيامهم وأشدها هجوما على الفكر الاسلامي .

وجملة القول أن الاستشراق ما دام ينطلق في أبحاثه من النظرة القائمة على أن الاسلام ليس دينا صحيحا ، وأن محمدا على السوجيه

<sup>(1)</sup> SECOND CRITIQUE OF ENGLISH -SPEAKING ORIENTALISTS A L TIBAWI - LONDON - 1979

المقصود نحو بلبلة أفكار المسلمين وغيرهم حول الاسلام ، فان دعموى الاتجاه العلمي الخالص للاستشراق في العصر الحاضر لا يمكن التسليم بها أو تصديقها .

## دوافع الاستشراق

يكاد يجمع جمهور الباحثين في موضوع الاستشراق على أنه بدأ بهدف ديني محض ، نشأ إثر شعور المسيحيين بالخطر نتيجة الانتشار السريع والواسع للاسلام ، ثم ازداد هذا الشعور قوة اثر فشل الصليبين في حملاتهم العسكرية ضد المسلمين ، الأمر الذي جعلهم يفكرون في غزو من نوع آخر ، يثارون به لهزيمتهم العسكرية ، ويحققون به سيطرة فكرية من شأنها أن تساعد في وقف التيار الاسلامي ، وذلك عن طريق اعطاء صورة خاطئة عن الاسلام تشكك المسلم في دينه ، وتبعد غير المسلم عن التفكير في اعتناق الاسلام .

غير أن الاستشراق أثناء رحلته التاريخية الطويلة مرت عليه عوامل أخرى غيرت أهدافه تبعا لتغير هذه العوامل ، فنجد أنه في تاريخ الاستشراق يبرز كل من الدافع الاستعاري ، والدافع السياسي ،

وأيضا الدافع العلمي ، وقبل أن أفصل هذه الدوافع أود الاشارة الى أن الاستشراق كان في الأصل محاولة لوقف التيار الاسلامي ، ثم تطور بعد ذلك للقيام بعمل مضاد للاسلام في دياره ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف تعاونت معه قوى الاستعمار والتبشير والصهيونية ، وهي كلها تعمل من أجل غاية واحدة ، هي إضعاف المسلمين وتشويه عقيدتهم ، والازراء بهم في كل المحافل الدولية ، ف ( الاستعماريوي أن المفهوم الاسلامي السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره . . . ، أما التبشير فانيه يستهدف الحيلولة دون توسع الاسلام وانتشاره حتى لا يكون منازعا أو منافسا للمسيحية في البلاد التي يحاول أن يقوم بالتبشير فيها ، . . . . . . . . . . وقد أضيف الى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التي تستهدف من سيطرتها على الاستشراق الحيلولة دون تجمع العرب في وحدة تقاوم الصهيونية وتواجمه اسر ائيل) <sup>(1)</sup> .

وبتتبع لما كتبه بعض الباحثين عن أعمال المستشرقين ، وما يسعون لتحقيقه من مآرب ، ومـدى صلتهــم بالاسـتعمار

<sup>( 1 )</sup> الاسلام في وحه التعريب ــ أنور الجمدي .

والتبشير ، وكذلك حال الدول الغربية قبل أن تنبت فيها نابتة الاستشراق والى حالها بعد ذلك ، نجد أن دوافع الاستشراق تتمثل في الآتى :

## أولًا: الدافع الديني:

كنت قد أشرت في موضوع نشأة الاستشراق الى أنه نشأ بجهود بعض الرهبان الذين تثقفوا في الأندلس ، ونهلوا من معارفها وعلومها ، والواصح أن هذه الجهود استمرت بعد ذلك ومعظم القائمين بها من الرهبان الذين تسخرهم الكنيسة لحدمة أهدافها الحقيقية وهي تشويه الاسلام ، وتوجيه المطاعن الى النبي على ، والدس في علوم المسلمين وتراثهم ، وذلك من أجل أن يثبت رجال الكنيسة لجمهور المسيحيين أن الاسلام دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قتلة وسفاكو دماء ، عيلون الى اشباع رغباتهم وملذاتهم الجسدية تنفيذا لتعاليم دينهم الذي يبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي ، واستمر عبدا المحبوم المركز على الاسلام والذي تحركه عصبية رجال الكنيسة الى أن أطل العصر الحديث باختراعاته وحضارته الجديدة التي زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين ، الأمر الذي اشتدت معه حاجة المستشرقين في هذا الوقت الى تشديد

الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من تزييف في عقائدهم وكتبهم المقدسة .

ولعله من المناسب هنا أن أذكر بعض آراء المستشرقين في هجومهم على العقيدة الاسلامية والتي تبرز بصورة جلية دور الدافع الديني في هذه الآراء ، ولكني سوف لا أناقش هذه الآراء أو أحاول اثبات بطلانها ، فالقارىء سيرى بوضوح زيف هذه الآراء ، وسيرى أيضا مدى سيطرة هذا الدافع على معظم كتابات المستشرقين وأبحاثهم ، يقول بروكلهان عن انتقال النبي على الرفيق الأعلى : ( وعلى الرغم من أن سنيه لم تكن قد تجاوزت الستين على الأكثر فقد تطرق الضعف الى نشاطه بسبب من المصاعب التي حفلت بها سنواته المنحرة وبسبب من الحياة الزوجية الواسعة التي عاشه ) (۱) ، المسلمون : ( إن الوحدانية التجريدية التي كانت الى حد كبير ويفسول عن عفيدة التسوحيد الخيالص لله التي كانت الى حد كبير أساس قوة الاسلام على غزو القلوب واكتساب الاتباع لم تنشأ الا تدريجا ولقد سبقت منا الاشارة الى نزوع النبي الأولي الى

<sup>( 1 )</sup> تاريح الشعوب الاسلامية \_ كار ل بر وكلمان \_ ص 67 .

الاعتراف بالآلمة المكية الرئيسية شفعاء عند لله ) (1) ، ويقول كوفين من جامعة واشنجتون في كلام له حول الاسلام: ( إن الشريعة الاسلامية التي دان بها وقدسها مائتان وثلاثة وثلاثون مليونا من الناس قد حفظت في تضاعيفها شرورا اجتاعية تثن منها الانسانية ومع هذا قدست الشريعة هذه الشرور باسم الدين ) (2) ، ويقول ماسينيون : ( إن الطلاب الشرقيين اللين يأتون إلى فرنسايج أن بلونوا بالمدنية المستحمة (3). هذه غماذج بسيطة جدا من أقوال كثيرة امتلأت مها مؤلفات المستشرقين ، وهي لم تصدر أبدا الا بدافع حقد صليبي غرسته الكنيسة في قلوب هؤلاء الباحثين منذ الصغر حتى يشبوا كارهين لهذه الشريعة ، وحاملين لواء الحرب ضدها ، والا فيا الداعي لذكر هذه الآراء التي يعوزها المنطق الصحيح ، والبرهان الدامغ وتكذبها الحقائق التاريخية التي سطرت تاريخ كل الأديان السابقة ، وهـنا القـول ليس من باب التعصب للاسلام ، ولكنه ايراد لشيء واقع أحس به كل متتبع لأبحاث

نفس المصدر السابق - ص 70.

<sup>(2)</sup> الاسلام والحصارة العربية \_ محمد كرد علي \_ ط 3 \_ ج 1 \_ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر \_ القاهرة \_ ص 15 .

<sup>( 3 )</sup> لمحات في الثقافة الاسلامية \_ عمر عودة \_ ص 192 .

الغربيين عن الاسلام ، واعترف به الغربيون أنفسهم في العديد من المناسبات ، يقول كارادي فو : ( إن محمدا ظل وقتا طويلا معروفا في الغرب معرفة سيئة ، فلم توجد خرافة ولا فظاظة الا نسبوها اليه )(1). ويقول برناردشو : ( لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الاسلام بطابع أسود حالك اما جهلا واما تعصبا انهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه فعندهم أن محمدا كان عدوا للمسيح ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأيي انه بعيد جدا من أن يكون عدوا للمسيح وانما ينبغي أن يدعي منقذ البشرية ) (2).

#### ثانيآ: الدافع الاستعماري:

عندما فشل أعداء الاسلام في حروبهم الصليبية لم يأسوا ولم يركنوا الى الراحة ، بل أخذوا يتحينون الفرصة لاستعمار المسلمين فكريا وسياسيا واقتصاديا ، ولما تم لهم الاستيلاء على بلاد المسلمين اثر الحرب العالمية الأولى ، بدأ

<sup>(1)</sup> نظرات استشراقية في الاسلام ـ د. محمد علاب ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ مقلا عن كتاب ( المحمدية ) للمارون كارادي فو .

<sup>(2)</sup> من مقال بعنوان ( الاستشراق والدراسات الاسلامية ) - عبد القهار العامى - مجلة كلية الدراسات الاسلامية - بعداد - سنة 93 هـ/ 73 م .

المستعمرون في تشجيع الدراسات الاستشراقية نظرا لحاجتهم الملحة الى فهم أوضاع المسلمين في البلاد التي استعمروها ، حتى يتسنى لهم العمل على اضعاف روح المقاومة لديهم ، وبث الفرقة والوهن في صفوفهم ، وقد اتخذوا لذلك وسائل عديدة ، أهمها التشكيك بتراث المسلمين وحضارتهم وقيمهم وعاداتهم ، والتبشير بحضارة الغرب المادية والانفتاح عليها ، وكذلك تفتيت وحدة المسلمين عن طريق احياء مفاهيم جديدة تثير الفرقة والشقاق ، وتذكي الحساسيات الدينية والطائفية ، والمثل واضح في سوريا ولبنان وشبه الجزيرة العربية .

ولعل أخطر هدف استعاري حاول المستشرقسون وأتباعهم تنفيذه هو محاولة القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ، وأحد المقومات الأساسية للوحدة العربية ، فلقد تعرضت هذه اللغة الى محاولات عديدة كادت أن تعصف بها وتطمسها في أجزاء كثيرة من بقاع العالم العربي ، وأخص بالذكر تونس والجزائر والمغرب ومحاولات الفرنسة في هذه الدول . وفي الوقت الحاضر يقوم المستشرقون بتبني ما هو أخطر من ذلك وأفظع ، فهم يحاولون اجهاض اللغة العربية عن طريق توجيه الدراسات العليا في كثير من الجامعات العربية عن طريق توجيه الدراسات العليا في كثير من الجامعات العربية

والغربية من دراسة الفصحى الى دراسة العامية ، وتعميق البحث في اللهجات المحلية التي يتعامل بها كل قطر ، فالمستشرقون الذين يحتلون كراسي الدراسات الشرقية في الكثير من الجامعات الغربية يرفضون أي اتجاه يرمي الى تعميق البحث في الفصحى ، ومحاولة تجديد أساليب وطرق تدريسها ، ويشجعون ويرعون كل دراسة تقوم في الاتجاه المقابل ، يقول الأستاذ انور الجندي : ( وفي مختلف الدعوات الخطيرة التي أحدثت تحولات فاصلة في تاريخ الاسلام والمسلمين في العصر الحديث كان الاستشراق هو قائد الشبهة ثم يتبعه الكتاب الذين الحديث نان الاستشراق هو قائد الشبهة ثم يتبعه الكتاب الذين وكتبون بالعربية من أهل التبعية والتغريب والشعوبيين ، وكان ذلك واضحا في الدعوة الى العامية بدأها ويلكوكس وويلمور وغيرهم وتابعها سلامة موسى ولطفي السيد ، وفي الدعوة الى الاقليميات والقوميات الضيقية والفينيقية والفرعونية بدأها فمبري وكروم وتابعه طه حسين ولطفي السيد وغيرهم ) "(ا) .

#### ثالثا: الدافع الاقتصادى:

يرى بعض الدارسين لميدان الاستشراق أن هناك دافعا اقتصاديا وراء تشجيع الدراسات الاستشراقية ، وذلك يتمثل

<sup>(1)</sup> الاسلام في وحه التعريب ـ أنور الجندي .

في رغبة المستعمرين في غزو البلاد الاسلامية اقتصاديا مهدف الاستيلاء على ثر واتها الطبيعية ومؤسساتها الاقتصادية ، واماتة صناعاتها المحلية ، حتى تكون البلاد الاسلامية ميدان استهلاك لما تنتجه الأيدى الغربية فكان أن شجعوا الدراسات الاستشراقية حتى تكشف لهم عن طبيعة العقلية العربية وكيفية التعامل معها(1) ، ولعبل بعضهم يعتبرف بدعم المؤسسات الرسمية للمستشرقين فيقول رودي بارث : ﴿ وَنَحَـن جَمِيعًا المتمتعين بهذه النظم نعترف شاكرين بأن المجتمع ممشلا في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحمت تصرفنا الامكانيات اللازمة لاجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضهار) (2). وقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة 1639 م إلى المسئولين في جامعة كمبردج والتي طلبوا فيها انشاء كرسي للدراسات العربية والاسلامية ما يلى: (يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة وذلك بالعمل من اجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية وتوسيع حدود الكنيسة \_ اذا شاء الله \_ في الوقت المناسب ونشر

<sup>(1)</sup> أحنحة المكر الثلاثة ـ عبد الرحمن الميدامي ـ ص 93 .

<sup>(2)</sup> الدراسات العربية والاسلامية في الجامعًات الألمانية \_رودي بارث \_ ترجمة د. مصطفى ماهر \_القاهرة .

هدى الدين المسيحي بين اولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة ) (1).

رابعا: الدافع السياسي:

بعد كفاح ونضال متواصل استطاعت بعض الأقطار العربية والاسلامية التخلص من الاستعار الغربي ونيل استقلالها ، وعند ذلك اقيمت علاقات دبلوماسية بين البلاد الغربية والاسلامية ، واقتضى التفكير الاستعاري أن يكون في قنصليات الدول الغربية وسفاراتها رجال لهم باع طويل في ميدان الدراسات الاستشراقية ، وذلك لكي يتحمل هؤلاء مهمة الاتصال برجال الفكر والثقافة للامتزاج بهم ، وبث الاتجاهات السياسية المختلفة بينهم حتى يكونوا أداة منفذة لكل خططات الاستعار وأساليبه ، وكم كان هذا العامل أساسا في تفجير الكثير من الصراعات الفكرية التي نتج عنها تغير في الحكومات أو تغير في بناء هيكل الدولة ، والمثل واضح في الانقلابات العسكرية وفي اثارة الفتن التي تحدث من آن لآخر في المنتشرقون على اتصال دائسم بوزارة الخارجية ووزارة في المستشرقون على اتصال دائسم بوزارة الخارجية ووزارة

<sup>(1)</sup> المستشرقون والاسلام - د. عرفان عبد الحميد - ص 13 ، 14 .

المستعمرات ، يترددون على رجالاتها لمعرفة ما جد وتغير من القرارات ، وأن هذه البعثات التي يقومون بها الى بلاد الشرق بين حين وآخر ليست بعثات علمية كما يزعمون تقصد وجه العلم خالصا ، وإنما هي في الحقيقة بعثات سياسية مصدرها هذه الرؤوس المفكرة الجاثمة في الوزارتين المذكورتين ، تطوف انحاء الشرق باسم العلم منقبة باحثة ، حتى اذا ما ملأت حقائبها بما تريد عادت الى وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات تصب فيها معلوماتها طروبة فخورة ! وكثيرا ما كانت هذه البعثات ( العلمية ) تمنع من دخول بعض البلاد الشرقية ، وقد تطرد منها أحيانا على أسوأ حال ) (۱) .

### خامسا: الدافع العلمي:

هناك قلبة قليلة من المستشرقين الذين أقبلوا على دراسة العلوم العربية والاسلامية بدافع علمي محض ، بغية الاستفادة من تراث وحضارة هذه الأمة وافادة أقوامهم بهما ، وهؤلاء بالطبع كانوا قليلي الأخطاء اذا ما قيسوا بجمهرة المستشرقين الآخرين ، والسبب في قلة أخطائهم أنهم أقبلوا على البحث

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان ( أعراص المستشرقين ) ـ محمد روحي فيصل ـ مجلة الرسالة ـ العدد 111 ـ السمة 3 ـ جمادى الأولى 1354 هـ/ أغسطس 1935 ص 1331 .

بروح علمية بعيدة عن الأهواء السياسية والتعصبات القومية والدينية، فجاءت مؤلفاتهم مصبوغة بصبغة الحقيقة العلمية، وأثبتت بكل وضوح للعالم الغربي حقيقة هذا الدين وأصالة هذه الحضارة ، وأثبتت في المقابل زيف وافتراء بقية المستشرقين وحقدهم ، يقول كارلايل في كتابه الأبطال : ( لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الأسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسبول ما زالت السراج المنبر مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا . أكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هؤلاء الملايين الفائتة الحصر والاحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أمَّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا ، فلو أن الكذب والغش ير وجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول فها الساس إلا بله ومجانبن ، وما الحياة الا سخف وعث وأضلولة ، كان الأولى بها ألاّ تخلق) (1). ويقول دريول في كتابه ( المسألة الشرقية ) : ( في الزمن الذي كانت فيه أيطاليا تتخبط في

<sup>(1)</sup> الاسلام والحضارة الغربية . محمد كرد علي ـ ص 65 .

دياجي الحروب ، ولا سياعلى عهد برابرة المملكة المقدسة قبل انتشار النور العظيم الذي انبعث من نهضتها ، كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط أعظم وأخصب من الفتح الروماني وقد دامت ممالكه قرونا ، وكانت مصانعه أعظم أثرا من مصانع رومية ، وما هي الاعنوان ثقافة عالية جدا وقد كان لمم الأثر المشهود الى آخر القرن الخامس عشر ) (1) . على أن أمثال هؤلاء الكتاب المنصفين لا يوجدون الاحين يكون لهم من الموارد الخاصة التي تمكنهم من التخلص من سيطرة المؤلاء الكهنوتية والاستعارية ، ثم ان مؤلفات أمثال هؤلاء لم تكن تلقى رواجا لا عند رجال المدين ولا رجال السياسة ولا في الأوساط العامة ، فهي اذا لا تدر عليهم ربحا ومن ثم كان أمثال هؤلاء الكتاب قليلين جدا ، وكانوا في أغلب الأحيان يلوذون بالصمت خوفا على أنفسهم وأولادهم من الموت جوعا .

## سادسا : دوافع أخرى :

يرى بعض الباحثين أن للاستشراق دوافسع أخرى جانبية ، قد يكون بعضها شخصيا متصلا بمزاج بعض الناس

<sup>(1)</sup> المصدر السابق.

الذين توفر لهم المال والوقت ، فاتخذوا الاستشراق وسيلة للتنقل والترحال بين الأمم الشرقية للاطلاع على ثقافتها وحضارتها . وهناك نوع آخر من المستشرقين دخلوا هذا الميدان استرزاقا عندما ضاقت بهم سبل العيش في أماكن أحرى ، ومنهم من دخل هذا الميدان نتيجة عدم قدرته الفكرية على الوصول الى مستوى العلماء في العلوم الأخرى ، ومنهم من دخله تخلصا من مسئولياته المباشرة في مجتمعه المسيحي (١) . على أن هذه الأصناف لم تكن بالكشرة حتى يمكن اعتبار هذه الدوافع رئيسية في ميدان الاستشراق ، بل كانت قليلة لا تكاد تذكر ، ولذا رأيت الاشارة اليها دون التفصيل فيها وذكر شواهد عليها .

#### اهداف الاستشراق

إن معرفة الدوافع الحقيقية للاستشراق هي التي تحدد الهدف الذي يسعى اليه المستشرقون بعنايتهم بدراسة الاسلام والمسلمين ، فهذا العدد الهائل من المستشرقين في كثير من بلاد العالم الذين سخروا كل جهودهم ، بل وأفنوا أعهارهم في

<sup>(1)</sup> لمحات في الثقافة الاسلامية ـ عمر عودة الخطيب ـ ص 198.

دراسة وتحليل حضارة غريبة عنهم ، بالتعاون مع الدوائر الاستعارية التي تغدق عليهم الأموال ، وتمدهم بكل الامكانيات ، كل ذلك يحمل في طياته أهدافا كبيرة يسعى هؤلاء لتحقيقها والاستفادة منها ، ولعل أهم هدف سعى اليه المستشرقون في فترة من فترات التاريخ ، بل ولا زالوا يسعون اليه الى الآن ، هو محاولة اعطاء صورة مشوهة عن الاسلام كدين ، وعن الشرق كحضارة ، وعن العربية كتراث وقومية ، وذلك حتى يمكن من خلال هذه الصورة تنفير الكثيرين عمن اشرأبت نفوسهم لتفهم الاسلام واعتناقه ، وفي تحقيق هذا الهدف خدمة كبيرة للكنيسة وللحركة التبشيرية بصفة عامة .

ثم يأتي بعد ذلك الهدف الأكبر وهو القاضي بتحطيم الاسلام من داخله عن طريق تشكيك المسلمين في كتابهم ونبيهم وتراثهم ، حتى يتم فصلهم عن دينهم ، وتفتيت وحدتهم ، لأن في تمسكهم بهذا الدين وحدة وقوة من شأنها أن تهدد الكيان الغربي ولأن في تمسكهم بهذا الدين رقيا وتقدما وحضارة مادية ومعنوية من شأنها أن تؤثر في مجرى حضارة الغرب المادية الزائفة ، وهذا التخوف والحذر من العقيدة

الاسلامية لم يعد سرا ، بل أعلن عنه كثير من المستشرقين في بحوثهم ومؤلفاتهم ومجلاتهم العلمية ، وها هي مجلة العالم الاسلامي تقول : ( إن شيئا من الخوف يجبر أن يسيطر على العالم الغربي ، ولهذا الخوف أسباب منها : أن الاسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عدديا بل هو دائما في ازدياد واتساع ، ثم ان الاسلام ليس دينا فحسب بل ان من أركانه الجهاد ولئم يتفق قط أن شعبا دخل في الاسلام ثم عاد نصرانيا) (1) . هذا هو الاسلام في المفهوم الغربي ، ومن ثم فان كل الجهود يجب ان تتوحد لتحويل المسلمين عن التمسك بعقيدتهم ، ولتحقيق هذا الهدف قاموا بالخطوات التالية :

أولاً : التشكيك في رسالة محمد رابعا وذلك واضح في مؤلفات المستشرقين اللذين يحاولون ابعاد صفة النبوة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويفسرون بعض مظاهر الوحي التي كان يراها الصحابة عند نزول الوحي على النبي بأنها نوع من الصرع أو التخيلات الذهنية ، وأحيانا يرجعونها الى أمراض نفسية قديمة ، وفي هذا المعنى يورد الدكتور عبد الحليم محصود نص بعض الأسئلة الموجهة الى بعض

<sup>(1)</sup> نقلا عن كتاب ( أجنحة المكر الثلاثة ) ـ عبد الرحمن الميدامي .

المستشرقين ، رأيت ان أقتطف منها هذا الجزء : (ما هي العوامل في بعثة محمد ورسالته ؟ إنها نوبات الصرع كما يفتري نولدكه . وكيف تكون نوبات الصرع عاملا في البعثة ؟ سلوا عن ذلك نولدكه . ولكن المستشرق ( دوغويه ) يعتقد أن هذا بعيد الاحتال ، ويعلل ذلك بأن الحافظة في المصروعين تكون معطلة ، على حين أن حافظة محمد كانت غاية في الجودة كلما هبط عليه الوحي . ثم يقول الدكتور عبد الحليم : ولا نكاد نتهي من هدم ( نوبات الصرع ) حتى يؤكد ( اسبرفر ) أنها نوبات هستيريا اشتهرت باسم شوتلاين ) (1) .

هذا هو تخبط المستشرقين في تفسير مظاهر الوحي التي كانت تظهر على النبي على ، ومع أنهم لا ينكرون ظاهرة الوحي أصلا ، لأنهم يؤمنون بأنبياء آخرين فهم إما يهود أو نصارى ، ولكنهم عندما يتحدثون عن رسول الاسلام تتحرك فيهم ظاهرة التعصب الأعمى فلا يجدون تفسيرا لذلك غير ذلك الهذيان الذي أوردت نموذجا منه .

ثانيا: ولا يقف التشكيك عند صحة الرسالة المحمدية

<sup>(1)</sup> أوربا والاسلام ـ د. عبد الحليم محمود ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ص 126 وما بعدها .

بل يتعداه الى التشكيك في دستور الاسلام الخالد والمعجزة الباقية القرآن الكريم ه فهم يرون أن محمدا استمد القرآن من كتب الأمم السابقة ، وحين يواجهون بالردود العلمية الصحيحة لا يجد الكثير منهم الا أن يقول إن القرآن راجع الى ذكاء محمد وعبقريته وقوة بيانه ، وهذا نموذج من آرائهم حول القرآن الكريم ، يقول ولهوزن : ( يبرز في القرآن شأن القدرة الالهية تارة ، وشأن العدل الالهي تارة أخرى ، وذلك بحسب ما كان يحس به النبي ( عليه السلام ) بما في ذلك من تناقض لأنه لم يكن فيلسوفا ولا واضعا لمذهب نظري في العقائد )(١) ، ويقول دي بوير : ( قبل الرعيل الأول من المؤمنين ما في القرآن من تناقض وهو الذي نعلله نحن بتقلب الظروف التي عاش فيها النبي ( عليه السلام ) وباختلاف أحواله النفسية (٤) ) .

ثالثا: التشكيك في الدين الاسلامي نفسه ، وأنه ليس دينا منزلا من عند الله ، بل هو مستمد من الديانتين اللتين سبقتا ظهور الاسلام وهما اليهودية والنصرانية ، ويعللون لذلك

<sup>( 1 )</sup> المستشرقون والاسلام ـ د . عرفان عبد الحميد ـ ص 17 .

 <sup>(2)</sup> نفس المصدر السابق - ص 18.

بوجود نقاط التقاء بين الديانتين السابقتين والدين الاسلامي ، وهذا ليس بمستغرب فهو راجع الى وحدة الرسالات ومصدرها الواحد وهو لله تبارك وتعالى ، ولكن الغرابة في قولهم ان الرسول عليه السلام قد اتصل بعناصر يهودية ونصرانية ، واستقى منها بعض المفاهيم والعقائد التي وضعها في القرآن، فهذا عبارة عن تشكيك حاقد يحاولون به نسبة القرآن إلى الرسول ﷺ ، واثبات أن القرآن لم يأت بجديد بقـدر ما هو اعادة للديانتين السابقتين ، وهذا هذيان ولغط لا يحتاج حتبي الى مناقشة أو رد ومن هذه الناذج قول جولد تسيهر: ( تبشير النبي العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناص البهودية والمسحبة وغيرها والتبي تأثير بها تأثيرا عميقيا)! ، ويقيه ل كار ل بروكلمان : ( وليس من شك في أن معرفته ( أي الرسول عليه السلام) بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود ، وحافلة بالأخطاء وقد يكون مدينا ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي ولكنه مدين بذلك دينا أكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه

<sup>( 1 )</sup> العقيدة والشريعة \_ أجناس جولد تسيهر .

بانجيل الطفولة وبحديث أهل الكهف السبعة وحديث الاسكندر وغيرها من الموضوعات التي تتوافر في كتب العصر الوسيط)(1).

رابعا: التشكيك في صحة السنة النبوية ، وذلك لما عثله من دعامة متينة في صرح الشريعة الاسلامية ، لكونها المصدر الثاني من مصادر التشريع ، ويستند المستشرقون في دعوتهم هذه الى ما دخل في رواية الأحاديث النبوية من دس وتحريف ، متناسين جهود العلماء في تصحيح السنة واثبات ما نسب الى الرسول مما اختلق عليه . ولا مجال لفصل القول في هذا الموضوع ، ويمكن الرجوع الى بعص المصادر التي اهتمت به وكتبت فيه كتابة علمية رصينة ) (2).

خامسا: الى جانب كل ما تقدم كان هناك تشكيك في معظم جوانب التراث الاسلامي العلمي والحضاري، فهم يرون أن الفقه الاسلامي مستمد من الفقه الروماني، ويرون أن اللغة العربية غير قادرة على مسايرة التطور العلمي حتى تظل

<sup>( 1 )</sup> تاريخ الشعوب الاسلامية \_كارل بروكلمان \_ ص 39 .

<sup>(2)</sup> يرجع في هذا الموصوع الى كتـاب ( السنة ومكانتهـا في التشريع الاسلامي) د . مصطفى السباعـي ، ففيه حديث مفصـل حول عطـرة المستشرقين وافتراءاتهم حول صحة السنة النبوية .

الأمة العربية عالة على المصطلحات الغربية ، وكل ذلك كان بهدف اضعاف ثقة المسلمين بتراثهم الفكري والحضاري ، وبث روح الشكوك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ، وذلك حتى يتسنى للاستعار تشديد وطأته عليهم ، ونشر ثقافته الدخيلة بينهم .

# وسائل الاستشراق

لتحقيق الأهداف السالفة الـذكر اتجه الاستشراق الى استعمال كل الوسائل التي من شأنها النيل من الاسلام وأهله ، وقد تنوعت وسائلهم واختلفت باختلاف الأوقات والظروف ، ومن تلك الوسائل ما يلى :

- 1 ـ تأليف الكتب في الموضوعات المختلفة التي تتحدث عن الاسلام والمسلمين ، معتمدين في ذلك على المامهم البسيط باللغة العربية ، مما أوقعهم في الكثير من الأخطاء المقصودة وغير المقصودة ، فكتبوا في الدراسات القرآنية وفي الحديث والفقه والفلسفة والتصوف واللغة والأدب الخ .
- اصدار المجلات العلمية التي تحوي الكثير من البحوث
   حول الاسلام وحول الشرق عموما ، ومن أشهر تلك
   المجلات ( مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ) بلندن ، ومجلة

- ( الجمعية الشرقية الأمريكية ) ومجلة ( جمعية الدراسات الشرقية ) بمدينة جامبير بولاية أوهايو ، ومن أخطر المجلات ذات الطابع الاستشراقي الحاقد مجلة ( العالم الاسلامي ) التي انشأها عميد التبشير العالمي ( صمويل زويمر ) سنة 1911 م ، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة تحمل نفس الاسم وتصدر بنفس الروح .
- 5 امداد الارساليات التبشيرية بما تحتاج اليه من الخبراء المستشرقين الذين يساهمون بخبرتهم في هذا المجال ، فالاستشراق عبارة عن هيئة استشارية عليا تعمل على رسم الخطط واظهار الدراسات التي يجدهما المبشرون وسيلة جاهزة للعمل بقوة ضد الاسلام محاولين بذلك ايقاف توسعه ، ولعله من العسير جدا الفصل بين الاستشراق والتبشير ذلك أن زعهاء حركة الاستشراق هم أيضا أعضاء مرموقون في حركة التبشير ، كها أن الاثنين يسيران بتوجيه واحد ، مستمد من الدوائر الاستعهارية والكنسية ، وكذلك يتلقيان مواردهها المالية من مصدر واحد ، ولذلك فلا غرابة أن يكون الاستشراق عونا وسندا للتبشير في انجاح مهمته .
- 4 \_ القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ،

ومحاولة توثيق علاقاتهم بالجامعات العربية بما جعلهم ـ وتحت وطأة الاعجاب العربسي بكل ما هو غربسي في العصر الحديث \_ يستدعون لالقاء المحاضرات في الجامعات العربية والاسلامية ، ليتحدثوا عن الاسلام في ديار الاسلام بروح بعيدة عن الاسلام ، يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي : ( هـذا من تقلبات الدهـ وعجائب أمره ، لقد مر على المسيحيين في أوربا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس ، ليتعلموا كتامهم المقدس - التوراة - من علماء المسلمين . أما الآن فقد انقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون ـ واأسفاه ـ يرجعون الى أهل الغرب (أوربا وأمريكا) يسألونهم : ما هو الاسلام وما هو تاریخه ، وما هي حضارته ؟ ليس هذا فقط ، بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العسربية منهم ، ويستوردونهم لتمدريس التماريخ الاسلامي . وكل ما يكتبونه عن الاسلام والمسلمين لا يجعلونه مادة للدراسة في كلياتهم وجامعاتهم فقيط ولكن يؤمنون به ايمانا راسخا مع أنهم \_ أعنى أهل الغرب \_ قوم لا يسمحون لأحد اذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل

- فيها يتعلق بدينهم وتار يخهم ولا في أتفه الأمور) <sup>(1)</sup> .
- 5 ـ نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد العربية
   والاسلامية ، وقد استطاعوا أن يستأجروا عددا من هذه
   الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم .
- 6 محاولة الوصول الى المؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والاسلامية وذلك كتسلل البعض منهم ووصولهم الى المجامع اللغوية ، كالمجمع اللغوي في مصر الذي كان من ضمن أعضائه المستشرق ( جب GIBB ) والمستشرق ( ونسنسك WENSINK ) والمستشرق ( ماسينيون MASINYON ) ، وكان أيضا للمستشرقين نصيب بارز في عضوية المجمع العلمي العربي في دمشق ، ومن أشهر من نال شرف هذه العضوية : المستشرق الايطالي ( كيتاني ر بيدرسون PEDRSON ) والمستشرق الايطالي ( كيتاني للحقلما ) والمستشرق الكولومبي ( جيتهل خطورة وجود مثل هؤلاء في مجامعنا اللغوية والعلمية ،

<sup>(1)</sup> المحات في الثقافة الاسلامية - عمر عودة الخطيب - نفلا عن كتاب ( الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ) - ص 271 .

فأثاروا الخصومات والزوابع التي أدت الى تنبه باقي العلماء وبالتسالي الى طرد هؤلاء الدخسلاء من عضوية هذه المجامع ، ومن الأمثلة على ذلك تلك المناقشة التي أثارها الدكتور الطبيب حسين الهراوي في المجمع اللغوي في مصر والتي انتهت بخروج المستشرق وينسنك من عضوية المجمع (۱) .

- 7 عقد المؤتمرات الاستشراقية التي يتدارسون فيها كيفية تحسين خططهم وتطويرها وفق ما يستجد من ظروف جديدة في الوسط الذي يعملون فيه ، وقد بدأت هذه المؤتمرات منذ حوالي سنة 1873 م ولا تزال تعقد دوريا الى الآن وفي أماكن مختلفة من العالم .
- 8 ـ انشاء الموسوعة الاسلامية ، وهو عمل جاء نتيجة تخلي القادرين من المسلمين عن كتابة مشل هذا العمل المهم والضروري لكل أمة ، الأمر الذي وجد معه المستشرقون ميدانا لا يزاحمهم فيه أحد ، فأنشأوا دائرة المعارف الاسلامية ، وأصدروها بعدة لغات ، واستطاعوا ان يبثوا

<sup>(1)</sup> أ ــ الفكر الاسلامي وصلتـه بالاستعمارالغرىي ــ د. محمدالبهـي ــ ص 353 وما بعدها .

ب ـ الاسلام في وجه التغريب ـ أنور الجندي ـ ص 153 .

فيها ما شاؤوامن سمومهم وأفكارهم ، ورغم ذلك ـ ومع الأسف ـ فان هذه الموسوعة تعتبر مرجعا هاما لكشير من مثقفي الأمة العربية والاسلامية حتى هذه الساعة .

9 - استيلاؤهم على كراسي الدراسات العربية في الجامعات الغربية ، فمن المعلوم انه يوجد بالجامعات الغربية أقسام للدراسات الشرقية ، وهذه الأقسام في الغالب يتزعمها مستشرق يوجه الأبحاث حسب أهوائه ورغبته ، وقد ذكر الدكتور السباعي أنه التقى بالبروفوسور اندرسون ، وأخبره أنه أسقط أحد الطلاب عندما تقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التشريع الاسلامي من جامعة لندن وسبب الاسقاط أن هذا الطالب برهن في رسالته على أن الاسلام أعطى للمرأة حقوقها الكاملة ، وذلك أمر لا يعجب استاذه ( اندرسون ) ، الذي قال : إن هذا الطالب يقول ان الاسلام عنح المرأة كذا ، وقرر الاسلام للمرأة كذا ، فهل هو ناطق رسمي باسم الاسلام ؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام (۱) . ومن خلال ذلك نرى كيف يتحكم هؤلاء المستشرقون في خلال ذلك نرى كيف يتحكم هؤلاء المستشرقون في

<sup>(1)</sup> السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ـ د. مصطفى السباعي ـ ط 2-المكتب الاسلامي ـ بيروت ـ 1976 ـ ص 13 ·

الدراسات والأبحاث التي تكتب تحت اشرافهم ، وكيف يرفضون كل انصاف للاسلام ، ولا يتورعون في اجهاض أي محاولة فكرية تجلي عن المفاهيم الاسلامية كل ما علق بها من الشوائب والأوهام .

# اصناف المستشرقين

إن الدارس لهذا الموضوع سوف يجد أمامه في أغلب الافتراضات ثلاثة أصناف من المستشرقين :

أ \_ صنف كتب في علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية مبتعدا بذلك عن المنهج العلمي ، ومتأثرا في كل ما كتب بروح العداء التي زرعثها فيه الكنيسة .

ب ـ صنف كتب بروح علمية محاولا افادة قومه بما يكتب عن هذه الحضارة ، ونتيجة لسيطرة السروح العلمية عليه وابتعاده عن تأثير الكنيسة فقد أكن الحب والاعجاب للاسلام كشريعة ودين ، ولكنه لم يسلم ، وقد يسجل على هذا الصنف وقوعه في بعض الأخطاء غير المقصودة ، نتيجة عدم اتقان اللغة العربية وفهم أسرارها .

ج \_ صنف كتب بروح علمية صادقة ، ودرس الاسلام دراسة

عميقة حتى اهتدى الى اعتناق الاسلام ، وأصبح سيفا بارزا من سيوف الاسلام ، يدافع عنه بكل ما أوتي من امكانيات ، ويرد الشبه والمكائمد التي يثيرها اعداء الاسلام ، وهي مهمة تخلى عنها الكثير من مسلمي الوراثة الذين ورثوا الاسلام عن آبائهم وأجدادهم .

ويذهب بعض المعاصرين الى أن المستشرقين يمكن تصيفهم الى ثلاث فئات: ( فئة قدمت للعالم أبحاثا قيمة عميقة ، وفي نفس الوقت كانت عادلة في حكمها ، متزنة في دراستها ، منصفة في نظرتها ، فأشادت بالاسلام وبالرسول وبحضارتنا العربية الاسلامية . وهناك فئة ثانية تعمدت الاساءة حينا أمسكت بالقلم لدراسة تاريخنا وحضارتنا وان كانت في نفس الوقت قد توصلت الى أبحاث ذات قيمة علمية ، أما الفئة الثالثة فقد وقعت في المحظور ، ولم تنصف الاسلام وتاريخه وحضارته ، ولكن بدون عمد أو قصد ، أما اللغة العربية ) ". ويرى باحث آخر أن المستشرقين ضروب اللغة العربية ) ". ويرى باحث آخر أن المستشرقين ضروب ثلاثة أيضا : ( ضرب لم يملك ناصية اللغة فأخطأ في نشر

<sup>(1)</sup> المستشرقون والتاريخ الاسلامي . د. علي الخربوطلي ـ ص 121 .

الكتب وفي فهم النصوص ولكنه حفل بأمور شكلية لا فائدة منها ـ ضرب أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين فوجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم أو ما يسعون اليه ، ومن المؤسف أن يسخر هؤلاء العلم الذي يسمو به الانسان لاذلال الانسنان أو استعباده أو الطعن في تراثه وعقيدته بغير الحق ـ فريق أوتي سعة العلم والتمكن من العربية والاخلاص في البحث والتحرر والانصاف ) (1) . أما الاستاذ مالك بن نبي فيرى أن أي دراسة لهذا الموضوع لا بد وأن تصنف المستشرقين الى نوعين :

أ ـ من حيث الزمن طبقة القدماء مثل جربر دوريباك والقديس توماس الأكويني ، وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو وجولد زيهر .

ب من حيث الاتجاه العام نحو الاسلام والمسلمين لكتاباتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها )(١).

<sup>(1)</sup> المنتقى من دراسات المستشرقين ـ صلاح الدين المنجد ـ جـ 1 ـ ط 2 ـ دار الكتاب الجديد ـ ببروت ـ 1976 م ـ ص 1 .

<sup>( 2 )</sup> انتاج المستشرقين ـ مالك بن نبي ـ مكتبة عمار ـ القاهرة ـ 1970 م ـ ص

ولنعد الآن الى تصنيفنا الأول لنلقي الضوء على كل صنف وذلك بذكر بعض البارزين في كل صنف ، فمن الصنف الأول الذين اشتهروا بطابع العداء وهم كثيرون يصعب التعرض لهم بالتفصيل يأتي المستشرق القسيس الأب لامانس ( 1862 - 1937 ) الذي قال عنه الأستاذ المرحوم عمد كرد على : ( عاهد لامانس تاريخ الاسلام على مناقضته ، وتمحض للحطمن قدر العرب منذ عرفوا بين الأمم )(1) ، وفي هذا المقام أيضاً يبرز اسم جولد تسيهر وشاخت وديلاسي أوليرى ، وكثيرون غيرهم .

أما من الصنف الثاني فاننا نجد الكونت هنري دي كاستري الذي درس الاسلام دراسة عميقة وكتب عنه كتابا قيا نشر بعنوان ( الاسلام سوانح وخواطر ) ترجمه المرحوم فتحي زغلول ، وفي هذا الكتاب تحدث عن كثير من جوانب الاسلام سواء أكان ذلك فيا يتعلق بالرسول هي ، أو فيا يتعلق بالتعاليم الاسلامية ، وقد تحدث - فضلا عن ذلك عن آراء مواطنيه خصوصاً القدماء منهم في صورة من السخرية

<sup>(1)</sup> الاسلام والحضارة العربية - محمد كرد على - .

والتهكم (١) ، ومن هؤلاء أيضاً أديب روسيا الكبير ( تولوستوى ) الذي عرف حقيقة المدين الاسلامي وعرف أيضاً الحملات الظالمة التي يشنها الحاقدون على المدين الاسلامي وعلى الرسول على فكتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به ، وتحدث عن رسوله الـذي نال اكباره وكان جزاؤه على ذلك \_ أي على كلمة الحق \_ أن حرمه البابا من رحمة الله فكان ذلك كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطبا الأديب الكبير: ( فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس: أنك لسب من القوم الضالين )(2) ، غير أن المحير في الأمر هو لماذا لم يعتنق أمثال هؤلاء الاسلام ؟ ان آراءهم تعبر عن اقتناعهم بهذا الدين واعجابهم به ، ولكن ربما ولأمور اجتاعية أو مادية أو سياسية أحيانا خاف هؤلاء من أن يعلنوا اعتناقهم للاسلام ، فالكنيسة ومؤسساتها سوف تشن عليهم حربا عنيفة تبدأ من الاحتقار والازدراء لهم ولما ينتجون ، وتمتد الى قطع المساعدات المالية والى العزل من الوظائف ، الى غير ذلك من الوسائل التي لا يستطيع معها أمثال هؤلاء الصمود أمام التيار الكنسي الحاقد،

<sup>(1)</sup> أوربا والاسلام ـ د . عبد الحليم محمود ـ ص 54 . (2) نفس المصدر السابق ـ ص 66 .

ــــن استعدار السالي د اس ۱۵۵

يقول اللورد هيدلي ربما اجابة على السؤال المطروح: ( انني أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشيء عن التغيير تآمرا على منعهم من اظهار معتقداتهم ) (١).

أما الصنف الثالث وهم الذين هدتهم دراستهم للاسلام فنجد في مقدمتهم اللورد هيدلي الذي كان لإسلامه ضجة كبيرة نظراً لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج في التفكير وترو في الأمور ، يقول اللورد مبينا سبب رفضه للمسيحية واعتناقه الاسلام : ( عندما كنت أقضى ـ أنا نفسى ـ الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية كنت أشعر دائما أن المدين الاسلامي به الحسن والسهولة وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت ) ، ويقول أيضاً : ( يجب عليَّ أن أعترف أيضاً أن زيارتي للشرق ملأتني احتراماً عظياً للدين المحمدي السلس الذي يجعل الانسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة لا في أيام الآحاد فقط ) (2) ، ومن هؤلاء أيضاً ( الفونس اتيان دينيه ) الذي أعلن السلامه في ( الجديد ) بمدينة الجزائر سنة

<sup>( 1 )</sup> أوربا والاسلام ـ د . عبد الحليم محمود ـ ص 52 .

<sup>( 2 )</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 69 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1927 م وتسمى باسم ناصر الدين دينيه ، ومن هؤلاء أيضاً (رينيه جينو) الذي أسلم وسمى بعد اسلامه باسم الشيخ عبد الواحد يحيى .

## فضل المستشرفين

إذا كنت قد ذكرت سابقا أهداف المستشرقين عموما ، وعددت الجوانب السلبية التي تغلب على بحوثهم ودراساتهم فان المنهج العلمي في البحث يحتم على أن أذكر الجانب الايجابي أيضا في هذه الدراسات والذي يتمثل في إحياء جانب من التراث العربي والاسلامي والمحافظة على جانب كبير منه في المكتبات الأوربية بغض النظر عن هدف هذه المحافظة ، ولعل هذا الجانب الايجابي يتمثل أيضا في اعتراف الشرقيين عموما بصنيع علماء الغرب في المساعدة على إحياء تراثه ومدنيته ، فقد أىشأ الغربيون منذ القرن الرابع عشر للميلاد مدارس لتعليم اللغة العربية في جامعاتهم ، ونشأ عن ذلك الرغبة في تداول الكتب العربية واقتنائها والتنافس في الاحتفاظ بالآثار التي أنتجتها القرائح العربية ، وحين أنشئت أول مطبعة في مدينة فانو سنة 1514 ، كان أول ما طبع فيها القرآن وكتب الطب والفلسفة والطبيعة باللغة العربية ، وفي سنة 1593 طبع قانون ابن سينا في الطب مع كتاب النجاة ، وقد أنشأت معظم الأمم الأوربية والأمريكية مطابع عربية طبعت عليها عشرات من

كتب العرب النفيسة ، ودلوا قومهم على فضل العرب ونوهوا بحضارتهم ونبوغ أفرادهم .

وقد جمع الغربيون في كل دولة وصلوا اليها معظم نفائس المخطوطات العربية وعنوا بها عناية شديدة ورتبوها ونشروا فهارسها ، وأخرجوا بعضها مطبوعا واحتفظوا بالبعض الآخر مفهرسا ومبوبا بدقة فائقة (1) ، ولقد رأيت بنفسي كيفية الاعتناء بهذه الآثار حتى إني رأيت ذات مرة مستشفى للمخطوطات يعالج فيه كل مخطوط أصابه تمزق أو أخفى الدهر جزءا من معالمه ، وهذه بالطبع خدمة جليلة للتراث العربي لأننا نحن العرب لم نستطع القيام بهذه الخدمة ولولا جهود الغربيين في ذلك لضاع جزء كبير من تراثنا بين عابث لا يعرف قيمته وغير مبال لا يهمه بقيت هذه النفائس أو ضاعت .

ولعله من المناسب هنا أن أذكر المجهود الكبير الذي قام به بعض المستشرقين من وضع معاجم القرآن الكريم والحديث النبوي التي أفادت الباحثين في هذا المجال وسهلت عليهم الرجوع الى الآيات التي يطلبون الاستشهاد بها كها سهلت

<sup>(1)</sup> الاسلام والحضارة العربية \_ محمد كردلي \_ج 1.

عليهم مهمة تخريج الأحاديث واسنادها ، ومن هذه الكتب كتاب تفصيل آيات القرآن الحكيم الذي وضعه بالفرنسية جول لابوم ومعه المستدرك وهو فهرس مواد القرآن واللذي وضعه ادوار مونتيه ، وقد ترجم هذا الكتاب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقدم للكتاب الأستاذ محمد فريد وجدي وفي هذه المقدمة يقول: « ومن حسنات أعمالهم ما لجئوا إليه لتسهيل البحث من عمل الفهرستات القيمة والمعاجم الجامعة ومن أقربها منا الفهرست العام الذي وضعوه للكشف عن الأحاديث الموجودة في أربعة عشر مرجعا من مراجع السنة وترجمة الاستاذ المحترم محمد أفندي فؤاد عبد الباقي ونشره باسم « مفتاح كنوز السنة » فقد كان هذا الفهرست حاجة ماسة لكل مشتغل بالأحاديث النبوية فان أحدنا كان يرى الحديث فلا يعرف له تخريجا ويحار في البحث عنه فأصبح يجده على طرف التمام منه . . . ، ثم يتحدث محمد فريد وجدى عن كتاب جول لا بومر الذي نحن بصدده فيقول: جاء هذا العمل من خير الأعمال وأجداها على الكتاب والمؤلفين والبحاثين فان الذي كان يحاول أن يكتب عن الزكاة أو الأديان أو بعض الأنبياء أو مبدأ المساواة أو النظر الى مصنوعات الله الخ مما يجب الكاتب أن يقتبس فيه من الكتاب الكريم .. يعجز عن استيعاب الآيات الواردة في هذه الموضوعات ـ فأصبح بهذا الكتاب الجديد يستطيع أن يلم في مجال واحد بكل ما يود أن يقرأ عنه من الآيات ، لا بالهداية الى أرقامها من المصحف فحسب ولكن باثبات تلك الآيات نفسها في صلب الصفحات » (1).

ومن المعاجم التي وضعت لفهرست القرآن الكريم أيضا كتاب « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » للمستشرق الألماني فلوجل ، وهو من أقدم المعاجم التي ظهرت في هذا الفن وقد طبع في ليبسك سنة 1842م ، أما في مجال السنة النبوية فهناك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي وضعه لفيف من المستشرقين ونشره المستشرقان أ. ي. ونسنك ، ي. ب. منسنج أستاذا العربية بجامعة ليدن ، وهو معجم ضخم لا غنى لأي باحث \_ في مجال السنة النبوية \_ من الرجوع إليه .

وإلى جانب المعاجم كان هناك عمل آخر خدم التراث العربي خدمة جليلة وتمثل هذا العمل في فهرست جميع المخطوطات العربية في معظم مكتبات العالم ، وهو عمل شاق وجبار سهل على الباحث الرجوع الى أي مخطوطة في العالم

<sup>(1)</sup> تفصيل آيات القرآن الحكيم \_ جول لابوم \_ ط 1 \_ دار إحياء الكتب \_ مطبعة عيسى البابى الحلبي \_ القاهرة .

بسهولة ويسر ، ولعل أبر زهذه الأعمال هو كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلهان الذي يدل الباحشين على محتويات المكتبات العالمية من المخطوطات وأرقامها والمطبوع منها وغمير المطبوع . وإذا انتقلت الى جانب آخر وهو الجانب الذي عني فيه المستشرقون بتحقيق ونشر المخطوطات فاني أذكر على سبيل المثال المستشرقة مارية نلينو التي جمعت ما وجدت من متفرق شعر النابعية الجعدي وطبعته في ديوان مع ترجمته الى الإيطالية، وكذلك المستشرق الألماني رايسكه الذي نشر بالعربية « تاريخ أبي الفداء » وترجمه إلى الـلاتينية في خمسة مجلـدات ساعده فيها المستشرق ادلر ، ونشر أيضا « نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصم من الخلفاء والسلاطين » لمرعمى بن يوسف ، ونقبل الى السلاتينية مقامات الحريري ، ومعلقة طرفة ، وأذكر أيضا المستشرق النمساوي برجشتال الذي كتب بالألمانية تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلدات ولم يتمه ، وكتب تاريخ الدولة العثمانية في 10 مجلدات ، ونشر كتاب « أطواق الذهب » للزمخشري ورسالة « أيها الولد » للغزالي ، وأذكر أيضا المستشرق الألماني كو زجارتن المذي نشر بالعربية مجلدين من تاريخ الطبري ومجلدا من الأغاني مع ترجمتها الى اللاتينية ، ونشر أيضا قسما من شعبر الهذليين ونشر كتاب

« الموسيقى » للفارابي ، وأذكر أيضا المستشرق ونشتاين الذي نشر كتابين للزنخشري هما « مقدمة الأدب » و« معجم العربية والفارسية » (1) .

هذه فقط أمثلة قليلة رأيت أنه من الواجب ذكرها اعترافا بفضل المستشرقين ومساهما تهم الثمينة في جمع التراث العربي والاسلامي والمحافظة عليه وتحقيقه وترجمته الى لغاتهم سواء كان بقصد خدمة الانسانية عامة أو بقصد اثراء الثقافة الغربية .

وبعد فهذه في ايجاز شديد لمحات في تاريخ الاستشراق وأهدافه ووسائله ، وألوان المستشرقين ، والموضوع واسع يحتاج الى دراسة مستفيضة مستقلة ، غير أني آثرت الاجتزاء بتلك الاشارات واللمحات لالقاء بعض الضوء على هذا الموضوع الذي يعد مدخلا تمهيديا لدراسة موقف المستشرقين من ظاهرة انتشار الاسلام .

<sup>( 1 )</sup> الأعلام ـ الزركلي ـ ج 9 ـ ط 3 .

# الفصّ لُ الشَّاني

اسباب انششا والاسلام



## المبحث الاول حالمة العالم قبل الاسلام

لم تعرف البشرية قديما وحديثا دينا أو دعوة انتشرت انتشارا واسعا وفي فترة زمنية وجيزة مشل الاسسلام ، فهو اللاعوة الالهية الخالدة التي يسرالله لها كل أسباب الذيوع والانتشار ، فاستضاء بنورها ملايين البشر وفي معظم بقاع الأرض ، وطبيعي جدا أن تشار حول الدين الاسلامسي و وبخاصة من قبل الذين لم يرتضوه دينا \_ الشكوك والشبهات الكثيرة التي من شانها ايهام الناس بأن السبب في انتشاره ليس لخاصية فيه وانما لعوامل أخرى خارجة عنه مارسها أتباعه ، وهذه الشبهات ليست جديدة أو مستحدثة خص بها الدين وهذه الشبهات ليست جديدة أو مستحدثة خص بها الدين أن من طبيعة الحياة أن تقابل كل دعوة اصلاحية أو دين أوحى الله به الى نبي بالمعارضة التي تتخذ أشكالا متعددة ابتداء من الرفض الصريح ومرورا بالمجابهة المسلحة وانتهاء بنشر السموم والأباطيل حول مبادىء تلك الدعوة أو ذلك الدين .

واذا كنا بصدد الحديث عن انتشار الاسلام فلا بد لنا من معرفة الظروف الدينية والسياسية والاجتهام والمعيم أن نتلمس في زمن ظهور الدعوة المحمدية ، حتى ذ طيع أن نتلمس البواعث الحقيقية التي أدت الى قبول الناس عربا وعجها الاسلام ، والى التشبث به وتبليغه الى كافة أرجاء الدنيا وبشتى الوسائل .

### الحالة الدينية للعالم قبل الاسلام:

ظهر الاسلام في بيئة تنازعتها ملل وديانات وعهسا ختلفة ، كان طابع الشرك هو الغالب عليها ، وكان طابع المحمق والسفه والجهل هو الدافع اليها ، يشاركه في ذلك الفترة التاريخية الطويلة التي فصلت الناس عن آخر رسالة إلهية قبل بعثة سيدنا محمد على ، فمن الناس من اعتنق النصرانية التي كانت آنذاك في أسوأ حالات الفساد والتهالك ، وذلك بما أصابها من انحلال وتمزق ، حيث انقسمت الى فرق وأحزاب واحتجبت فيها الدعوة الى الوحدانية ، وتنافست الفرق في تفسير عقيدة التثليث الأمر الذي أدى الى الابتعاد عن هدف الدين الحقيقي ، وفي مثل ذلك قال موير : ( وفوق هذا فقد كانت نصرانية القرن السابع نفسها متداعية فاسدة . كانت

معطلة بعدد من الهرطقات المتنازعة وكانت قد استبدلت بأيمان العصور الأولى السمح صغار الخرافة وصبيانياتها (١) .

ولم تكن اليهودية - وهي رسالة سهاوية - وقت ظهور الاسلام أحسن حالا من المسيحية ، فقسد حرف اليهود التوراة ، وبدلوا كلام الله ، وكانوا قد نشروا هذه الديانة في الجزيرة العربية ، ولكنهم نشروا معها تفاسير المفسرين وما أحاط بها من أساطير وخرافات نتجت عن تأثر اليهود بالثقافة اليونامية التي تشربوها نتيجة وجودهم تحت الحكم اليوناني والروماني قرونا طويلة(2) .

وكان الغالبية من الناس يدينون بالوثنية التي تعددت مظاهرها من عبادة أصنام الى تقديس كواكب ونجوم وسجود للنار الى غير ذلك من مظاهر الشرك والوثنية ، ولقد حفلت كتب التاريخ بالكثير من الأخبار والقصص التي تروي كيفية عبادة الناس لهذه الأوثان الأمر الذي يؤكد حقيقة واقعة وهي انعدام القدرة العقلية في جانبها الروحي على الرغم من تقدمها

<sup>(1)</sup> حياة محمد ورسالته ـ مولانا محمد علي ـ ط 3 ـ تر . منير البعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1976 م ـ ص 20 .

<sup>( 2 )</sup> فجر الاسلام \_ أحمد أمين \_ ط 9 \_ مكتبة المهصة المصرية \_ القاهرة \_ 1964 م \_ ص 25 .

في بعض الجوانب الأخرى ، وإذا كان الأمر ليس كذلك فكيف نفسر عبادة شخص لشيء صنعه بيده ؟ ثم كيف نفسر أكله لإلهة المزعوم في وقت مجاعته ؟ وعلى الرغم من تلك الحالة السيئة التي كانت سائدة ، وعلى الرغم أيضا من ذلك الفراغ الروحي الكبير برز بعض من العرب الذين اتصفوا بارتفاع نسبي في مستوى التفكير ، الأمر الذي جعلهم يفكرون فيا حولهم ، ويعملون عقولهم حتى وصلوا في بعض الأحيان الى الشعور بأن وراء هذا العالم إلها واحدا مسيرا له يجب أن يعبد وينبذ ما سواه من المعبودات الأخرى وخير دليل على ذلك بيت لبيد الشهر :

ألاكل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالــة زائل وخطبة قس بن ساعدة الأيادي وغيرهما مما تناقلته كتب الأدب والتاريخ .

واذا كان هذا حال الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية فان حال غيرها من الأمم والشعوب كان أسوأ ، ومصيبتها كانت أعظم ذلك أن العرب على الرغم من تدهورهم الروحي استطاعوا الاحتفاظ ببعض المكارم والمحامد التي ثبتها الاسلام بعد ذلك ودعا الى التمسك بها ، في الوقت الذي فقدت فيه

الأمم الأخرى تلك الفضائل والقيم نتيجة قسوة الحياة وجور الحكام ، فاذا استعرضنا أحوال الدولة الرومية والتي كانت تدين بالمسيحية وجدناها كيا أشرت سابقا تدور في تيار الصراعات والخلافات المذهبية حول طبيعة المسيح وصفاته ، وذلك شيء أدى بها الى تجرع ويلات الحروب وبالتالي الى الانحطاط الحضاري يقول ( روبرت بريفلوت ) : ( لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس الى القرن العاشر وكان هذا الليل يزداد سوادا وظلاما . قد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم ، لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وقضى عليها بالزوال ، وقد كانت الأقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي كايطاليا وفرنسا فريسة الدمار والفوضي والخراب ) (1) .

ولم يكن الفرس \_ وهم ثاني قوة كبيرة في ذلك الوقت \_ بأحسن حالا من الروم ، فقد كانوا يعيشون أسوأ حالة عرفتها البشرية ، حيث انتشرت فيها الملل والنحل الهدامة من صابئة

<sup>( 1 )</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين \_ أبو الحسن الندوي \_ ط 5 ـ مكتبة دار العروبة \_ القاهرة \_ 1964 م \_ ص 35 .

تعبد الشمس ، ومجوسية تعبد النار ، وثانوية تقول بالهين اله الخير واله الشر ، ومزدكية اباحية تجعل مقومات الحياة كلها شيوعية بين الناس بما في ذلك النساء اللاتي جعلن شركة بين الناس كالماء والنار والكلأ ، ونتيجة لتأييد الملوك لهذه الدعوات وتحمس الشبان والمترفين والفجرة لها عم الفساد في تلك الديار ، وصار الرجل لا يعرف ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يعرف ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يستطيع المرء أن يمنع الآخرين من إتيان أهله في داره (١١) .

#### الحالة السياسية:

واذا انتقلنا الى الحالة السياسية للعالم ابان ظهر الاسلام ، فاننا نجد أنها كانت تعانى من الفوضى والاستبداد ، ففي جزيرة العرب كان النظام السياسي يتخذ شكل النظام القبلي الذي يعتمد القبيلة كوحدة سياسية مصغرة ، تحركها رابطة الدم والنعرة العصبية اللذان سيطرا في ذلك الوقت حتى أنها لم يتركا للعرب فرصة الشعور بالرابطة القومية الا في القليل النادر ، وكانت حياة القبيلة ـ نظرا

<sup>(1)</sup> أ - الاسلام - د. أحمد شلبي - ط 5 - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - 1977 ص 41 ، 42 . 1

ب ـ تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ـ أبو زيد شلمي ـ ط 3 ـ مكتبة وهبه ـ القاهرة ـ 1964 م ـ ص 31 .

لانعدام الدولة ـ تعتمد على الهجوم والدفاع ، الهجوم بقصد الحصول على الرزق ، نتيجة ضيق العيش والظروف التي أملتها طبيعة الصحراء ، والدفاع كان صراعا من أجل البقاء والحفاظ على وحدة القبيلة وهكذا أدى هذا الوضع السياسي المتردي الى سيادة قانون الغساب السذي تكون الغلبة فيه للأقوى ، والسيادة للأكثر عددا وعدة ، وبذلك اندفع العرب ـ في سبيل الحفاظ على كياناتهم القبلية ـ الى الدخول في أحلاف ومعاهدات استهدفت زيادة القدرة القتالية لدى القبيلة وزيادة تحصيناتها باحتياطي خارجي عند حدوث عدوان من قبيلة أخرى (۱) .

أما في الروم - أكبر قوة دولية في ذلك الوقت - فكان النظام الامبراطوري هو السائد ، وكانت سلطة الامبراطور لا تنازعها سلطة أخرى ، فهو المسير لشئون الدوله حسب رغبته وهواه ، وبما أن الاختلافات المذهبية والطائفية كانت المظهر السائد في دولة الروم فقد انجذب الأباطرة في هذا التيار ، فتحيز كل منهم الى مذهب أو فريق مما جعلهم ينشغلون عن

<sup>(1)</sup> دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ د . السيد عبد العريز سالم ـ ج 1 ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية .

تصريف أمور الدولة ويتركونها عرضة للفساد والفوضى ، واد أضفنا الى ذلك انهاك الأباطرة في الملذات والشهوات فا صورة الفوضى السياسية والاضطراب الاجتاعي تكون أوضع وأحل (1)

وفي الفرس كان النظام السياسي السائد هو الملك المطلقة الذي يقوم على تقديس الملك ، واعتبار حقه في الملك هو وأسرته شيئا منزلا لا جدال فيه ، وما على الرعبة الا الطاء وخدمة الملك القديس ، ولا ريب في أن هذا النظام كان يؤدة في كثير من الأحيان الى الاضطرابات والفتسن الداخلية وأوضح دليل على انعدام الاستقرار السياسي هو ما يروى مر أنه تعاقب على الملك في السنوات العشر التي سبقت الفت الاسلامي اثنا عشر ملكا بين رجل وامرأة وصبي صغير ومغتصب من غير بيت الملك.

#### الحالة الاجتاعية:

أما الحياة الاجتاعية للعالم قبل ظهور الاسلام فقد كانت

<sup>(1)</sup> تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي \_ أبسو زيد شلبي \_ صر 19 .

<sup>(2)</sup> تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ـ أبسو زيد شلبـي ـ صر 18 .

صورة حالكة مليئة بالمفاسد والرذائل ، وليس ذلك بغريب فعندما ينعدم الدين تنعدم أيضا الأخلاق والقيم ، وحين لا يكون هناك نظام سياسي يكفل الحريات المشروعة ، ويأخذ على أيدي المفسدين ، تشيع أسباب الانحلال ويفقد المجتمع مقومات استقراره وترابط أفراده .

لقد كانت المفاسد الأخلاقية تسيطر على حياة المجتمع العربي في عصر ما قبل الاسلام ، فقلد شاعت الخمر \_ أم الخبائث \_ بين الناس بوجه عام حتى أصبح لا يخلو منزل من كئوسها ، ولا ينعقد اجتاع الا بحضورها ، وانتشر أيضا القيار حتى عد من مفاخر القوم وعير من يمتنع عنه ، وكان الرجل يقامر على أهله وماله حتى يرى ماله في يدغيره ، فيمتلىء صدره بالحقد والكراهية مما يورث الفتن والعداوات ، وشاع الربا حتى لم يعد يوجد فرق بينه وبين التجارة ، وقد حمّل ذلك الفقراء تبعات كثيرة تصل الى أضعاف ما استدانوه دون رحمة من الدائنين أو شفقة ، وكان ذلك الأمر سببا في تكريس الطبقية وتأجيج نار العداوة بين الناس ، ولم يكن الزنا بأقبل حظا من المفاسد الأخرى ، فقد شاع بين الكثيرين وشاعت معه أنكحة كثيرة حكمها حكم الزنا ، فقد عرف العرب

الاستبضاع (1) ونكاح المقت (2) ونكاح الخدن (3) ونكاح المتعة (4) ونكاح البدل أو الشغار (5) ، وعرف العرب أيضا عادة وأد البنات خشية العار أو الفقر أو تشاؤما منهن ، وقد نقلت لنا كتب التاريخ صورا لكثير من مآسي هذه العادة البغيضة التي يندى لها الجين .

أما في الدولة الرومية فقد كان المجتمع غارفًا في بحمار الرذيلة ، فانعدمت القيم واختفت المبادىء والمثمل العليا ،

( 1 ) الاستبضاع هو : أن تطلب المرأة جماع رجل لتنال مـه الولد فقط ، وقد

كان الرحل من أهمل الجاهلية يقبول لأمنه أو امرأت أرسلي الى فلان فاستبصعي منه ويعتزلها فلا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرحل ، وإنما يعمل دلك رغبة في نحابة الولد .

<sup>(2)</sup> المقت هو : أن يُتزوج أكبر الأولاد سنا امرأة أبيه بعد وفاته .

<sup>(3)</sup> نكاح الحُدن هو : أن تتروج المرأة مجموعة من الرجـال بـين العشرة أو السبعة يترددون عليها جميعا ، فاذا حملت ووصعت احتارت واحدا منهم تنسب له الولد ولا يستطيع أن يرفض .

<sup>(4)</sup> نكاح المتعة هو : أن يتزوج الرجل المرأة لفترة مؤقتة سواء كانت الفترة معلومة أو مجهولة .

<sup>(5)</sup> نكاح البدل أو الشغار هو . ما عرف في الجاهلية باسم البدل ، وعرف في الاسلام باسم الشغار ، وهمو أن يتزوح اثنان امرأتين على أن تكون احداها في نظير صداق الأخرى .

أنظر فيها تقدم :

المعنى ـ ابـن قدامـة/ بداية المجتهـد ـ ابــن رشد/ القامــوس المحيط ـ الفيروزابادي/ تاج العروس ـ الزبيدي/ نيل الأوطار ـ الشوكاني .

ويصور أحد المعاصرين الانحلال الاجتاعي الذي أصاب هذه الدولة بقوله: ( ذابت أسس الفضيلة وإنهارت دعاثم الأخلاق حتى صار الناس بفضلون العزوية على الحياة الزوجية ليقضوا مآر بهسم في حرية . وكان العدل كما يقول (سيل) يساع ويساوم مثل السلع . وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع ) (1) .

وكانت فارس كغيرها من بلاد العالم ، فقد عرفت الكثير من المفاسد التي عرفتها الشعوب الأخرى ، بل ازداد الفساد فيها حتى وصل الى اباحية مطلقة لم تعرفها أية دولة أخرى ، وتكرس فيها النظام الطبقي وصارت الهوة كبيرة بين المواطنين ، ومن عرف بالضعة لا يسمح له بالرقى حتى نهاية عمره ، وكان يباح زواج القريبات ومن ذلك أن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها ، وأن بهرام جوبين الذي حكم في القرن السادس كان متن وجا بأخته (<sup>2)</sup> .

الحالة الاقتصادية:

أما عن حالة العالم الاقتصادية في ذلك الوقت فانهما

<sup>(1)</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن الندوي ـ ص 31 . (2) ماذا خسر العالم مانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن الندوي ـ ص 38 .

كانت في حالة سيئة جدا ، فالطبقية والاقطاع قد سادا معظم أرجاء العالم ، ففي جزيرة العرب حيث الصحراء القاحلة عرف الناس التجارة وبعض الحرف البسيطة ، ولكنها كانا مقصورين على سادة القوم وأشرافهم والبقية عبيد ينتظرون رحمة أسيادهم ، وبذلك أصبح الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا .

وقد كانت الحالة في دولتي الفرس والروم أكثر فسادا وأعظم إرهاقا، وذلك لما كانت تعانيه الشعوب من ضيق العيش وكثرة الضرائب، وخير تصوير لتلك الحالة ما ورد على لسان شيخ الاسلام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي(أ) حيث قال: ( اعلم أن العجم والروم لمّا توارثوا الخلافة قرونا كثيرة، وخاضوا في لذة الدنيا ونسوا الدار الآخرة واستحوذ عليهم الشيطان وتعمقوا في مرافق العيش وتباهوا بها ورد عليهم حكماء الآفاق يستبطون لهم دقائق المعيشة ومرافقهما فها زالوا

 <sup>(1)</sup> هو . أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي أبو عبد العزيز ،
 الملقب شاه ولي نله : فقيه حنفي من المحدثين ، ولد سنة 1699 م وتوفي سنة 1762 م .

إنظر : الأعلام ـ السزركلي ـ ح 1 ـ ط 3 ـ بسيروت ـ 1969 م ـ ص 144 .

يعملون بها ويزيد بعضهم ويتباهون بها حتى قيل انهم كانوا يعيرون من كان يلبس من صناديدهم منطقة أو تاجا قيمتها دون مائة ألف درهم . . . . وذلك أن تلك الأشياء لم تكن لتحصل الا ببذل أموال خطيرة ولا تحصل تلك الأموال الا بتضعيف الضرائب على الفلاحين والتجار وأشباههم والتضييق عليهم ، فإن أطاعوا جعلوهم بمنزلة فان امتنعوا قاتلوهم وعذبوهم ، وإن أطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير والبقر تستعمل في النضج والدياس والحصاد ، ولا تقتنى الا ليستعان بها في الحاجات ثم لا تترك ساعة من العناء حتى صاروا لا يرفعون رؤوسهم الى السعادة الأخروية أصلا ولا يستطيعون ذلك ، وربما كان اقليم واسع ليس فيه أحد يهمه دينه ) (1) .

هذه اذن لمحة خاطفة عن حالة العالم السيئة التي ولد في جوها وتربى سيدنا محمد الله ، وهي حالة استشرى فيها الفساد واستعصى المرض الأمر الذي احتاجت معه البشرية الى طبيب ماهر يعرف كيف يشخص المرض ويستأصله . يقول أحد المستشرقين : ( في القرنين الخامس والسادس كان العالم المتدين على شفا جرف هار من الفوضى ، لأن العقائد التي

<sup>(1)</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين \_ أبو الحسن الندوي - ص 76 .

كانت تعين على إقامة الحضارة قد انهارت ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو اذ ذاك أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية الى ما كانت عليه من الهمجية اذ القبائل تتحارب وتتشاجر لا قانون ولا نظام ، أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام ، وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها الى العالم كله واقفة تترنح وقد تسرب اليها العطب حتى اللباب) (1).

من هذه الحالة يتضح مبلغ حاجة العالم الى هداية تنقذه مما تردى فيه من ضلال العقائد والعوائد والنظم ، لقد كان تائها في ظلمات بعضها فوق بعض ، وجاء الدين الذي ختمالله به الرسالات ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم صراطا مستقيا .

إن الاسلام الذي بعث به محمد ه هو دين الفطرة ، دين يقوم على الايمان المطلق بالوحدانية ، والمساواة بين الناس في المسئولية والكرامة الانسانية ، ومن ثم وجد فيه الذين ضلوا

<sup>(1)</sup> الاسلام \_ أحمد شلبي .. ص 47 .

طريق العقيدة فأشركوا بالله أو اتخذوا اليه شفعاء من الأوثان والأصنام ، كما وجد فيه التاثهون الباحثون عن الحقيقة وسط جو ملىء أصناما ، والجهلة الذين ضاعوا وسط تيارات الخلاف الطائفي والمذهبي ، والضعفاء الذين أرغموا على اعتناق ذلك الدين وترك الآخر رغم زيف الاثنين ، كل هؤلاء وجدوا في الدعوة الى الوحدانية الخلاص الحقيقي الذي أنار عقولهم وأعز نفوسهم من أن تسجد لحجر أو تقدس نارا أو تعتقد بثالوث ، ووجدوا أيضا فما يترتب على الاعتقاد بالوحدانية من عبادة الواحد الأحد الراحة النفسية والهدف السامي الذي يطهر البدن و يجلى القلب ويحرر العقل من سلطان الخرافات التي انحازت به إلى عبادة ما هو أحقر منه ، فوجدوا في الصلاة وسيلة تطهر البدن وتصل العبد بربه يستمد منه وحده العون ويتزود منه بالقوة التي تحرره من سلطان المادة والشهوة ، ووجمدوا في الصوم وسيلة لتقوية الارادة وتعلم الصبر واحتمال مشاق الحياة والتغلب عليها ، ووجدوا في الحج وسيلة للتعارف والتقارب والتقاء القلوب على طاعة الواحد القهار ، ووجدوا في الزكاة وسيلة لتعلم البذل والعطاء والشعور بحال الفقراء وحقهم في الحياة ، كل ذلك وجدوه في التعاليم الجديدة التي طرحها الاسلام والتي افتقدها هؤلاء في ظل معتقداتهم السابقة .

ووجـد فيه العبيد ـ الـذين كانـوا يساقـون الى خدمـة أسيادهم كالأغنام ـ المنقلة والمحرر اللذي انتشلهم من ظل العبودية ، وسوى بينهم وبين سادتهم ، ورد لهم الكرامة الانسانية التي افتقدوها، كما وجدت فيه المرأة الأمان والطمأنينة والشرف المصان ، فهي التي هددت الأخطار حياتها وهي صغيرة حين كانت عادة الوأد تترصد لها ، وهي التي استبيحت كرامتها وشوه عرضها وعفتها سواء في المجتمع العربي اللذي عرضها لعدة أنكحة فاسدة فقدت معها الشعور بالاستقرار مع زوج تأنس به ويأنس بها ، أو في المجتمع الفارسي الاباحسي الذي جعلها حقا مشاعا دون نظر الى كرامتها أو مراعاة لآدميتهما ، ووجــد فيه الجميع دينــا يقيم مجتمــع العـــدل والمساواة ، مجتمعا لا طاعة فيه الا للخالق ، مجتمعا حرمت فيه الفواحش والآثام والمنكرات ، وغرست فيه الفضائل والأخلاق والقيم، مجتمعا يدعو الى: ﴿ قبل هو الله أحد الله الصمدلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد (١) ﴿ قل من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهمو بكل خلق عليم ﴾ (2) ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال

<sup>(1)</sup> سورة الانحلاص

<sup>(2)</sup> الآية 79 من سورة يسن .

rted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذرة شرا يره (1) و الزاني والزائية فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة ولا تأخذكم بها رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر (2) في يأيها اللذين آمنوا إنما الخمر والميسر والميسر والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (2) و يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل (2) و يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذر وا ما بقي من الباطل (2) و يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذر وا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين (2) و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (2) و ولكم في القصاص حياة يأولي الألباب لعلكم تتقون (2) و إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (2) وأمرهم شورى بينهم (2) .

#### بمثل تلك الأحكام التي قررها الاسلام والفضائل التي

<sup>( 1 )</sup> الآية 7 من سورة الزلزلة .

<sup>( 2 )</sup> الآية 2 من سورة الىور .

<sup>( 3 )</sup> الآية 90 من سورة المائدة .

<sup>( 4 )</sup> الآية 29 من سورة النساء .

 <sup>(5)</sup> الآية 278 من سورة البقرة .

<sup>( 6 )</sup> الآية 33 من سورة الاسراء .

<sup>(7)</sup> الآية 179 من سورة البقرة .

 <sup>(8)</sup> الآية 58 من سورة الساء .

 <sup>(9)</sup> الآية 38 من سورة الشورى .

الاید دو من سوره استوری .

دعا اليها بنى النبي النواة الأولى للمجتمع الجديد ، الخالي من العقد والأمراض ، ذلك المجتمع الذي عبر عنه جعفر بن أبي طالب حين سأله النجاشي عن حال المسلمين فقال : (كتا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل المقوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله البنا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والمدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به) (1).

ومع وضوح مبادىء الاسلام وكفالتها الحياة الكريمة للانسان ، وقف في سبيلها الطغاة والمفسدون والذين آشروا الجاه والمال وما ورثوه من الآباء من معتقدات فاسدة على الايمان بالدعوة الجديدة التي آمن بها من آمن رغبة وفرارا الىالله من ظلمات الجهالة والضلالة ، وحاول أولئك الطغاة أن يمنعوا

<sup>(1)</sup> السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ج 1 ـ ص 336 .

محمدا على من تبليغ ما أمره الله به ، وتعرضوا له ولمن اتبعه بالأذى ، وتحمل النبي على وأصحابه الأوائل كل ألوان الاضطهاد والتعذيب من ضرب وحرق وقتل نقلت كتب السيرة والتاريخ صوراً كثيرة منها ، وقد قابل الصحابة هذا العذاب وذلك الاضطهاد بالجهاد السلمي الذي يتمثل في الصبر والثبات . ولكن لماذا لم يقاوم هؤلاء ؟ ولماذا لم يحملوا سيوفهم لرد عدوان المشركين ؟ هل لعدم القدرة على ذلك أم أن هناك أمرا آخر منعهم من حمل السلاح والقصاص من المشركين ؟ .

إن بعض الذين ارتضوا الاسلام دينا كان من المشهود لهم بالشجاعة والفتوة والقدرة على منازلة الأعداء ، فقد كان من بينهم عمر بن الخطاب وهو الشديد القوي جاهلا ومسلها ، وكان من بينهم أبو بكر الذي عرف بالشجاعة والبذل والعطاء ، وكان من بينهم حمزة البطل الكبير الذي جابه الكفار حتى وهو على دين آبائه ، كل هؤلاء وغيرهم كشيرون كان لديهم القدرة على الدفاع وصد اعتداءات المشركين ، ولكن المسلمين في المرحلة المكية كانوا مقيدين بشيئين :

الأول: أنهم ـ التزاما منهم بالعقيدة التي ارتضوها ـ لا يستطيعون القتال والرد على عدوان المشركين الا بأمر من ربهم

وبتوجيه من نبيهم وهذا أمر لم يحدث في تلك المرحلة ، ولعله كان رحمة من الله بعباده المؤمنين في عدم اثقال كاهلهم بالجهاد لعلمه الضعف فيهم أو لأمور أخرى هو أعلم بها .

والثاني: هو أن المسلمين في المرحلة الملكية كانوا في مجموعهم لا يستطيعون الوقوف أمام قوة الشرك مجتمعة ، والمتمثلة في مشركي مكة ومن ناصرهم من القبائل الأخرى ، خصوصا اذا وضعنا في الحسبان أن المسلمين يقيمون في ديار الكلمة العليا فيها للمشركين والسيطرة المادية والمعنوية لهم .

ومع وجود هذين الأمرين اللذين منعا المسلمين من مجابهة الأعداء فقد كان من بينهم من دفعه ايجانه العميق وحماسته الشديدة الى مقاتلة المشركين والرد على أذاهم بالمثل ، ولكن الرسول الكريم كان ينهاهم ويعلل ذلك بعدم الاذن في القتال فقد ورد في أسباب النزول : (كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله في فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج فشكوهم الى رسول الله ويقول . اصبروا فاني لم أؤمر بقتال ) (1) .

<sup>(1)</sup> أسباب نزول القرآن ـ أبو الحسن الواحدي ـ تحق . السيد صقر ـ دار الكتاب الجديد/ لجنة احياء التراث الاسلامي ـ 1969 م ـ ص 319 .

واستمر رسول الله على ومن معه في تبليغ الدعوة وعرضها على القبائل غير عابئين بما ينالهم من العذاب والعنت وتضاعف الاضطهاد ، حتى اذا اشتد بهم الخطب وازداد الكرب ، وأصبحت الحياة جحما لا يطاق ، أمر رسول الله صحابته المستضعفين أن يخرجوا مهاجرين الى الحبشة ، حيث يوجد على رأسها الملك النجاشي الذي كان يدين بالمسيحية ، والذى استطاع ببصيرته الثاقبة وعقله الراجح أن يتفهم قضية المسلمين ويمنعهم من عدوهم ، وحين علمت قريش بذلك شعرت بخطورة الأمر وبعثت بوفد الى النجاشي تطالبه بارجاع المهاجرين ، ولكنمه كان على يقين بأنهم على حتى وبأنهم أصحاب دين إلمّى ، وعلى أساس ذلك رفض تسليمهم . أما الرسول على ومن بقى معه من الصحابة الأكشر قوة بما لهم من جاه أو نسب فقد استمروا في تبليغ الدعوة ـ رغم الأشواك التي وضعتها قريش في سبيلها \_حتى هيأ الله نفرا من المدينة التقوا بالنبي وآمنوا به وصدقوه ونقلوا أخباره الى ذويهم الذين قدموافي عام آخر لبيعة النبي وطلب انتقاله اليهم ، وفعلا هاجر النبي ﷺ وصحابته الى المدينة مكان الدعوة الآمن ونواة الدولة الاسلامية الجديدة ، التي بدأ الرسول بناءها بارساء مبادىء الاخاء والمساواة والتعاون ، حتى اذا ما اشتد عودها

وصفا جوها ، وأصبحت على قدر مناسب من العدد والعدة اشتاقت نفوس المهاجرين الى الأخلذ بثأرهم ممن ظلموهم وعذبوهم وأخرجوهم من ديارهم ، واشتاقت نفوسهم أيضا الى استرداد أرزاقهم التي سلبت منهم في مكة ، فطلبوا من الرسول أن يتعرضوا لقريش طلبا للثار ، ولكن الرسول لم يكن قد تحصل على الأذن بالقتال ، ولذلك فقد استمر في منع المسلمين من مقاتلة أعدائهم إلى أن أتى الاذن من السياء أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأنالله على نصرهم لقدير اللذين أخرجوا من ديارهم بغيرحق الاأن يقولوا ربناالله ولولا دفعالله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كشيرا ولينصر نالله من ينصره إنالله لقبوي عزيز (١) . وبعد هذا الاذن الصريح من الله سبحانه وتعالى ، وبالتحديد ابتداء من غزوة بدر بدأ الجهاد والكفاح المسلح بين الحق والباطل ، بين الايمان والشرك ، واستمر ذلك الجهاد والصراع سنين طويلة استطاع المسلمون فيها أن يكونوا دولة عظيمة وحضارة باهرة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، واستطاع المسلمون بذلك أن ينزعوا الأشواك ويزيلوا العقبات التي

الآية 39 من سورة الحج .

وقفت حائلاً في سبيل تبليغ الدعوة ووصول نورها الى جميع بقاع العالم ، وكان أن انتشرت الدعوة الاسلامية في جميع بقاع

وفعت حائلافي سبيل تبليغ الدعوة ووصول نورها لى جميع بقاع العالم ، وكان أن انتشرت الدعوة الاسلامية في جميع بقاع الأرض ، ووصف انتشارها بأنه أسرع انتشار لدعوة أو دين سجله التاريخ ، ومن ثم أخذ أعداء الاسلام يزعمون بأنه دين حرب وأنه دين اعتمد على السيف ، ولولا السيف لما آمن به من آمن .

فهل صحيح أن الاسلام دين حرب ؟ وهل صحيح أن السيف أعمل في رقاب الناس ليقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ وهل صحيح أن المسلمين قتلة وسفاحون وسفاكو دماء ؟ وما هي أهم الأسباب التي جعلت الناس تؤمن بهذا الدين وتتحدث بلغة كتابه ، وتهمل عقائدها الموروثة ولغاتها القومية ؟

ذلك ما أطمع أن أعرض له في إيجاز في المبحث الثاني من هذا الفصل .



## المهحث الشابي

## الحرمت فخيط لاسلام وإسباسيا نتشاره ذاالديني

الحرب طبيعة من الطبائع البشرية ، وسمة من سيات الحياة ، وهي تنشأ نتيجة لأنانية الأفراد أحيانا وحبهم لذاتهم ، أو تنشأ من شعورهم بالظلم ، أو شعورهم بالحاجة الى ما في أيدي الآخرين نتيجة لعوزهم ، ولقد عرف التاريخ البشري جميع ألوان الحروب التي اختلفت دوافعها وأغراضها ، فقد عرفت البشرية حروب التعصب الديني والاختلاف المذهبي والطائفي ، وأقرب مثال لذلك ما حدث بين معتنقي المسيحية من انقسامات مذهبية أدت الى قتال عنيف نتج عنه اهدار كرامة الانسان وسلبه حرية العقيدة ، وعرفت البشرية أيضا حروبا كان الباعث اليها هو التشفي والانتقام ، وحروبا أخرى كان سببها الشعور بالقوة والرغبة في السيطرة على الآخرين واستعبادهم ، وعرفت البشرية أيضا حروبا كانت دوافعها الحاجة والعوز الذي دفع الى استعار الآخرين وسلب الحاجة والعوز الذي دفع الى استعار الآخروب بأنواعها ثرواتهم . في هو موقف الاسلام من تلك الحروب بأنواعها

ودوافعها المختلفة ؟ وبعبارة أخرى ما هو موقف الاسلام من الحرب والسلام ؟

إن الاسلام أقر ضمن مبادئه الخالدة مبدأ الأخوة الانسانية ، فالجميع قد خلقوا من أب واحد وأم واحدة ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم ﴾ (١) ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقِكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء ﴾ (2) ، وبهذه الاشارة الى أصل الخلقة الواحد يريد الاسلام أن يشعر أتباعه بأن الأخوة تقتضي التعايش السلمي والتعاون على البر والتقوى والميل الى الحب والتسامح وهما أبرز ملامح الأخوة ، وفي المقابل أيضا تقتضي الأخوة الابتعاد عن الحقد والكراهية وجميع أشكال التفرقة والتعصب .

إن الاخاء الذي أشار إليه القرآن وأكّده الرسول في مواضع كثيرة يفرض على المسلم التزامات متعددة ، فهو مبدأ يفرض احترام آدمية الانسان وتكريمه ، وأن تكون العلاقة بين

<sup>(1):</sup> الآية 13 من سورة الححرات .

<sup>(2)</sup> الآية 1 من سورة النساء .

الانسان وأخيه الانسان تقوم على الاحترام المتبادل الذي يقوم على التعاون ومراعاة المصالح المشتركة ، ويوجب هذا المبدأ أيضا الاعتراف بحق جميع الناس في الحياة الحرة الكريمة المتساوية دون أن يكون هناك فضل لأحد على الآخر ، وبهذا المبدأ وما يترتب عليه من التزامات متعددة يطفىء الاسلام لهيب أنواع كثيرة من الحروب ، ويضفي على الانسانية طابع المودة والسلام أن

ومع تقرير الاسلام لهذا المبدأ ـ وهو الوحدة الانسانية ـ فقد أكد في آيات كثيرة على تقرير مبدأ السلام الذي يعد ثمرة طبيعية لذلك المبدأ ، فكلمة الاسلام بجميع مشتقاتها اللغوية تدور في نطاق الأمن والسلامة ، وأن هناك بين كل هذه المشتقات أصولا مشتركة تتفرع عنها بعض المعاني ، ففي لسان العرب : ( ادخلوا في السلم كافة قال عني به الاسلام وشرائعه كلها وقرأ أبو عمرو ادخلوا في السلم كافة يذهب بمعناها الى الاسلام . والسلم : الاسلام ) . ، وقال الفيروزابادي :

<sup>(1)</sup> أ ـ الوحدة الاسلامية ـ محمد أبو زهرة ـ دار الرائد العربي ـ سروت ـ 1971 م ـ ص 13 وما بعدها .

ب . من روائع حصارتنا . د. مصطفى السباعــي . ط 2 - المكتــب الاسلامي . بيروت . 1977 م ـ ص 61 وما يعدها .

( الاسلام : الدخول في السلم . وهو أن يسلم كل واحمد منها أن يناله ألم من صاحبه') (١) .

وبنظرة سريعة الى بعص الآيات نجد أن القرآن الكريم يأمر المسلمين بالركون الى السلم والابتعاد عن الحرب كلما سنحت لذلك فرصة فيقول تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنْحُوا للسلم فَاجِنْحُ هَاوَتُوكُلُ عَلَى اللهُ ﴾ (2) ويقول ايضا : ﴿ وَلا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ (3) ويقول أيضا : ﴿ وَلا تقولوا لمن ويقول أيضا : ﴿ وَأَلْ اعْزَلُوكُم فَلْمُ يَقَاتُلُوكُم وَأُلْقُوا اليكم السلم فيا جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ (4) . هذا وقد تردد ذكر السلام في آيات كثيرة حتى أصبح ظاهرة ملاحظة ، فالمتتبع السلام في آيات كثيرة حتى أصبح ظاهرة ملاحظة ، فالمتتبع القرآن الكريم يجد أن السلام ورد ذكره في مائة وأربعين آية بينا لم يرد ذكر الحرب الا في ست آيات فقط (5) . ورفض

<sup>(1)</sup> بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزير ـ الفيروزابادي ـ تحق . محمد النجار ـ ج 3 ـ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهـرة ـ 1387 هـ ـ ص 254 .

<sup>(2)</sup> الآية 61 من سورة الأنفال .

ر 3) الآية 94 من سورة الساء .

<sup>(4)</sup> الآية 90 من سورة النساء .

<sup>(5)</sup> السلام رسالة السهاء ـ محمود النبوي الشال ـ دار الفكر العربي - 1978 ـ ص 58 .

القرآن أيضا كل الأغراض والدوافع التي كانت تدعو الى الحروب وتشر الفتين ، فرفض الحرب التي تقوم من أجل العصبيات الطائفية أو العرقية ، وقرر أن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحدهم على الآخر في زعامة أو رياسة ﴿ يَأْيُـهَا النَّاسُ إِنَا خَلَقْنَاكُمْ مَنْ ذَكُرُ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عندالله أتقاكم ١٤٥٠ ، وقال الرسول ﷺ : ( كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربسي على أعجمي الا بالتقوى ) (2) ورفض الاسلام أيضًا الحروب التي تثيرها نزعات دينية سببها الاختلاف في العقيدة أو الاكراه عليها ، فقال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (3) وقال تعالى : ﴿ وَلُو شَاءَ رَبُّكُ لَآمَنَ مِنْ فِي الأَرْضُ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكُرُهُ الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (4) ، ورفض الاسلام أيضا الحروب التي تثار من أجل كسب مادي أو نفع اقتصادي فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَنْسِيءَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرِي حَتَّى يَتْخُنُّ فَي الأرض تريدون عرض السدنيا والهيريد الآخسرة والهعزيز

<sup>(1)</sup> الآية 13 من سورة الحجرات .

<sup>(2)</sup> رواه الامام أحمد .

رُ 3 ) الآية 256 من سورة البفرة .

<sup>(4)</sup> الآية 99 من سورة يونس .

حكيم (أ) ورفض الاسلام أيضا الحروب التي تثيرها أنانية فردية رغبة في رياء أو مجد أو شهرة ، جاء رجل الى النبي شخفال : ( الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى فمن في سبيل الله ؟ قال شخف : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله <sup>(2) (3)</sup> .

وكان من ضمن ما جاء من التعاليم الاسلامية هو افشاء السلام ، وهو قول الانسان لأخيه الانسان السلام عليكم ، فهي تعني السلامة والأمان ، ويستعمل المسلم هذه الكلمة عدة مرات في اليوم ، ففي التشهد يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمةالله وبركاته وحين الانتهاء من الصلاة ، وفيا يعقب الصلاة من دعاء واستغفار : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وجعلت هذه التحية أيضا شعار المؤمنين في الجنة قال تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾(4) (5) ، وجعل السلام أيضا عنوان الحياة السعيدة في الجنة فقال تعالى : ( ادخلوها

 <sup>(</sup>١) الآية 67 من سورة الأنفال .

<sup>(</sup> ۲ ) أديه أنا من سورة الانقال ( ۲ ) أخرجه الخمسة .

<sup>(</sup> ٣ ) العرب وظهور الاسلام \_ محمد النجار \_ الجامعة الاسلامية \_ ليبيا \_

 <sup>(</sup> ٤ ) الآية 44 من سورة الأحزاب .

<sup>(</sup> ٥ ) السلام رسالة السياء \_ محمود الشال \_ ص 57 .

بسلام (1) ﴿ لهم دار السلام عند ربهم (2) ﴿ لا يسمعون فيها لغوا الا قيلا سلاما سلاما (3) ، وهكذا أراد الاسلام بهذه التعاليم أن يبث في نفوس أتباعه روح الطمأنينة والأمان ، وبذلك تصفى النفوس وتتربى على حب السلام والبعد عن أهوال الحرب وشرورها ، إن ترديد لفظ السلام عدة مرات في اليوم - خصوصا حين يصدر هذا من القلب - كفيل بأن يهذب نفس المسلم ، ويبعده عن التفكير في أن يحمل سيفا في سبيل منفعة دنيوية عاجلة ، مادية كانت أو معنوية .

وما دام الأمر كذلك فلهاذا دعا الاسلام أتباعه الى الجهاد ؟ ولماذا جعله ماضيا الى يوم القيامة ، وأعد للشهداء نعيا مقيا ؟ وما هي الدوافع التي حملت المسلمين على الخروج والانسياح في الأرض يحملون سيوفهم ويقاتلون في حماسة غريبة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ؟

لقد أسلفت سابقا أن الرسول وأصحابه ظلوا سنوات عديدة وهم ينشرون دعوتهم تحت تهديد الكفار وتعذيبهم ،

<sup>(1)</sup> الآية 46 من سورة الحجر .

<sup>(2)</sup> الآية 127 من سورة الأنعام .

<sup>(3)</sup> الآية 26 من سورة الواقعة .

وأخيرا اضطروا الى ترك الديار والأهل والأموال ، واستقروا في المدينة التي حمتهم من الاضطهاد والتنكيل ، وحين اشتد عودهم وكثر عددهم أمرهم الله تبارك وتعالى بأن يدفعوا الظلم عنهم ، ويفسحوا الطريق أمام الدعوة الاسلامية لتصل الى الناس أجمعين ، وباستعراض لبعض آيات الكتاب العزيز يمكن أن نستنتج منها الأسباب التي أجاز فيها القرآن حمل السيف والقتال :

1 - دفع الظلم ورد أي اعتداء على الانسان من جميع الجوانب سواء كان ذلك في نفسه أو أهله أو ماله ، يقول الحق تبارك وتعالى في بداية الاذن بالقتال : ﴿ أذن لللذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ﴾ (١) ، ففي هذه الآية يحرض القرآن المسلمين على القتال ، ويجعل ذلك حقا مشروعا وواجبا فرضته طبيعة المواجهة بين الحق والباطل ، ويعلل سبب ذلك فيقول : ( الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الاأن يقولوا ربناالله (2) فالمسلمون لم يقترفوا ذنبا من شأنه أن ينفيهم أو يبعدهم عن أرضهم وديارهم ، لم يفعلوا شيئا يذكر

الآية 39 من سورة الحج

<sup>(2)</sup> نفس الآية السابقة . آ

سوى أنهم قالوا ربنا الله ، أليس من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم ؟ وهل يستطيع أحمد أن ينكر على الانسان حقه المشروع في الدفاع عن النفس ؟ وهل من عار في أن يستمر هذا الاذن مبدأ من المبادىء التي يدعو اليها الاسلام في أي وقت وأى مكان تكررت فيه مثل هذه الحادثة .

2 \_ وما دام الاسلام يمقت الظلم ويحرمه ، ويأمر الانسان بدفع الظلم عنه فانه أيضا يأمر بدفع الظلم عن الآخرين أي نصرة المظلومين والمستضعفين في الأرض ، قال تعالى : ﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ (أ) ، وقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ حيث ناصر خزاعة على قريش \_ التي نقضت صلح الحديبية \_ بعد أن استنصروا به ، وأقر أيضا حلف الفضول وقال : ( إن الاسلام لا يزيده الاشدة )(2) ، وفي هذا الجانب يثير أحد الباحثين اعتراضا مفاده : ( واذا قيل بأن هذه الحالة

<sup>(1)</sup> الآية 75 من سورة النساء .

 <sup>(2)</sup> نطام الاسلام ـ د.وهبه الزحيلي ـ ط 2 ـ منشورات جامعة قاريونس ـ
 ليبياً . 1978 م ـ ص 368 .

تدخل في شئون الغير والتدخل اعتداء . قلنا إن التدخل مشروع اليوم للسلامة الاجماعية ولاحقاق الحق وازهاق الباطل وهو مشروع أيضا دفاعا عن الانسانية في حالة اضطهاد دولة للأقليات من رعاياها(۱) . ومما لا شك فيه أن مبدأ نصرة المظلوم هو تطبيق لقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (2) ، وهو أيضا تثبيت لمبدأ التكاتف والترابط والتضامن الاجتاعي الذي يدعو اليه الاسلام .

3 - واذا كانت العقيدة هي أسمى ما يعتز به الانسان ويدافع عنه ، وهي الشيء الذي يجب عليه أن يبشر به ويوصله الى الناس أجمعين ، لذلك فاننا نجد أن الاسلام قد شرع الجهاد وحث عليه من أجل فسح المجال أمام العقيدة حتى تصل الى الشعوب ، وإزالة كل الحواجز التي تقف بين الدعوة والناس من قوى مختلفة سواء كانت ملوكا أو حكومات أو أفرادا باغين ، قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ﴾ (3) ، فهذا اللهين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ﴾ (5) ، فهذا

<sup>( 1 )</sup> آثار الحرب في الفقه الاسلامي ـ د. وهبه الزحيلي ـ ط 3 ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1981 م ـ ص 94 .

<sup>(2)</sup> الآية 2 من سورة المائدة .

<sup>( 3 )</sup> الآية 193 من سورة البقرة .

النوع من القتال يعتبر تحقيقا لكلمة الله، فالمهم هو أن يصل الاسلام الى الشعوب ثم بعد ذلك لهم الخيار في اعتناقه أو رفضه فهم أحرار في ذلك ، وهم محاسبون أيضا على ذلك الخيار وكل نفس بماكسبت رهين في (أ). وآية القتال السابقة بينت للمسلمين أن من أهداف هذه الحرب أن يوقف المشركون عند حدهم في عملية الضغط التي يمارسونها ضد هذا الدين ، فلا تعود الفتنة ( الشرك ) في الدين تهدد عقيدة المسلمين ، ولا يعود الشرك قوة تضع العقبات في طريق الدين الحق ، بل يكون الدين لله . . . . . . يلتقي عليه الناس جميعاً في أصالة يكون الدين لله . . . . . . يلتقي عليه الناس جميعاً في أصالة وطرتهم ، ونقاء نفوسهم بما يحمله في داخله من قوة وجلاء ووضوح ويسر وسهولة ومرونة ) (2) .

4 ـ وتحقيقا لمبدأ التعايش السلمي واقرار العدالة الاجتاعية بين البشر ، فقد أوجب الاسلام نوعا من الحروب التي تقوم على فض الخلافات والمنازعات واقرار السلم بين الجماعات ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانُ مِنْ المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينها فان بغت احداها على الأخرى فقاتلوا التي

<sup>(1)</sup> الآية 38 من سورة المدثر .

 <sup>(2)</sup> أسلوب الدعوة في القرآل \_ محمد حسين فضل الله \_ ط 2 \_ دار الرهواء \_ بيروت . 1972 \_ ص 115 ، 116 .

تبغى حتى تفيء الى أمراله فان فاءت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ (١) ، وهكذا نجد أن القتال المشروع هنا هو منع للقتال الناشىء عن بغي فئة على أخرى وعدم اقتناع تلك الفئة ورجوعها عن غيها .

5 - وتقتضي قواعد الاسلام في حمل السيف تبليغا لدعوة الله ، أن يبدأ المسلمون بعرض دينهم على غيرهم فان آمنوا به رغبة واختيارا أصبحوا اخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن أبوا أن يدخلوا في هذا الدين طلبنا اليهم أن يدخلوا معنا في معاهدة سلام ليواصل المسلمون سيرهم الى غيرهم من الأمم في أمن من الغدر والخيانة ، فان رفضوا ذلك فكأنهم بهذا قد أعلنوا الوقوف أمام تبليغ الدعوة الاسلامية ، فلا يريدون لها أن تنشر بين الناس ، وهنا فقط نحاربهم لا لنحتل ديارهم وننهب ثرواتهم ونكرههم على الايجان ، وإنما لنخضعهم لنا حتى لا يكونوا شوكة تعوق ركب الدعوة الدي يهدف الى الوصول الى غايته المقدسة .

6 ـ ومما يتصل بقتال البغاة قتال ناكثي العهــد وخائنــي
 المواثيق فهم في حكم البغاة ، وقد عرف المسلمون أنواعا كثيرة

<sup>(1)</sup> الآية 9 من سورة الحجرات .

من المعاهدات وكانوا أوفياء على عهودهم ، حريصين على التزام مواثيقهم ، وكان أعداؤهم ـ وبخاصة اليهود ـ على العكس من ذلك ينقضون العهود بدون سبب ولا باعث ، وعلى ذلك لم يجد المسلمون بدا من مقاتلتهم وتأديبهم على شرور أفعالهم ، قال تعالى : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أثمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) ، وهكذا يتضح أن السبب في هذه الحرب والباعث اليها هو نقض العهد والبدء بالاعتداء ، ولا شك أن من لا يؤمن عهده لا ترعى حرمته ، ومن يبدأ بالاعتداء ليس له جزاء إلا القتال ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمشل ما اعتدى عليكم واتقواالله ﴾ (٥)

7 تأديب الخونة والمتآمرين والخارجين على القانون ونظام الدولة ، وذلك لما في استقرار الأمن ووحدة الصف من فوائد جمة تساعد الناس على عيشة هانئة سالمة ، ومن هذا النوع من الحروب ما قام به الخليفة أبو بكر رضي الله عنه حين خرج

<sup>( 1 &</sup>lt;sub>),</sub> الآية 12 ، 13 من سورة التوبة .

<sup>(2)</sup> الآية 194 من سورة البقرة .

لقتال أهل الردة الذين أراد بعضهم أن يعطل ركنا من أركان الإسلام وهو الزكاة ، وأراد البعض الآخر أن يعلن نبوة جديدة بعد أن أعلن الاسلام أن سيدنا محمد وقد تشدد أبو بكر رحمه الله في هذا الموضوع وصمم على رد المارقين حتى تم له اخماد الفتنة التي كادت أن تعصف بوحدة المسلمين (۱).

ومع إباحة الاسلام لتلك الأنواع السابقة من الحروب ، فانه وضع معها مبادىء انسانية تحد من أخطارها، وتجعلها في نطاق محدود ، وتكفل لها أداء مهمتها في حماية الحق والعدل والقضاء على الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وأهم تلك المبادىء : عدم مقاتلة غير المقاتلين، وعدم اتباع الفارين والهاربين لابادتهم ، وعدم التعرض لوسائل الحياة بالتدمير والحيوانات ، وعدم أخذ العدو على غرة كها تفعل

<sup>(1)</sup> أ - السلام العالمي والاسلام - سيد قطب - ط 3 - مكتبة وهبه - القاهرة .

ب ـ الجهاد ـ أحمـد الحـوفي ـ المجلس الأعل للشئــون الاســــلامية ـ الفاهرة ــ 1970 م .

ج - لمحات في الثقافة الاسلامية \_عمر عودة الحطيب .

د ـ الاسلام نظام انساني ـ مصطفى الرافعي ـ ط 2 ـ مكتبـة الحياة ـ بروت .

الدول التي تدعي الحضارة والمدنية في العصر الحـديث ، إن الحرب في الاسلام هي كها يصورها أمير الشعراء :

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم النافعات دواء

واذا كانت هذه بعض مبادىء الحرب المشروعة في ديننا الحنيف، فهل كانت مطبقة في تاريخ المسلمين وصراعهم مع أعدائهم أو أنها ظلت مبادىء مجردة مثالية لا تعرف التطبيق العملي، وهل كان المسلمون ملتزمين بأحكام دينهم في حمل السيف والدعوة الى الله؟ هل كانوا لا يكرهون أحدا على دينهم، ولا يتخذون القوة وسيلة لحمل غيرهم على أن يؤمنوا بدعوتهم؟ أو أنهم خرجوا على تلك الأحكام ولم يقفوا عند حدودها وأجبروا سواهم على الرضوخ لهم بفرض العقيدة الاسلامية عليهم؟.

إن من يستقسرىء أحسدات التساريخ منسذ أن صدع محمد على عما أمره الله به يلاحظ أن القوة في الاسلام لم تتخذ أبدا لإكراه النساس على الاعسان بهذا الدين، لقسد كانست في كل الأحوال و لا عبرة ببعض ما كان من أخطاء أحيانا فهي تمثل الشذوذ في القاعدة وللحاية ورد الاعتداء وتحقيق الحرية

الدينية للانسان ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومسن شاء فليكفر .

إن الدعوة في المرحلة المكية لم تحمل سلاحا ولم تدخل معركة ، ومع هذا آمن بها من آمن رغم ضراوة الارهاب والعنت والاضطهاد والأذى ، كان المشركون يصبون ألوان العذاب على المؤمنين ، وما كان هذا العداب ليحول دون انتشار الايمان وكثرة المؤمنين عاما بعد عام ، وبعد الهجرة أذن للمؤمنين بالقتال لأنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم وسلبت أموالهم بغير حق ، وخاض المسلمون مع نبيهم عدة غزوات كانت كلها ردا على اعتداء ، وإنتصافا لمظلوم ، وتأديبا لناكث عهد أو مخالف لعرف ، وكانت هذه الغزوات كلها .. باستثناء غزوة بدر \_ ذات طابع دفاعي محض ، أما غزوة بدر فيقرر بعض الباحثين أنها كانت ابتداء من المسلمين في محاولة لايجاد موضع قدم في ذلك العالم المعتمد على القوة ، وإيحاء الى قريش ذات القوة الكبيرة بأن المسلمين هم أيضا ذووا قوة كبيرة يستطيعون بها أن يفسحوا الطريق أمام دعوتهم دون خوف من قريش وقوتها (i) . والـذي أراه في غزوة بدر أنهـا لم تكن

<sup>( 1 )</sup> أسلوب الدعوة في القرآن ـ محمد حسين فضل الله ـ ص 121 .

مقصودة لذاتها ، فالمسلمون في البداية لم يخرجوا لملاقاة قريش ولكنهم خرجوا لملاقاة قافلة تجارية في محاولة للاستيلاء عليها مقابل أموال المهاجرين التي اغتصبتها قريش قبل الهجرة ، وحين لم يتم لهم ذلك سمعوا بأن قريشا قد خرجت لملاقاتهم ومنعهم من تحقيق مرادهم ، وهنا لم يجد المسلمون بدا من المواجهة وكانت غزوة بدر .

أما بقية الغزوات فكانت بخلاف ذلك ، غزوة بني قينقاع كانت نتيجة نقض اليهود للعهد الذي أبرموه مع النبي وخلاف كانت نتيجة نقض اليهود للعهد الذي أبرموه مع النبي وخلاف بمكاتبتهم للمشركين وتحالفهم معهم وتأليبهم لهم ضد المسلمين ، وكانت غزوة أحد ردا لقريش التي خرجت زاحفة على المسلمين تريد أن تشأر لهزيمتها في بدر ، وكانت غزوة الخندق مثالا واضحا على الدفاع عن الأهل والمال والوطن ، وكان حصار بني قريظة بعد غزوة الخندق وقتلهم والوطن ، وكان حصار بني قريظة بعد غزوة الخندق وقتلهم نتيجة لنقضهم العهد وتحالفهم مع الأحزاب ضد المسلمين ، ثيجة اعتداء بني بكر وقريش على خزاعة حليفة المسلمين ، وبعد ذلك كانت حرب هوازن خرب المسلمين وجمعهم الجموع لذلك بسبب استعداد هوازن لحرب المسلمين وجمعهم الجموع لذلك بعد سياعهم بفتح مكة ، وكانت غزوة مؤتة بسبب اعتداء بعداء

عرب غسان الخاضعين للروم مرتين على أصحاب الرسول ، المرة الأولى عندما أرسل النبي على وفدا الى ذات أطلاح يتكون من خمسة عشر رجلا دعوا من وجدوه من الأعراب للاسلام فلم يستجيبواوقتلوا الوفد كله الارتيسهم كعب بن عمير الذي نجا من القتل ، واستطاع اللحاق بالمدينة وإخبار النبي ، بذلك ، والمرة الثانية عندما أرسل النبي على الحارث بن عمير الأزدى بكتاب الى الحارث بن أبى شمّر الغساني أمير بصرى من جهة هرقل الذي قتل رسول رسول الله رغم اصطلاح العرب على عدم قتل الرسل ، ولذا لم يجد الرسول بدا من الخروج لهؤلاء وتأديبهم على أفعالهـم المخالفـة للأعـراف والتقـاليد ، وكانت غزوة تبوك أيضا دفاعا عن النفس وذلك لما ورد أن هرقل لما سمع بانتصارات المسلمين وأنهم أصبحوا أصحاب شوكة في الجزيرة العربية جمع جيشا كبيرا على حدود الشام واستعد لغزو الجزيرة ، ولما سمع الرسـول بذلك لم يكن أمامـه خيار الا الاستعداد للمواجهة وبذلك وقعت غزوة تبوك (١) .

وبعد وفاة الرسولﷺ استمر الخلفاء في إرسال الجيوش

<sup>(1)</sup> أ - العرب وظهور الاسلام - محمد النجار .

<sup>ُ</sup> ب ـ أَسْلُوك اللَّمُوة في القُرْآن ـ محمد حسين فصل الله ـ ص 120 وما بعدها .

الى الأقطار الأخرى بنفس العزيمة الأولى ، منفذين بذلك أمر رجهم بتبليغ الدعوة الى الناس كافة ، ولا يتسع المقام هنا لتفصيل أسباب كل المعارك والفتوحات التي وقعت في عهد الخلفاء أو في العصور التي تلتهم ، فهو ليس من طبيعة هذا البحث ، وقد تكفلت كتب التاريخ بتفصيل ذلك ولكني أقول ان طابع الدفاع ورد الاعتداء أو الانتصار للمظلومين كان هو الطابع الغالب على كل الفتوحات الاسلامية سواء قبل أو بعد وفاة الرسول

وهنا يمكن أن أقول: هل كانت هناك علاقة بين انتشار الاسلام والفتوحات الاسلامية؟ أو بمعنى أوضح هل أرغم المسلمون ـ وهم في شدة انتصاراتهم ـ غيرهم من الشعوب على اعتناق الاسلام قسرا؟

إن القرآن يتكفل بالرد هذه المرة فهو يقول : ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (١) ويقول : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (2) ويقول : ﴿ فذكر انما أنت مذكر لست

<sup>(1)</sup> الآية 256 من سورة البقرة .

<sup>( 2 )</sup> الآية 99 من سورة يونس .

عليهم بمسيطر (أ) . فالقرآن هنا صريح في نفى الاكراه في الدين ، وصريح في التشديد على حرية الاعتقاد ، ذلك لأن هذا شيء يخص الانسان وحده ، والواجب على المسلمين فقط هو ابلاغ الدعوة الى جميع الناس ثم تركهم بعد ذلك (فمن شاء فليكفر (2) .

واذا رجعنا الى التاريخ الاسلامي ـ وخصوصا في عهد الرسول و وعهد خلفائه الراشدين ـ فاننا لا نجد فيه أية صورة تدل على القسر أو الاكراه في الدين ، ولم نجد فيه أيضا ما يدل على وجود أناس اعتنقوا الاسلام تحت تهديد السيف ، بل نجد فيه صورة واضحة جلية من التسامح الديني والحرية الدينية التي لم ير الناس مثلها من قبل ، يقول السيد أمير على: (إن النبي منح عهدا لرهبان دير (سانت كاترين) بالقرب من جبل سيناء ، ولجميع النصارى ، وقد عد هذا العهد بحق من أجل الآثار الدالة على التسامح المستنير التي شهدها تاريخ العالم . وتدل هذه الوثيقة الفذة التي حفظها لنا مؤرخو الاسلام بأمانة على اتساع عجيب في النظر وسهاحة مؤرخو الاسلام بأمانة على اتساع عجيب في النظر وسهاحة

الآية 21 من سورة الغاشية .

<sup>(2)</sup> الآية 29 من سورة الكهف .

الفكر وقد كفل النبي علية للمسيحيين فيها من المزايا والضمانات ما لم ينعموا به في ظل الملوك من أهل دينهم ، وصرح فيها بأن أي مسلم ضيعها ونكث العهد الذي فيها كان لعهدالله ناكشا ولأمره متعديا وبذمته مستهينا ، وأعطى فيها العهد على نفسه وألزم أتباعه حماية المسيحيين والذب عن كنائسهم ومواضع رهبانهم وحمايتهم من الأذي ، وألاً يحملوهم بالخراج الا ما طابت به نفوسهم وألا يخرجوا أسقفا من أسقفيته ، ولا يجبـر أحد عمن كان على ملة النصرانية كرها على الاسلام ، وألا يخرجوا راهبا من رهبانيته ولا سائحا عن سياحته ، وألا يهدموا كنائسهـم ويدخلوهـــا في شيء من أبنية المساجـــد أو منـــازل المسلمين واذا صارت النصرانية عنىد المسلم فعليه أن يرصى بنصرانيتها وألا يكرهها على شيء من أمر دينها (١) أليس في هذه الوصايا من الرسول على \_ الذي لا ينطق عن الهوى - دليل على أن الاسلام يدعو الى الحرية الدينية ويمارسها ، ويبتعـد عن الاكراه والعسف ، ثم أن هذا ليس هو المثال الوحيد فكتب التاريخ والسيرة تزخر بالكثيرمن هذه الصور والأمثلة التي سار على نهجها المسلمون وطبقوها .

<sup>( 1 )</sup> روح الاسلام ـ سبد أمير علي ـ تر . أمين الشريف ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة . 1961 ـ ص 168 .

إن الكتب التاريخية تحدثنا أن الفترة التي نشطت فيها المدعوة الى الاسلام والتي شهدت اقبال الناس على اعتناق الاسلام هي تلك الفترة التي اتسمت بالاستقرار والبعد عن الحرب ، ففترة السلم بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة شهدت اسلام الكثير من الناس ، ويقول بعض المؤرخين ان من دخل الاسلام في تلك الفترة كان أكثر عمن دخلوه في المدة التي تقرب من عشرين عاما منذ بدء الدعوة حتى تلك الفترة (۱) .

وفي حروب المسلمين مع الفرس والروم كانت الدعوة لا تنتشر ولا يعلو شأنها الا بعد أن تغمد السيوف وتنطفىء نار الحرب ، يقول (كيرك) : ( إن غالبية أهل الشام « الوجه المبحري » ومصر السفلى في القرن التاسع الميلادي كانت لا تزال مسيحية على الرغم من أن الاسلام كان قد مضى عليه في هذه البقاع أكثر من قرنين () (2).

إن الاسلام الذي زحف الى افريقيا وبعض أجزاء من آسيا لم يكن يزحف تحت ظلال السيوف ، ذلك أن السيوف

<sup>(1)</sup> الاسلام \_ أحمد شلبي \_ ص 195 .

<sup>· (2)</sup> الاسلام - أحمد شلبي - ص 196 .

لم تصل تلك البقاع قط ، وإنما وصل اليها عن طريق التجار والمسافرين الذين استطاعوا بسلوكهم وأخلاقياتهم الاسُلامية أن ينقلوا الدعوة الاسلامية صورة عملية تلقفها الناس بشوق ولهف .

إن التاريخ يروي فيا يرويه عن حوادث القرن التاسع الهجري أن المغول قد شنوا على شرق العالم الاسلامي هجوما ساحقا مدمرا انهارت معه الخلافة العباسية ، وأهلكت فيه كل القوة الاسلامية في تلك المنطقة ، ولكن سرعان ما شع نور الاسلام من جديد واستطاع دعاة الحق أن يجذبوا هؤلاء الغزاة الى الاسلام . أليس في هذه الحادثة دليل قاطع على أنه لا وجود لأية علاقة بين انتشار الاسلام والجهاد في الاسلام .

وفي العصر الحاضر يزحف الاسلام بقوته الذاتية وعن طريق جهود فردية غير منظمة ، يزحف في أمريكا وينتشر انتشارا واسعا وخصوصا بين الزنوج ، ويزحف أيضا في أوربا وافريقيا وفي معظم بقاع العالم ، فهل للاسلام الآن سيف يصاحبه في انتشاره ، وهل هناك الآن أية قوة تحمي الاسلام سوى قوة الله تبارك وتعالى . لعله أصبح واضحا أنه لا علاقة بين الجهاد أو الحروب الاسلامية وبين انتشار الاسلام ، وأنه لا

وجود لأي قسر أو ارهاب أو اكراه استعمله المسلمون من أجل نشر دينهم .

ويتضح من كل ما سبق أن أهم الأسباب التي أدت الى قبول الناس للاسلام هي :

- السلام في وقت كان العالم يعاني فيه من الفساد السياسي والاضطراب الاقتصادي والتدهور الاجتاعى .
- اشتال الاسلام على مبادىء سامية تعد بمثابة الدواء الشافي
   لكل تلك الأمراض التي عانت منها البشرية ولا زالت
   تعانى الى يومنا هذا
- 3 بساطة العقيدة الاسلامية وسهولة شعائرها وتعاليمها وسياحة مبادئها
- 4 اقرار مبدأ التسامح والحرية الدينية وممارسة ذلك عمليا .
- 5 ـ الخلق الكريم والسيرة الطاهرة الزكية التي كان عليها النبي
   . ﷺ
- 6 ـ السلوك الاسلامي الحميد اللذي كان يمارسه الصحابة
   والفاتحون بوجه عام أينا حلوا ونزلوا
- 7 الحماسة الشديدة التي أظهرها المسلمون في سبيل نشر
   دينهم وايصال تعاليمه الى جميع الناس بالتي هي أحسن

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كانت تلك أهم أسباب انتشار الاسلام فهاذا يقول المستشرقون ومن نحا نحوهم عن هذا الانتشار ؟ ماذا يقولون عن أهداف الفتوحات الاسلامية ؟ كيف يفسرون قبول الناس واقبالهم على اعتناق الاسلام في صورة لم تعهدها ديانة من قبل ؟

ذلك ما سأحاول الاجابة عنه في الفصل الثالث من هذه الدراسة إن شاءالله تعالى .



erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفَصلُ التَّ التِّ

آراءُ المستشرِقِينَ

عَرض وَمِناقتُة



لقد أشرت في المقدمة الى صعوبة حصر آراء المستشرقين جميعا في موضوع انتشار الاسلام ، وبينت أن ذلك يرجع الى تعدد جنسياتهم ولغاتهم ، وصعوبة الحصول على المؤلفات أو الدوريات التي تناولت ظاهرة اعتناق الاسلام في فترة زمنية لم يسبق أن انتشر في مثلها دين من قبل .

وقد حاولت مع هذا أن أقوم بتصنيف لآراء عدد من المستشرقين يبلغ عددهم حوالي ثلاثين مستشرقا ، ينتمون لما يقرب من عشر جنسيات ، مما تيسر لي الوقوف على المصادر التي وردت فيها تلك الآراء ، واتضح من استقراء تلك الآراء أن بينها تشابها وتداخلا ، وأن التفاوت بينها ليس كبيرا ، فهي كلها تسعى نحو غاية واحدة ، وهي تنفير غير المسلمين من الاسلام وتشكيك المسلمين في دينهم .

إن آراء هذا العدد من المستشرقين يمكن اتخاذه نقطة انطلاق في دراسة موقف هؤلاء من انتشار الاسلام ، كما يمكن التعويل عليها في بيان آراء المستشرقين بوجه عام من هذه الظاهرة ، إذ لا تكاد تخرج شبهاتهم عما حاولت جمعه وتصنيفه من تلك الآراء . والذي أود الاشارة اليه هو أن رأيا واحدا

لمستشرق يمكن أن يمثل أكثر من اتجاه ، لما عرف عن المستشرقين من الحديث عن آرائهم في صورة توحي بالموضوعية والكشف عن الأسباب كلها التي أدت الى ذيوع الاسلام وايمان الناس به ، ومن ثم قد يتكرر الرأي الواحد في أكثر من اتجاه ، أو قد يرد في اتجاه ويمكن أن يمثل اتجاها آخر . على أني اجتزأت في كل اتجاه ببعض الآراء وأشرت الى مصادر ما لم أذكر لأنه يدور في فلك ما أوردته فلا مسوغ للنص عليه . كها أني أود الاشارة أيضا الى أني عرضت الآراء مصنفة دون تعقيب أو مناقشة ، ثم تناولت كل اتجاه من هذه الآراء بالدراسة النقدية التي تحاول بلوغ الحقيقة في أمانة وموضوعية .

وفيا يلي سرد لآراء تلك الطائفة من المستشرقـين وفقــا لاتجاهاتها وتعليلها لظاهرة انتشار الاسلام : ــ

أولا: \_ إتجاه يقوم على اتهام الاسلام بأنه دين انتشر بالقوة ، واعتمد على السيف ، دون تعليل لهذا الاتهام غالبا ، وكمثال لهذا الاتجاه أورد ما يقوله ( ماكدونالد ): ( إن نشر الاسلام بالسيف فرض كفاية على المسلمين كافة ) ( أن ، وما

<sup>(1)</sup> دائرة المحارف الاسلامية \_ ماكدونالد \_ مجلد 7 \_ ص 188.

يقوله (هاري اليس) في كتابه العرب: (إن سنة 732 وافقت ذكرى وفاة النبي محمد المسلام، فبلغت بدعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل الى أقصى المشرق، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الاسلام لتفضيلهم اياه على عقائدهم أو لأن الدخول في الاسلام يرفع عنهم الضرائب التي تجبى من غير المسلام يرفع عنهم الضرائب التي تجبى من غير كاتب أمريكي مشهور: (إن بقاء الهلال حتى اليوم في أوربا كاتب أمريكي مشهور: (إن بقاء الهلال حتى اليوم في أوربا حيث كان يوما ما بالغا غاية القوة انما يرجع الى اختيار الدول المسيحية الكبرى أو يرجع بالأحرى الى تنافسها ولعل الهلال بلق ليكون دليلا على أن من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ) (كان الاسلام يؤخذ) (2)، وما يقوله (جون هيجل): (كان الاسلام دائيا وسيبقى دائيا دين السيف لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب في القرآن) (3)، وما يقوله (نلسون): (وأخضع للحب في القرآن) (3)، وما يقوله (نلسون): (وأخضع

<sup>(1)</sup> الاسلام والحضارة الانسانية - عباس محمود العقاد - دار الكتاب اللباني - بيروت - ص 293.

<sup>(2)</sup> المستشرقون والاسلام - زكريا هاشم - المحلس الأعلى للشون الاسلامية - القاهرة - 1965 م - ص 44.

THE DAILY » في صحيفة PAUL HARVEY (3) من مقال للكاتب ADVERTISER من مقال للكاتب 1981 م.

ted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيف الاسلام شعوب افريقية وآسية شعبا بعد شعب) (1) ، وما يقوله (غيومان لوسيتر) في كتاب تاريخ فرنسة: (إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا، بينا أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم واحسانهم) (2) . وما ورد في كتاب تاريخ محاضرات الشرق الأدنى للمستشرق (ج. بلزاك) وهو كتاب يدرس لطلاب الصف الخامس في المدارس الفرنسية في بيروت: (وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة) 3.

 <sup>(1)</sup> التبشير والاستعمار - عمر فروخ والخالدي - ط 3 - المكتبة العصرية -بيروت - 1964 م - ص A1.

<sup>(2)</sup> الاسلام في قفص الاتهام \_شوقي أبو حليل \_ط3 \_دار المكر \_دمشق \_ 1977 م .

 <sup>(3)</sup> الاسلام في قعص الانهام ـ شوقي أبو خليل ـ ص 86 . وانظر في هذا الموضوع أيضا :

<sup>1</sup> \_PAULHARVEY نفس المصدر السابق .

<sup>2 -</sup> تاريخ الشعوب الاسلامية - كارل بر وكلمان - ص 78.

 <sup>3</sup> ـ امبرآطورية العرب ـ جان باحوت جلوب ـ تر . خيري حماد ـ دار
 الكتاب العربي ـ بيروت ـ 1966 م ـ صفحتي 29, 40.
 4 ـ المستشرقون والاسلام ـ زكريا هاشم ـ ص 43.

THE SPREAD OF ISLAM «MICHAEL ROGERS ELSEVER - 5 PHAIDOH P 26

<sup>6</sup> ـ الدعوة الى الاسلام ـ توماس أرنوللـ تر. حسن الراهيم وآخرـ ط 3 =

ted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا: ما اتجاه يرى أن العامل الاقتصادي هو المحرك الأول لحركة الفتوحات الاسلامية ، حيث يرى بعض المستشرقين أن تحمس العرب في فتوحاتهم كان بسبب ما يعانيه هؤلاء في جزيرتهم من فاقة وجوع وحرمان ، وأن السبب الكامن وراء خروجهم من جزيرتهم هو طمعهم في ثروة القياصرة والأكاسرة ، ويلحق بهذا الاتجاه ما يذهب اليه مستشرقون آخرون من أن أهل الذمة أسلموا لا اقتناعا بالاسلام ولكن فرارا من دفع الجزية ، كما يلحق بهذا الاتجاه

مكتبة البهضة المصرية ـ القاهرة \_ 1970 م ـ ص 390.

<sup>7</sup> \_ الحرب والسلم في شرعة الاسلام \_ مجيد خدوري \_ الدار المتحدة للنشر \_ بيروت \_ 1973 م \_ ص 75, 78.

<sup>8</sup> ـ تاريح مسلمي اسبانيا ـ دوزي ـ تر . حسن حبشي ـ ج 1 ـ دار المعارف ـ القاهرة ص 27, 28, 32.

<sup>9 -</sup> العقيدة والشريعة في الاسلام - أجناس جولد زيهر - تر . محمد موسى وآحرون - دار الكاتب المصرى - القاهرة - 1946 م - ص 27.

<sup>10</sup> ـ من مقال بعنوان (صورة الاسلام والمسلمين في الكتب المدرسية الأمريكية ـ د . اياد الفزاز ـ مجلة الدوحة ـ سنة 6 ـ عدد 65 ـ مايو 198.

<sup>11</sup> \_ العرب \_ أدوار عطية \_ تر . محمد قنديل \_ الشركة العربية للطاعة \_ القاهرة \_ 1961 م \_ ص 19 .

<sup>12</sup> ـ دراسات في حضارة الاسلام ـ هاملتون جب ـ تر . د . احسان عباس وآخرون ـ ط 2 ـ دار العلم للملايين ـ ىيروت ـ 1974 م ـ ص 54 ،

أيضا آراء أخرى ترى أن العلاقات التجارية بين المسلمين وغبرهم من الأمم الأخرى كانت عاملا هاما وراء اسلام الكثير من الكفار الذين تعنيهم هذه العلاقات . يقول ( توماس ارنولد ): ( وكان أقوى من ذلك جذبا لهم إلى الاسلام أملهم الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة في جهادهم في سبيل الدين الجديد ثم أملهم في أن يستبدلوا بصحاريهم الصخرية الجرداء التي لم تتح لهم الاحياة تقوم على البؤس تلك الأقطار ذات الترف والنعيم وهي فارس والشام ومصر ) (1)، ويقول أيضا : ( ويعتبر توسع الجنس العربي على أصح تقدير هجرة جماعية نشيطة قوية البأس دفعها الجوع والحرمان الى أن تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح بلادا أكثر خصبا كانت ملكا لجيران أسعد حظا منهم ) (2) ، ويقول ( ستانلي لـين بول ) : ( إن من المحقق أن تحمس العرب للفتوح كان يؤججه عنصر قوى من التعصب للدين والرغبة في نشره ، فقد حاربوا لأن مثوبة الشهداء وكئوس السعادة والنعيم كانت تنتظر من يقتلون في سبيل الله ، غير أننا لا نستطيع أن ننكر أن ثروة القياصرة

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام ـ توماس اربولد ـ ص 64.

<sup>(2)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 64.

والأكاسرة والأراضي الخصبة والمدن العامرة في المالك المجاورة كانست عاملا كبسرا في تحمس المسلمين) (1). ويقول (دوزي): (فقد كان المعروف أن أوامرالدين تسقيط الجزية في الحال عمن يسلم من الذميين الذين في دار الاسلام مسيحيين كانوا أم يهودا ولا تجبى هذه الجزية الاعمن بقى على دين أسلافه فكان من جراء هذا الطعم الذي يزكيه الطمع أن أخذت الملة الاسلامية تتلقى كل يوم في أحضانها جماعات من المسلمين الذين لم يعتنقوه إيمانا تاما منهم بل كان همهم الأول الاحتفاظ بالمال والمتاع الدنيوي ) (2) ، ويقول ( فيليب حتى ) : ( إن الحاجة المادية هي التي دفعت معاشر البدو \_ وأكثير جيوش المسلمين منهم - إلى ما وراء تخوم البادية القفراء ، إلى مواطن الخصب في بلدان الشيال ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض إلى بلوغ جنة النعيم قد حبب لهم الوغمي فان ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي ازدهر بها الهلال الخصيب كان

<sup>(1)</sup> موسوعة التاريح الاسلامي والحضارة الاسلامية ..د. أحمد شلمي .ج 1 ـ ط 7 . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .. 1977 م ـ ص 291 (2) تاريخ مسلمي اسبابية ..دوزي . ص 138.

الدافع الذي حبب لهم القتال (1) .

ثالثا: \_ إتجاه يحكم على الأفواج التي آمنت بالاسلام بأنها لم تكن موقنة بصحة هذا الدين ، وإنما حملتها ظروف شتى على اعتناقه ، يقول ( توماس سمث ) وهو يتحدث عن البواعث التي حملت الناس على الدخول في الاسلام في عهد الأتراك : ( من المحنزن أن نحصي هذا العدد الضخم من القوم التاعسين الذين انقلبوا أتراكا فأسلم فريق بدافع اليأس البالغ وقد عجزوا عن احتال عبء العبودية وتجنب سفاهات الكفار واهانتهم وأسلم فريق آخر نتيجة مهزلة سقيمة هوجاء ليتبوؤوا مكانة يملكون بهاناصية الحكم وينزلون الاهانة بغيرهم

<sup>(1)</sup> تاریخ العرب ـ فیلیب حتی وآخروں ـ ح 1 ـ ط 4 ـ دار الکشاف ـ بیروت ـ 1965 م ـ ص 195, 196.

وانظر في هذا الموضُّوع أيصا :

The Arabs in history — Bernard lewis — harber and row publishers 1 Newyork 1958 P. 54.

The venture of Islam — hodeson — part 2 — U. S A The university 2 of shicago press — 1954 p. 533

 <sup>3 -</sup> مقال بعنوان ( الاسلام والتعريب ) - عاشور سعيد - محلة عالم الفكر - عدد 2 - يوليو 1979 م - ص 172

The daoly advertiser — paul harvey. — 4

 <sup>5</sup> ـ الاسلام في عظمته الأولى ـ موريس لومبار ـ تر , ياسين الحافظ ـ دار
 الطليعة ـ ببروت ـ 1977 م ـ ص 10.

<sup>6</sup> \_ الاسلام \_ أحمد شلبي \_ ص 203.

من الناس ، وأسلم فريق آخر تخلصا من ألوان العقاب والبلاء جزاء بما ارتكبوه من جرائم ولكي ينعموا بالحريات التي تنطوي على الوحشية والتمي قدسها محمد باعتباره مشلا اقتدى به أتباعه . هذه هي البواعث والأسباب الهامة المغرية التي دفعتهم الى هذا الارتداد وما هي الا دوافع تنشد الراحة واللذة والرخاء بل تنشد العبث والآثام ذلك أنه لا يمكن أن نتصور أن يغرى أحد من الناس عن طريق الاقناع العقلي باعتناق هذه العقيدة التركبة وأباطبلها) (١) ، وبقول (مارشال هودجسون): ( هناك ضغوطات اجتاعية ربما أدت الى التحول الى الاسلام فالرجال ربما تحولوا الى الاسلام لرغبتهم في الزواج من فتيات مسلمات اللاتي لم يكن يسمح لهن بواسطة الشريعة أن يتزوجن من المختلفين عنهن في الدين ، والنساء ربما أصبحن مسلمات من أجل الحاجة إلى الزواج من المسلمين الذين لهم الحق في أن يتزوجوا من مسيحية أو يهودية ) (2) ، ويقول ( فيليب حتى ) : ( على أن الاسلام الذي فتح أراضي الشهال لم يكن الدين بل الدولة . والعرب الذين فاجأوا العالم وانقضوا عليه انما كانوا مدفوعين بعامل قومي . فالفوز

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام .. توماس ارنولد .. ص 193.

THE VENTURE OF ISLAM  $\ast$  HODGSON.( 2 )

الأول كان للقومية العربية لا للدين الاسلامي ) (1).

رابعا: \_ إتجاه يرى في فكرة الجهاد الاسلامي أنها وسيلة لوحدة الأمة الاسلامية وأنها مع هذا مصدر خطر على الأمم الأخرى ، يقول الدكتور وهبه النزحيلي : (قابلت المستشرق الانجليزي ( اندرسون ) في مساء يوم الجمعة ٣ حزيران 1960 م فسألته عن رأيه في هذا الموضوع فكان من نصيحته لي أن أقول: إن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على مثل قاعدة (تتغير الأحكام بتغير الأزمان) إذ أن الجهاد في رأيه لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية . ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الاسلام وأوضاع الحرية ورقى العقول لا تقبل فكرة تفرض بالقوة ) (2) . ، وهذا المستشرق هو نفسه الذي يقول: إن الجهاد الآن يتناقض مع ميشاق الأمم المتحدة

<sup>(1)</sup> تاريخ العرب \_ فيليب حتى \_ ص 197.

وانظر في هذا الموضوع أيصا :

<sup>1 -</sup> المدّعوة الى الاسلام - توماس اربول - ص 55 - رأي للمستشرق (موير).

<sup>2</sup> \_ نفس المصدر السابق \_ ص 60, 64.

<sup>3</sup> ـ نفس المصدر السابق ـ ص 200 ـ رأى للمستشرق ( زورشيكا ) . (2) اثار الحرب في الفقه الاسلامي .. د. وهبه الزحيلي .. ص 95.

وشريعة حقوق الإنسان ولـذلك فانـه لا يتفـق مع روح العصم (١) .

هـذه هي اذا مجمــل آراء المستشرقــين في الفتوحــات الاسلامية ولعل المنهج العلمي يقتضي تناولها بالـرد والمناقشة وفقا لترتيبها آنفا ووفقا لما أشرت اليه من محاولة التزام الأمانة والموضوعية .

## الاتجاه الأول : \_

قبل مناقشة مضمون هذا الاتجاه أرى من الضروري الاشارة الى منزلة الانسان في الاسلام ، فلهذه المنزلة علاقمة وثيقة بالرد على أصحاب هذا الاتجاه ودفع ما يذهبون اليه .

إن الله تبارك وتعالى ميز الانسان بما لم يميز به كثيرا من خلقه ، فلقد منح الله الانسان العقل الذي يستطيع به أن يعرف الخير من الشر والحق من الباطل ثم سخر له هذا الكون كله تقريبا ، ولم يدعه مع هذا لنفسه الامارة بالسوء ، فقد أرسل اليه رسلا تترى مبشرين ومنذرين ، وكان محمد على هو خاتم

<sup>(1)</sup> من مقال ىعنوان ( الاستشراق والمستشرقون ) ـ د. مصطمى السباعي ـ مجلة حضارة الاسلام ـ عدد 10 ـ سنة 3 ـ مايو 1963 م .

هؤلاء النبيين ، وكان القرآن الكريم هو آخـر وحـي الله الى الانسان حتى تقوم الساعة .

وقد بينت آيات الكتاب العزيز أن الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة وأن مصيرهم الى الله ، وهذا يعني أنهم كافة سواء في الحقوق والواجبات ، وأنه لا تفاضل بين شعب وآخر أو قبيلة وأخرى الا بالتقوى والعمل الصالح ، فلا عنصرية ولا فضل لجنس على آخر باللون والمال والجاه ونحو ذلك مما تعارف عليه الناس في غيبة الوعي الصادق بعبوديتهم لله تبارك وتعالى .

وما دام الناس أمة واحدة مها تنوعت السنتهم والوانهم ، فان جماية الانسان في كل مكان على ظهر هذه الأرض مسئولية الناس جميعا ، ويعد الاعتداء على فرد واحد اعتداء على البشر كلهم ، كما يعد احياء نفس واحدة احياء للناس جميعا ، وهذا يؤكد المسئولية الجسيمة الملقاة على عاتق الناس من أجل حماية الانسان ودفع المكروه والظلم عنه . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما

قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ (1) ، فهذه الآية تقرر في جلاء ما يجب على المجتمع الانساني من العمل على حماية الأنفس ودفع العدوان عنها . واذا كانت الآية تتحدث عن بني اسرائيل فحكمها ماض الى يوم القيامة ، لأن كل ما جاء في كتاب الله ولو كان على سبيل الحكاية والاخبار عن السابقين هو تشريع للمسلمين الى يوم اللدين . قال ابن المبارك عن سلام ابن مسكين عن سليان بن علي الربعي قال : قلت للحسن : هذه الآية لنا يا أبا سعيد كها كانت لبني اسرائيل وما جعل فقال : أي والذي لا اله غيره كها كانت لبني اسرائيل وما جعل دماء بني اسرائيل أكرم على الله من دماثنا (2) .

ولقد اتبع المسلمون ما أمرهم به القرآن من المحافظة على النفس وعدم ايذائها ، وكانوا القدوة الحسنة حتى في أحلك الظروف ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : دخلت على عثمان يوم الدار فقلت : جئت لأنصرك ، وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين ، فقال : يا أبا هريرة ، أيسرك أن تقتل الناس جميعا

<sup>( 1 )</sup> الآية 32 من سورة المائدة .

<sup>(2)</sup> تفسير القرآن العظيم \_ إبن كثير ـ ج 2 ـ ط 2 ـ دار الفكر \_ بيروت ـ 1970 م ـ ص 553.

واياي معهم ؟ قلت : لا . قال : فانك إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جيعا ، فانصرف مأذونا ألم مأجورا غير مأزور ، قال : فانصرفت ولم أقاتل (أ) . إن فالإسلام يقيم أهمية خاصة للنفس الانسانية ، فهو يحرم ازهاق الأرواح تحريما قاطعا الا اذا كان هناك سبب موجب للقتل ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ (2) ، ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيا ﴾ (ق) ، إنها إذن جريمة كبيرة تلك التي يتوعد الله فيها القاتل بالغضب واللعنة والعذاب العظيم .

وما دام الاسلام قد كرم الانسان ذلك التكريم ودعا الى حمايته والدفاع عنه وحفظ حرماته ، فلهاذا أباح القتال وحث عليه ، وأعد للذين يقاتلون في سبيله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟ هل يتعارض هذا الموقف مع ما قررت الآيات القرآنية من تكريم للانسان وحماية له ؟.

إنه لا تناقض ولا تعارض بين منزلة الانسان في الاسلام

<sup>(1)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 552

 <sup>(2)</sup> الآية 33 من سورة الاسراء .

<sup>( 3 )</sup> الآية 93 من سورة الساء .

وما دعا اليه هذا الدين من جهاد مسلح ، إذ أن هذا الجهاد جوهره لون من ألوان تكريم الانسان وحمايته من الطغاة والمفسدين والذين لا يدعون الناس أحرارا يؤمنون بما يرغبون ، بل يفرضون عليهم المبادىء والعقائد الفاسدة ويحملونهم عليها حملا .

إن الجهاد في المفهوم الاسلامي وسيلة من وسائل تمكين الانسان من العيش حرا كريما يتمتع بارادة كاملة ومسئولية مطلقة ، وإذا فقد الانسان حريته وارادته فقد فقد كل معنى لحياته ، وأصبح مهانا في وجوده ، لا يختلف كثيرا عن الحيوان فهو مسخر لسواه يعمل وفق مشيئته ، ولا يملك حق العصيان أو الاعتراض ، فأي تكريم وحماية للانسان أولى من هذا التكريم !! والتاريخ يؤكد ما سبقت الاشارة اليه ، فها حمل المسلمون سلاحا الالتلك الغاية المقدسة ، وما بذلوا أرواحهم الالتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفل ، ففي المدينة وبعد الهجرة بنحو عام أذن للمؤمنين بالقتال دفعا للظلم واحقاقا للعدل ، قال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير اللذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربناالله ولولا دفاع الله الناس

بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسمالله كثميرا ولينصر نالله من ينصره إن الله لقسوى عزيز ﴾ (١) ، يقول الرازى في تفسيره لهذه الآية : ( المراد أنهم أذنوا في القتال بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتسون رسولالله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بقتال حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهمي عنبه في نيف وسبعين آية ) (2) ، ويقول القرطبي في تفسيره لهمذه الآية : ( لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهمل المدين للعبادة . فالجهاد أمر متقدم في الأمم ، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات ، فكأنـه قال : أذن في القتــال فليقاتــل المؤمنون . ثم قوى هذا الأمر في القتال بقوله : (ولولا دفع الله الناس ) الاية ، أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل

الاية 39 من سورة الحج

<sup>(2)</sup> التفسير الكبير ـ فخر اللهين السرازي ـ ح 6 ـ دار الفكر ـ بسيروت ـ 1978 م ـ ص 162.

أمة . فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه ، إذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه . وأيضا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم ، وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام انما ذكرت لهذا المعنى ، أي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد عليه السلام المساجد) (1).

إن المسلمين ظلموا واضطهدوا وأبعدوا عن ديارهم وسلبت أموالهم دون أن يرتكبوا ما يوجب ذلك ، فهم لم يفعلوا شيئا سوى أنهم قالوا ربنا الله ، فهل يرى بعد ذلك أي انسان له ذرة من العقل غضاضة في أن يحمل المسلمون سيوفهم ويدفعوا الظلم الذي لحق بهم ، إن كل الشرائع والأديان والقوانين العرفية والأخلاقية لا تنكر على الانسان أن يدافع عن نفسه ، ولقد خلق الله لكل نوع من الحيوانات وسيلة يدافع بها عن نفسه ، فكيف اذا ننكر على هؤلاء دفاعهم المشروع عن أنفسهم ونقول انهم قتلة وسفاكو دماء ؟!

<sup>(1)</sup> الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله القرطبي ـ ج 12 ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ 1967 م ـ ص 70.

## الطابع الدفاعي لغزوات الرسول: \_

واذا كان الاذن بالقتال في بادىء الأمر لسبب رد الظلم والدفاع عن النفس ، فاننا نجد أن الطابع العمام لغمزوات النبي عَلِين المشهورة كان دفاعا عن النفس وليس اعتداء، فالرسول ﷺ في بدر خرج يريد الاستيلاء على أموال قريش نظير أموال المسلمين التي سلبت منهم في مكة ، فلم يكن يريد قتالا ولكنه فوجيء بأن قريشا خرجت بكل ما لها من قوة تريد أن تسكت أي صوت يعلو على صوتها فكان لا بد للنبي على وأصحابه من الدفاع ورد المعتدين ، وفي أحد أراد المشركون أن يثاروا لقتلاهم في بدر فاستجلبوا من استطاعبوا من العرب وخرجوا يريدون غزو المسلمين ، وقد فكر النبي ﷺ في أمرهم فأمر أصحابه في بادىء الأمر بعدم الخروج ، ولكن تحت الحاح أصحابه أذن لهم في ملاقاة عدوهم والدفاع عن أرضهم خارج المدينة لا داخلها (١) ، وفي غزوة الخندق تظاهرت قوى الشرك في الجزيرة مع اليهود على ضرب المسلمين ضربة قاصمة في المدينة ، ولجأ هؤلاء أمام هذه القوى الباغية الى حفر الخندق

<sup>(1)</sup> فتح الباري ـ العسقلاني ـ كتـاب المغـازي ـ ج 8 ـ مطبعـة مصطفـى الحلبي ـ القاهرة ـ . 1959 م .

دفاعا عن مدينتهم ، وذودا عن أموالهم وأعراضهم ، وكان فتح مكة نتيجة غدر المشركين ونقضهم للعهد حين اعتدوا على قبيلة من القبائل التي حالفت المسلمين ، ولا شك أن كل القوانين والأعراف تعطى الحق للحليف في نصرة حليف. وحين الحديث عن فتح مكة لا يفوتني أن أشير إلى أن ما فعله النبي وأصحابه في مكة يعد وحده أكبر وأقوى ساهد على ابتعاد المسلمين عن سفك الدماء يثبت للبشرية مدى حرص المسلمين على السلام ، ومدى تقديرهم لقيمة النفس البشرية ، فهاذا يتوقع المرء من النبي ﷺ أن يفعل بقريش التي أهانته وعذبته وشردته هو وأصحابه من موطنهم ؟ ماذا يمكن أن يفعل بهم وقد جاءه الوقت الذي أصبح فيه قادرا عليهم ؟ لا شيء يمكن أن يجاب به سوى أنهم شعب يجب أن يسحق نهائيا جزاء ما فعله ضد الدعوة الاسلامية ومعتنقيها ، ولكن التفكر النبوي كان أسمى من ذلك بكثير ، كان تفكيرا ينبع من هدى الاسلام وتعاليمه ، كان تفكيرا يمقت القتل وسفك الدماء ويجنح الى السلام والأمان ، لقد خلد الرسول في هذه الغزوة مبدأ تاريخيا عظيا حين قال : إذهبوا فأنتم الطلقاء ، لقد كان لهذه الكلمة أثرها العظيم في نفوس القرشيين الذين لم ترهبهم سيوف المسلمين بقدر ما أرهبتهم تلك الكلمة العظيمة ، فراحوا اثرها

يتدافعون أفواجا للتشرف باعتناق هذا الدين الذي ضرب أروع الأمثلة في التسامح والرحمة ﴿ إذا جاء نصرالله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ﴾ (أ) .

واذا انتقلنا الى مجابهة الرسول على الميهود فاننا نجدها كلها كانت بسبب غدر اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها مع المسلمين ، وكانت أيضا بسبب المكايد التي دبروها للنبي وأصحابه من المسلمين ، ولكن مع كل ما أظهره اليهود من كيد وغدر كان النبي في يرفق بهم ويتسامح معهم اذا نقضوا عهده أو حاربهم فانتصر عليهم ، وكان عليه السلام لا يعاقبهم الا بمقدار ما يكف أيديهم عنه وكان يحكم فيهم من يختارونه بأنفسهم ، وكانت معاملته لليهود أيسر وأخف من معاملته قريشا وغيرها (2) .

ولم تكن غزوات الرسول ضد الروم ومن تابعهم من العرب تختلف عن سابقاتها من الغزوات ، فغزوة مؤتة كانت

<sup>(1)</sup> سورة النصر .

<sup>(2)</sup> تاريخ الاسلام - د. حسن ابراهيم -ج 1 - ط 9 - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1975 م - ص 132.

بسبب اعتداء ملك الغساسنة الحرث بن أبي شمّر الغساني على رسول رسول الله على حين أتاه يدعوه الى الاسلام ، وهو بلا شك انتهاك واضح للعرف الدولي ، فالرسل لا تقتل مها كانت الأسباب ، ولكن ملك الغساسنة تجاهل ذلك المبدأ وقتل رسول رسول الله على ، فها كان من المسلمين الا أن جهزوا جيشا للقصاص من ذلك الذي لم يحترم هذا العرف الانساني والذي أظهر استعدادا لغزو المسلمين في عقر دارهم ، وكانت مجابهة المسلمين للروم في تبوك نتيجة ما سمعه المسلمون من تجمع الروم وبعض القبائل العربية على حدود فلسطين ، وعقد نيه غلم لغزو المسلمين في عقر دارهم .

هذه هي أهم الأحداث العسكرية التي وقعت في حياة رسول الله على ، وهي بلا مراء تعطي نتيجة واحدة وهي أن المسلمين في هذه الفترة قد حملوا السيوف مضطرين من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وعن عقيدتهم التي أراد لها الكفار أن تموت في فترتها الأولى ، ولو أن الكفار تركوا المسلمين وشأنهم ولم يتعرضوا لهم لما كان هناك موجب للقتال وحمل السيف ، ولقد شهد التاريخ بأن المسلمين عندما حملوا السيف كانوا يسيرون تحت امرة نبيهم الذي كان يأمرهم دائما بالرحمة والرفق

والمحافظة على الأخلاق الاسلامية التي تدعو الى اجتناب الأطفال والنساء والشيوخ وعدم اعتبارهم محاربين ، عن أنس أن الرسول عليه قال: انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١) ، وعن ابن عباس قال: كان رسول الله على إذا بعث جيوشه قال : اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع(2). وبمثل هذه الروح الاسلامية التي لم تعرفها الأمم السابقة للاسلام أو اللاحقة له كانت الخسائر في المعارك قليلة حتى انه قيل أن عدد القتلي في الحروب التي وقعت خلال ثلاث وعشرين سنة من بعثته على وحتى وفاته لم يتجاوز ثلاثيائة وخمسة وسبعين رجلا من العرب(3) . وهو شيء خيالي لم تحققه أي دعوة دخلت في صراع مع أعدائها ، إن ذلك يعتبر بحق أحد الشواهد الدامغة التي تدحض افتراء القائلين بأن المسلمين قتلة وسفاكو دماء .

<sup>(1)</sup> سنن البيهقي \_ 9 \_ ص 90.

<sup>( 2 )</sup> سنن أبي داوود .. 3 ـ ص 52.

<sup>(3)</sup> الاسلام في قفص الاتهام \_ شوقي أبو خليل \_ ص 91.

وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى رأى للمستشرقة ( لورافيشيا فاغلري ) تحدثت فيه عن الموقف الذي كان يواجه الرسول على حين الاذن بالقتال وبعد الهجرة فتقول: (كان من دأب الرسول ، بوصفه نبيا موحى اليه ، أن يخاطب المكيين ويحدثهم عن رؤاه السياوية التي طلبت اليه أن يصبر على الأذي والتي أثارت سخط قريش حتى اذا اتخذ القرار العسر بالهجرة الى المدينة ، وبذلك أصبح محور صراع سياسي ، كان عليه أن يختار بين الموت على نحو مذل ، وهو أمر لا يتفق مع رغبات الله، وبين القتال لانقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك. كان الصراع يدور بين الفوضوية ومادية الوثنيين المتبربرين ومخاصهات وأكاذيب اليهود غسر المتسامحين على الرغم من تحضرهم البعيد ، من ناحية ، وبين مثل أعلى رفيع في التجدد الدينسي والاجتاعي من ناحية ثانية . ذلك كان المثل الأعلى الذي أراد محمد أن يحققه بأي ثمن فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان ، أو قل قتال الرجل الذي لا يرغب في الحرب ولكنه مكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدمره بالقوة) (١).

<sup>(1)</sup> دفاع عن الاسلام ـ لورافيشيا فاعليري ـ تر . مير البعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1963 م ـ ط 2 ـ ص 30

حروب الردة: ـ

وإذا انتقلنا إلى الحروب الاسلامية بعد وفاة الرسول على وبخاصة في عهد الخلفاء الراشدين ، فان أول ما يطالعنا في تلك الحروب هو حروب الردة والتي كانت من الخطر بحيث أنها هددت بنسف الدعوة الاسلامية التي أرسيت دعائمها في الجزيرة العربية في عهد الرسول ﷺ ، وفي هذه الحروب يبرز الموقف البطولي والخالد لسيدنا أبي بكر رضى الله عنه الذي أحس بأن الاسلام يواجه كارثة حقيقية لا مناص من مواجهتها ومن هنا فقد أصر على قتال المرتدين رغم معارضة الصحابة ، وسجل له التاريخ ذلك الموقف الذي قال فيه: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي (١) . ماذا عكن أن يحدث لو أن طائفة من الناس في أي دولة من دول العالم الآن أعلنت العصيان في وجه السلطة الحاكمة ؟ إن الجواب بكل تأكيد هو أنها سوف تسحق نهائيا وسوف يبيدها الحاكم عن آخرها رغم أن هذه الطائفة قد تكون على حق ، وأن الحاكم الذي أبادها ليس له مبرر سوى تمسكه بكرسيه وانتصاره

<sup>( 1 )</sup> حياة الصحابة \_ محمد يوسف الكاندهلوي \_ دار المعرفة \_ سروت \_ ص 419

لشهواته وهو أمر تعود الجميع على سهاعه في الكثير من دول العالم دون أن يسمعوا أي تنديد أو استنكار لما يفعله ذلك الحاكم من أية جهة أخرى رسمية أو عادية ، وكمثال على ذلك ما يحدث الآن في ايرلنده وشيلي والفليين وإفريقيا وغيرها من بقاع العالم الأخرى التي نهضت فيها طوائف تطالب بحقوقها وتناضل من أجل نيل حريتها . أما حين يفعل ذلك الخليفة أبو بكر رضى الله عنه وهمو من هو في التقموي والمورع والزهمد والعفة ، وهو الذي لم يعرف التاريخ أنه أراد منصبا أو كرسيا أو جاها ، حين يفعل ذلك ضد طائفة تريد تمزيق وحدة الجزيرة وتهديد كيان الاسلام ، ليس لها هدف شرعى تناضل من أجله ، طائفة أرادت أن تمتنع عن أداء فريضة كتبها الله للفقراء والمساكين من أموال الأغنياء ، أو طائفة عادت الى الوثنية وتخلت عن العقيدة الاسلامية ، أو هؤلاء الذين ظنوا النبوة سلطانا ومتاعا فزعموا أنهم أنبياء ، حين يفعل ذلك ضد تلك الجماعات ومنها من تآمرت مع الفرس والروم ومع بقايا اليهود في شمال الحجاز الذين قدموا لهم المساعدات العسكرية وآووا المتمردين في ديارهم (١) ، أقول حين يفعل الخليفة ابـو

<sup>( 1 )</sup> الاسلام وحركة التاريح ـ أبور الجندي .

بكر رضي الله عنه ذلك تثور ثائرة مؤرخسي الغبرب ويجدو. فرصة لقذف الاسلام بالاتهامات التي يأتي على رأسها أنه دين قتل وسفك دماء وكمثال على ذلك أورد قول دوزي عندما كان يتحدث عن حروب الردة : ( إذا لم تكن هذه البحار الجمة من الدماء كافية لاقناع العرب فلا أقبل من أنهم أدركوا أن الاسلام قوة لا يمكن مقاومتها وأنه قوة خارقة ولما رأوا سقوط الكثيرين منهم بحد السيف استبدبهم الذعر والذهول وعزموا على اعتناق الاسلام أو على الأقل ـ التظاهـر باعتناقـه ـ وأراد الخليفة ألاّ يتيح لهم من الوقت ما يذهب عنهم الفزع فقذف بهم في الحال على امبراطوريتي المروم والفرس)(1). اذا فان حروب الردة في رأي دوزي كانت لاكراه الناس على اعتناق الاسلام ، وأن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه أغرقهم في بحر من الدماء لكى يحولهم الى مسلمين ، إن هؤلاء كانوا مسلمين ولم يرفضوا الاسلام كدين وانما رفض بعضهم تأدية الزكاة بحجة أنهم كانوا يؤدونها للرسول ولا يوجد مبر ر لأدائها بعد وفاته ، ثم الذين ارتدوا أو ادعوا النبوة قد خرجوا على قواعد المدين وأصوله ، وأثاروا فتنة بين الناس فوجب ردعهم وعقابهم ، ثم

<sup>( 1 )</sup> تاريخ مسلمــي اسبــاليا ـ دوري ـ تر . حــــن حبشي ـ ج 1 ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ص 32.

إن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه كان يحفظ ويفهم القرآن خرا من دوزي آلاف المرات ، ألم يكن يعرف قول الله تعالى : ﴿ لَا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (2) وقوله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ <sup>(3)</sup> إن أبا بكر رضي الله عنه كان يعي جيدا هذه الآيات ولهذا فان هدفه لم يكن تحويل الناس الى الاسلام بالقوة ، وإنما كان يهدف الى اخماد فتنة كادت أن تعصف بوحدة الجزيرة العربية ، ليست دينية فقط ولكنها كانت سياسية أيضا . ثم إنه يقول إن الخليفة أراد ألا يترك لهم فرصة فقذف بهم الى الروم والفرس ، ترى هل يمكن أن نضمن نجاح حرب عدتها جنود مكرهون على القتال اكراها ، ليس لهم هدف يقاتلون من أجله ، كيف يمكن لقائد أن يغرق شعما في الدماء ثم يعتمد على ذلك الشعب ان ينتصر له من قوم آحرين . إن التاريخ يثبت أن المسلمين انتصر وا على أكبر امبراطوريتين في ذلك الوقس ، وأن انتصارهم كان

<sup>( 1 )</sup> الآية 256 من سورة البقرة

<sup>( 2 )</sup> الآية 99 من سورة يوىس .

<sup>(3)</sup> الآية 29 من سورة الكهف.

بواسطة الايمان الذي عمر قلوبهم ، وأشعرهم بصدق هدفهم وسلامة رسالتهم ، إذا فان ما يقوله دوزي هو منطق ساذج ، وافتراء واضح ليس للعقل ولا للمنطق ولا للمنهج العلمي فيه نصيب .

المجابهة مع الفرس: \_

بعد حروب الردة يبقى الكلام على المجابهة بين المسلمين والفرس ، تلك المجابهة التي نحت بذورها منذ أن أرسل الرسول على عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى عظيم الفرس حاملا معه كتابا يدعوه فيه الرسول الى الاسلام انطلاقا من مسئولية تبشير الدعوة عالميا التي كلف بها المصطفى كالمسلمون من بعده ، وحين قراءة كسرى لهذا الكتاب وجد اسم النبي مقدما على اسمه ، فاستشاط غضبا ومزق الكتاب وكتب الى عامله على اليمن يأمره بأن يأتيه برأس محمد ، ففعل العامل مثلها أمر ولكن مهمته باءت بالفشل (١) ، وهذه القصة تحمل دلالة كبيرة من دلالات التحدي الذي أظهره الفرس عندما شعروا بنمو الدولة الاسلامية وعظم شأنها ، واذا أضفنا الى ما تقدم حادثا آخر ، وهو اعتداء عرب الحيرة التابعين

<sup>( 1 )</sup> الكامل ـ ابـن الأثـير ـ مجلـد 2 ـ دار صادر ودار بـيروت ـ بـيروت ـ 1965 م ـ ص 213.

للفرس على المسلمين المجاورين لهم ، فان الموقف يزداد وضوحا وهو أن المجابهة مع الفرس لا بد من حدوثها ، ذلك أن الفرس يريدون بلا شك تهديم الكيان الجديد الذي نشأ في الجزيرة العربية ، ومن ثم فقد أرسل الخليفة أبوبكر رضي الله عنه خالد بن الوليد لينتصر للمسلمين المجاورين للحيرة ، وبذلك بدأت المعارك بين المسلمين والفرس ولم تتوقف الا بانقضاء مملكة فارس وسطوع شمس الاسلام على تلك البقعة من الأرض .

وبالنظر الى الأسباب التي أدت الى المجابهة بين المسلمين والفرس نجد أن المسلمين قد اضطروا الى هذه المجابهة ، وأنهم لم يكونوا البادئين بالعدوان وذلك تنفيذا لأوامر القرآن الكريم الذي يجوز القتال بعد وقوع الاعتداء من الطرف الآخر : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ (1) وعلى ذلك فان حروب المسلمين مع الأقوام الفرس لا تختلف عن غيرها من حروب المسلمين مع الأقوام الأخرى ، فجميعها ذات طابع دفاعي ليس فيها هدف لاشعال نار الحرب والانتقام من الآخرين ، ولقد اعترف بذلك كثير من

<sup>( 1 )</sup> الآية 190 من سورة البقرة .

مفكري الغرب المنصفين الذين درسوا ظاهرة الفتوح الاسلامية دراسة موضوعية أمينة ، فقادتهم دراستهم هذه الى الاعتراف بحق المسلمين المشروع في حروبهم ، وتسأكدوا جيدا أن المسلمين أصحاب عقيدة يذودون عنها ، ويهبون أرواحهم في سبيل المحافظة عليها وتوصيلها الى شعوب الأرض كافة دون الزام لأحديها . يقول المستشرق ( مارسيل بوازار ) : ( لقد أجبرت الضرورات النبي محمدا على تأليف جيش لصد الهجمات المعادية وارسال حملات وقائية من الجبران الخصوم. ولماكان رجلا مستقما ، وسياسيا مرهفا ، ومخططا بارعا ، فقد استشعر ضرورة ( ردع ) أعـداء مجتمعـه . وكان عليه قمـع غارات السلب والنهب وتوفير السلام والأمان على طريق القوافل. وأخبرا كانت القوة المسلحة تبدو في نطاق الحروب القبلية التي كانت تمزق أوصال الجزيرة العربية ضرورة حيوية كيلا يتجرأ ( أعداء الاسلام ويتعرض للخطر وجود الدولة التي كانت في أولى مراحل نموها ) وهكذا تكتسب المعارك ، حتى التي كان النبي يبدأ بشنها طابع الرد على الاستفزاز أو التدبير الاحترازي لحماية النفس) (1).

<sup>(</sup> ا ) انسانية الاسلام ـ مارسيل بوازار ـ تر . د. عفيف دمشقية ـ دار الآداب ـ بيروت ـ 1980 م ـ ص 264.

## العنف في الحروب الاسلامية :

إن كتب التاريخ التي تناولت سير المعارك والحروب بوجه عام تحدثنا أن العنف ظاهرة ملازمة للحروب ، فالجيوش عندما تهاجم ديار قوم لا تعرف شفقة ولا رحمة ، ولا ترعمي حرمة ولا تفرق بين كبير ولا صغير ، ولا تترك دابة ولا شجرة ، وذلك لأن هدفها هو الانتقام والتشفى ، واسكات كل صوت يعارض وجودها أو يرفع السلاح في وجهها ، وهذا ليس شأن الجيوش الغازية لأجل منافع اقتصادية وسياسية فحسب ، بل ساد ذلك العنف حتى في بعض الديانات التي سبقت الاسلام ، وقد ورد في الاصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع ( فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرقها بكل ما فيها من بهائها بحد السيف ، تجمع كل أمتعتها الى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب الهك فتكون تلا الى الأبد لا تبنى بعد) (١) وورد في الاصحاح العشرين : ( إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب قوم أكثر منك ، فلا تخف منهم لأن معمك السرب

<sup>(1)</sup> آيات الجهاد في القرآن الكريم ـ كامل سلامة الـدقس ـ دار اليان ـ الكويت . 1972م ـ ص 101 ـ نقلا عن الاصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع .

الهك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهلك . هكذا تفعل في جميع المدن البعيدة جدا أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ) (١) ، ويقول جيبون: (إن الحملة الصليبية الأولى تركت في التاريخ أقسى ما عرف من التعصب لا ضد المسلمين فحسب بل ضد مسيحيى الشرق . فان الصليبيين خدام الرب يوم أن استولوا على بيت المقدس في 7/15/ 1099 رأوا أن يكرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم لم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال فقد حطموا رؤوس الصبيان على الجدران وألقوا الأطفال الرضع من أسوار المعاقل والحصون ، وشيّ الرجل على النار ، وبقر بطون الحوامل ليروا هل ابتلع أهلها الذهب واستمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ولم تنته الالما أعياهم الاجهاد من القتل وقد شوهد القاصد الرسولي مندوب البابا وهو يشارك في هذا

<sup>(1)</sup> المصدر السابق - نقلا عن الاصحاح العشرين من 10-18.

الانتصار ) (١) ، ويروى ابن الأثمر هذه المذبحة فيقول : ( وقتل الفرنج ، فالمسجد الأقصى ، ما يزيد على سبعين ألفا ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلما ثهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجماور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء) (2) ، وهذه الوحشية في الحروب لا زالت مستمرة الى يومنا هذا فالحروب الكونية في هذا القرن كانت مثالًا مروعاً للتدمير والهلاك ، وما جرى لمدينتي هیروشیما ونجازاکی خبیر شاهمد علی ذلك ، كما أن مذابح الصهيونية في فلسطين ولبنان برهان آخر على أن الحروب في منطق غير المسلمين ابادة لا تعرف رحمة ، وقتا, للمحارب وغيره على السواء.

أما منطق المسلمين في الحرب فهو المنطق الذي ينبثق من

<sup>(1)</sup> المصدر السابق.

<sup>( 2 )</sup> الكامل - ابن الأثير - ج 10 - ص 284.

دينهم ، دين الاخاء والمساواة والحق والعمدل واحترام آدمية الانسان ، ومن ثم كانوا في حروبهم أبعد الناس عن ممارسة العنف والابادة ، لأن الديانة الحقيقية لا تأمر أتباعها بالتشفي والانتقام بل تأمرهم بأن يدافعوا عن أنفسهم وينتصروا لمبادئهم دون أن يخرجوا عن حدود انسانيتهم ، انظر الى الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ماذا قال حين ودّع جيش أسامة قائــد أول جيش حمارب بعد وفاة رسول الله على : ( يما أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظ وهما عنسي : لا تخونموا ولا تغلموا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخبا كبسرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجهة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعسرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له )(١١) ، هذه هي وصية أبي بكر لجيشه وهي بالطبع لم تكن ناتجة عن اجتهاد شخصي وانما كانت نابعة من القرآن الكريم الذي هذب النفوس ووضع القواعد والأسس التى تنظم كل شئون الحياة ، إن الخليفة أبا بكر كان ـ حين أوصى

<sup>( 1 )</sup> تاريخ الطبري ـ محمد بس جرير ـ تحق . محمد أبو الفصل ـ ط 2 ـ ج 3 ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ صر 226. 227.

جيشه .. يتمثل قول الله تعالى : ﴿ وَقَاتُلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اللَّذِينَ يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين كه (1) يقول ابر. كثير في تفسيره لهذه الآية : ( أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي ، كما قالمه الحسين البصرى: من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأى لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم )(2) واذا كان هذا حال الخليفة أبى بكر رضي الله عنه فان الخليفة عمر رضى الله عنه كان يسمر على نفس الشاكلة وينبع من نفس النبع ، انظر إليه وهو يوصى قائده سعـد بن أبــى وقــاص : ( وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد من أهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بهاكما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم

الآية 190 من سورة البقرة .

<sup>( 2 )</sup> تعسير القرآن العظيم \_ ابن كثير \_ ج 1 \_ ط 2 \_ دار الفكر \_ بيروت ـ 1970 م \_ ص 400, 400.

فتولوهم خيراً ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ) (1) ، وهكذا يرسم الاسلام لأتباعه الهدف من القتال وهو أن يكون في سبيل الله ، ويبين لهم الطريقة المثلي لتحقيق ذلك الهدف وهي أن يقاتلوا الذين اشتركوا في الحرب فقط ولا يتجاوزوا ذلك لأن في تجاوزهم وقتالهم لمن لم يرفع السلاح ويشترك في المعركة اعتداءا آثما ، وهـو ما نهـي عنه القرآن الكريم حين قال: ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، والتاريخ الاسلامي مليء بالصور الراثعة للأخلاق الاسلامية في الحرب وهي صور تتجلى فيها الانسانية بكل معانيها والرحمة بكل صورها ، وكانت تلك الصور سببًا قويًا من الأسباب الكثيرة التي جعلت الشعبوب تقبل أفواجا على اعتناق الاسلام ، إنظر الى الأهالي المسيحيين في الأردن ماذا قالوا للجيش الاسلامي عند ما بلغ الأردن وعسكر به قائده أبو عبيدة في فحل ، لقد كتبوا يخاطبون العرب : ( يا معشر المسلمين أنتم أحب الينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم

<sup>( 1 )</sup> العقد الفريد ــ ابن عبد ربه ــج 1 ــ تحق . أحمد أمين وآخرون ــط 3 ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ 1965 م ــص 130, 131.

غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ) (1) .

انتشار الاسلام بين السيف والاقناع : -

وإذا ثبت بدلائل كثيرة بطلان التهمة الأولى وهي أن المسلمين قتلة وسفاكو دماء ، فان التهمة المتعلقة بها وهي انتشار الاسلام بالسيف والاكراه اكثر بطلانا ، وأول ما يطالعنا من دلائل تثبت بطلانها هو قول الله تعالى : ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (2) ﴿ ادع الى سبيل ريك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (3) ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليكفر ﴾ أ ﴿ فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ (5) يقول ابن كثير في تفسيره للآية الأولى : (أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح ، جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للاسلام ، وشرح صدره ، ونور بصيرته ، دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله صدره ، ونور بصيرته ، دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله

<sup>(1)</sup> السلام العالمي والاسلام \_ سيد قطب \_ ص 59٪.

<sup>(2)</sup> الآية 256 من سورة النقرة .

<sup>( 3 )</sup> الآية 125 من سورة النحل .

<sup>(4)</sup> الآية 29 من سورة الكهف .

<sup>( 5 )</sup> الآية 21 من سورة الغاشية .

قلبه وختم على سمعه وبصره ، فانه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا ) (1) ، وينقل الرازى في تفسيره لهذه الآية رأيا عن أبي مسلم والقفال فيقول : ( معناه أنه تعالى ما بني أمر الايمان على الاجبار والقسر وانما بناه على التمكن والاختيار ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للغدر وقال بعد ذلك انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الاقامة على الكفر الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك عما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء إذ في القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ) (2) ، وقال ابن تيمية في آية لا اكراه في الدين: ( لا نكره أحدا على الدين والقتال لمن حاربنا فان أسلم عصم مالمه ودمله ، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قطأن ينقل أن رسول الله على أكره أحدا على الاسلام لا ممتنعا ولا مقدورا عليه ، ولا فائدة في اسلام مثل هذا لكن من أسلم قبل منه ظاهر الاسلام) (3) ، وهكذا

<sup>(1)</sup> تفسير القرآن العظيم \_ ابن كثير \_ ج 1 \_ ص 551.

<sup>( 2 )</sup> تفسير الرازي \_ ج 2 \_ ص 313. \_

<sup>(3)</sup> آثار الحرب في الفقّه الاسلامي ـ وهبة الزحيلي ـ ص 82 ـ نقلا عن رسالة القتال لامن تيمية في مجموعة رسائل ـ ص 123, 125.

يتضح من هذه الآية وغيرها من الآيات ومما قاله المفسرون فيها أن الاكراه على اعتناق الدين شيء مرفسوض في الشريعة الاسلامية ، إذ أن العقيدة محلها القلب ولا تستطيع أي قوة أن تغير شيئا استقر في القلب وعلق في الذهن الا بطريق الحجة والاقناع والمنطق ، ولذلك فان مهمة الرسولﷺ تنحصر في الموعظة بالرفق واللين والمجادلة بالحجة والبرهان ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (أ) ﴿ فَذَكُرُ الْهَا أَنْتُ مذكر لست عليهم بمسيطر ك (2) ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسورا كالأنا، إلى غير ذلك من الآيات التي تقرر مبدأ حرية العقيدة في الاسلام وتبعد أي أثر من شأنه التسلط أو فرض السيطرة على عقائد الناس حتى ولو كان ذلك من النبي نفسه ، ولذلك وضح القرآن في أكثر من موضع للنبي على أن عليه أن يبلغ رسالته فقط ثم ليس عليه بعد ذلك أن يكترث أو يهتم بمن دخل في الايمان أو لم يدخل لأن ذلك مسألة شخصية يتحمل وزرها صاحبها ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُمْلُ يَأْمُهُمُا الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى

<sup>(1)|</sup>الآية 125 من سورة النحل .

<sup>( 2 )</sup>االآية 21 من سورة الغاشية .

<sup>( 3 )</sup> الآية 125 من سورة النحل .

لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ها ويقول تعالى : ﴿ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ها ويقول أيضا : ﴿ أَفَانَت تسمع الصم أو تهدي من يشاء ها ويقول أيضا : ﴿ أَفَانَت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ها ولا يقبل منه بل هو مردود أيضا صراحة أن ايمان المكره لا ينفعه ولا يقبل منه بل هو مردود عليه لأنه لم يكن ناتجا عن اقتناع ولم يدخل هذا الايمان في قلبه ، يقول تعالى في قصة فرعون لما أدركه الغرق : ﴿ قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ها في فر عليه تبارك وتعملى : ﴿ الآن وقعد عصيت قبل وكنست من المفسدين. ها وكان تعالى أيضا في آية أخرى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ها وكان .

كل تلك الآيات تبين في وضوح ودونمــا حاجــة الى

<sup>(1)</sup> الآية 108 من سورة يونس .

 <sup>(2)</sup> الآية 56 من سورة القصص .
 (3) الآية 40 من سورة الزخرف .

<sup>( 9 )</sup> الآية 90 من سورة يونس . ( 4 )

<sup>( 5 )</sup> الآية 91 من سورة يونس .

<sup>( 6 )</sup> الآية . 84, 85 من سورة غافر .

الاستشهاد بتفسير معين أن حرية العقيدة هي من أبرز الأشياء التي أوجبها الاسلام وحث عليها ، بل وأوجب على المسلمين أن يقاتلوا في سبيل تثبيت هذا المبدأ ، ومن هنا كانت الفتوحات لاسلامية تهدف الى تحطيم سلطة الحكومات التي كانت تقف حاجزا أمام الشعوب ، وتمنعهم من اعتناق أي عقيدة الا تلك التي يدين بها الملك أو الرئيس ، فاذا ما تحقق انتصار المسلمين على تلك الحكومة المتسلطة ترك الأمر بعدها للشعب في أن يختار اعتناق الدين الاسلامي أو أن يبقى على دينه .

ليس من مهمة المسلمين اكراه الناس على اعتناق الاسلام ولو أراد النبي على ذلك لما كانت هناك حاجة لأن يبرم عهودا ومواثيق مع اليهود في المدينة ، وماذا يمنعه من أن يكره اليهود على اعتناق الاسلام أو أن يبيدهم عن آخرهم ، إنه رجل الدولة الأول ، والمسلمون هم القوة الأولى في الجزيرة العربية ، لا شيء يمنعه من فعل ذلك الا الأمر الالهي لا اكراه في الدين ، لقد جاء في عهده لليهود حين قدم المدينة : ( وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين . لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم الا من ظلم أو أثم فانه لا يرتغ الا

نفسه وأهل بيته) ١٠٠ ، تلك هي حرية العقيدة في الاسلام التي تتجلى في مواقف كثيرة للرسول وغيره من الصحابة ، ولعل من بينها أيضا ذلك العهد اللذي أعطاه الرسول على لنصارى نجران في اليمن حين قال : بأنها وحاشيتها في جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم . لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن عن كهانته ، ومن سأل حقا منهم بينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين 2 ، وقد سار الصحابة على نفس النهج الذي رسمه لهم النبي من أسول المناهج الذي رسمه معتقداتهم ، روى زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر ابن الخطاب يقول لعجوز نصرانية : أسلمي أيتها العجوز تسلمي ، إن الله بعث محمدا بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة والموت الي قريب فقال عمر : اللهم أشهد وتلا : لا اكراه في الدين دو الدين أله الله المنه والله الله اللهم أشهد وتلا : لا اكراه في الله الله الدين دو اللهم أشهد وتلا : لا اكراه في الله الهردة اللهردة المهردة اللهردة المهردة اللهردة اللهردة المناه اللهردة اللهردة المناه اللهردة اللهردة المناه المناه المناه المنهدة المنهدة المناه المناه المناه المناهدة المن

<sup>( 1 )</sup> السيرة النبوية \_ ابن هشام \_ج 1 \_ ص 503.

<sup>(2)</sup> الحريات العامة \_ د. عبد الحكيم العبلي \_ دار الفكر العربي \_ 1974 م \_

<sup>( 3 )</sup> الجامع لأحكام القرآن \_ القرطبي \_ ح 3 \_ دار الكاتب العربسي \_ القاهرة \_ 1967. م \_ ص 280.

هل بعد هذا يمكن لأحد أن يقول إن المسلمين أجبروا الناس على اعتناق الاسلام ، وإن الانتشار الواسع والنجاح الباهر الذي حققه الاسلام لم يكن ليحصل لولا القوة والاكراه ، أن ذلك كذل وبهتان وإفتراء ليس له من الصحة نصيب ، وتكذبه الآيات القرآنية الكترة الواضحة ، وتبطله الوقائع التاريخية الكثيرة التي حملت بها كتب التاريخ والتي سجلت للمسلمين تاريخا ناصعا اكتسحوا فيه الأمم والشعوب من أجل أن يدافعوا عن حرية العقيدة ، ولقد أحسن الأستاذ أنور الجندي حين قال : ( إذا جاز لنا أن نستعمل كلمة فتح فانما يتم ذلك بمفهوم واحد وهو ازالة القوة التي تقف أمام أمانة عموم الرسالة التي حملها المسلمون عن الرسول على ، وكانت في تقديرهم : مهمة حياتهم يهبون لها أرواحهم ويستشهدون من أجلها فالفتح هو كسر الحواجز المادية التي يحاول أن يقيمها الحكام والأباطرة والأمراء أصحاب السلطة في الأقطار التي ينفذ اليها الاسلام رغبة في تحقيق اللقاء بين الاسلام وبين هذه الشعوب المغلوبة على أمرها ) (١).

<sup>( 1 )</sup> الاسلام وحركة التاريخ ـ أبور الجندي ـ مطبعـة الرسالـة ـ القاهـرة ـ 1968 م ـ ص 55. ,

وزيادة في الايضاح وتبيين أن الاسلام لم ينتشر بالسيف ، وأنه لا علاقة بين الفتوحات الاسلامية وبين انتشار الاسلام ، أقول أين السيف الذي أجبر أوائل المسلمين وحملهم على نبذ الأصنام واتباع ما أتى به الرسول على ، أين السيف الذي أجبر بلالا وعمارا وغيرهم من المستضعفين على تحمل ألوان العذاب ، ألم يكن سيف الكفر هو الذي تسلط على رقابهم وأذاقهم الويلات من أجل أن يتركوا دينهم ويسبوا نبيهم ، وأين السيف الذي سلط على أهل المدينة وأجبرهم على أن يعرضوا على النبي على النبي على مهمة حماية الرسالة ، وهمي مهمة خطيرة تحملهم تبعات كثيرة وكبيرة قد تكلفهم أرواحهم ، ثم أين السيف الندى أجبر المهاجرين على ترك الأهل والمال والوطن ، إنه فقط سيف الكفر ، ثم ان كان هناك سيف ينشر الاسلام ويكره الناس على اعتناقه فلهاذا لم يتجه هذا السيف الى الحبشة رغم قربها من المسلمين ، فكتب التاريخ تحدثنا بأنه لم تقم حروب بين المسلمين وبين الأحباش رغم اختلاف الاثنين في الدين ، إن العلة في الحروب الاسلامية وفي الأمر بالقتال هي المقاتلة وليست الكفر ، فمن شهر سيف في وجمه المسلمين وجب عليهم أن يردوه ، وأما غير ذلك فلا يوجد مبرر لاشهار السيف ، وهكذا كان موقف المسلمين مع الأحباش ،

فلو كانت العلة هي الكفر لما ترك المسلمون الأحساش وتجاوزوهم الى الأمم الأخرى ، وكتب التاريخ تحدثنا أيضا أن النبي ﷺ عندما بلغه نبأ تعبئة الروم لجيوشهم على حدود الدولة الاسلامية عبًّا جيشه وجهزه وخرج للقائهم ، ولكن الروم انص فوا دون أن يقاتلوا ، فيا كان من النبي على الا أن عاد بجيشه من حيث أتى دون أن يتعقبهم رغم ما تحمل المسلمون في ذلك من نفقة الرحلة وأتعاب ا(1). مرة أخرى أقول أين السيف الذي أجبر مشركي الجزيرة العربية على اعتناق الاسلام بعد صلح الحديبية ، تلك الفترة التي شهدت دخول الكثيرين في الاسلام ، إنها بكل تأكيد لم تكن فترة حرب بل كانت فترة هدنة وصلح ، ثم أين السيف الذي أجبر القرشيين على اعتناق الاسلام أفواجا بعد فتح مكة وبعد أن أعتقهم النبي ﷺ وعفا عنهم حين قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وأين السيف أيضا الذي أجبر القبائل العربية على أن تأتى للرسول على في أواخر السنة التاسعة وطوال السنة العاشرة للهجرة وتعلن اسلامها ، ونتيجة لكثرة الوفود التي أقبلت تريد الدخول في الدين الجديد سمى ذلك العام بعام الوفود ، وأين السيف الذي أعمل في رقاب

<sup>( 1 )</sup> السيرة النبوية \_ ابن هشام \_ ج 2 \_ ص 527.

المصريين حتى جعلهم يقدمون تسهيلات ويرحبون بالعرب الفاتحين الذين خلصوهم من شر الروم وكيدهم ، وأين السيف الذي تسلط على رقاب الكثيرين من نصاري الجزيرة العربية وغيرهم من المسيحيين وجعلهم يعلنون اسلامهم على أيدي الدعاة من المسلمين ، لقد تحدث توماس ارنولد عن هذه الحالات بتفصيل كبير ، وكان في كشير من الأحيان يعلن أن حالات التحول الى الاسلام بين المسيحيين لم تكن تحت ضغط ، ولم تكن تحت تأثير سيف ، بل كانت نتيجة الجهود المكثفة للدعاة المسلمين ، ونتيجة ما عرف عن المسلمين من أخلاق عالية ومعاملة حسنة أخذت ألباب المسيحيين وعقولهم وجعلتهم ينبذون ديانتهم ويعتنقون الاسلام ، وقد أشار الى هذا التأثير توماس ارنولد حين تحدث عن حالات التحول الى الاسلام أثناء الحروب الصليبية فقال: ( ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصم ه تأثيرا سحريا خاصا حتى أن نفرا من الموسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا الى المسلمين ) (١) .

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام \_ توماس اربولد \_ ص 111.

ومن أعظم الدلائل وأقواها على تأكيد انتشار الاسلام بالحجة والاقناع وأن السيف لم يكن له دور في نشر الديانة الاسلامية ، ما حدث في القرن السابع الهجري من حوادث هدت الكيان الاسلامي وزعزعت الدولة الاسلامية ، وذلك

<sup>(1)</sup> الاسلام .. د. أحمد شلبي .. ص 196 نقلا عن كتاب مختصر تاريخ الشرق الأوسط .

عندما هجم المغول والتتر على البلاد الاسلامية ، وأعملوا في أهلها القتل والسلب والنهبي، ودمروا مدنها وقراهاي ونسفوا كل مظاهر الحضارة التي شيدتها الدولة الاسلامية ، وكانت تلك الحوادث من أكبر ما نزل بالمسلمين من خطوب بل ما نزل بالانسانية عامة ، ولقد بدأ ابن الأثر كلامه على هذه الحوادث بمقدمة حزينة تدل على عظم الفادحة وجسامة الخطب فقال: ( لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارهما لذكرهما فأنما أقدم اليمه رجملا وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعب الاسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فيا ليث أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلوقال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلهـا لكان صادقـا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ) (1) ومع أن

<sup>(1)</sup> الكامل \_ ابن الأثير ... ج و \_ ص 329.

المغول استطاعوا أن يفنوا الملايين من البشر ويهدموا مئات المدن وآلاف القرى إلا أنهم لم يستطيعوا أن يطفئوا شعلة الاسلام التي ظلت مشتعلة في نفوس من بقي من المسلمين الندين استطاعوا وهم مغلوبون وأن يصارعوا مبشري البوذية والمسيحية وينافسوهم في اكتساب قلوب هؤلاء الغجر الندين كانوا يدينون بالشامانية (۱) ديانة المغول القديمة ، وما هي الاسنوات والحلة بالمساجلات والمناقشات الدينية بين أنصار تلك الديانات وحتى استطاع أولئك الدعاة القلة والذين كسر المغول شوكتهم وأزال كيانهم أن يجذبوا الى حظيرة الاسلام أولئك الفاتمين الجدد محطمين بذلك كل التهم والأباطيل التي يروجها أعداء الاسلام من أنه دين انتشر وقام على السيف ، إن يروجها أعداء الاسلام من أنه دين انتشر وقام على السيف ، إن تلك الحادثة لا تحتاج الى تعليق ولا تحتاج الى شرح واستشهاد ، فهي وحدها كفيلة برد ما يقذفه المستشرقون من أكاذيب وما يرددونه من دعايات ، فالاسلام قد انتصر حين انهزم أهله ،

انظر : المورد ـ منير البعلبكي . دائرة المعارف البريطانية/ج 6 / ص 107.

<sup>(1)</sup> هي دين بدائي من أديان شمالي سبيبريا ، يتميز بالاعتقاد بوجود عالسم محجوب ، هو عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف ، وبأن هذا العالم لا يستجيب الاللشاهان وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرضى ولكشف المخبأ وللسيطرة على الأحداث . والشامانية تعتبر أيضا دين بعض الطوائف من هنود أمريكا الحمر .

والاسلام قد انتشرحين لم يكن له سيف يحميه أو يذود عنه ، بل كان هناك سيف مسلط عليه ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولوكره الكافرون ﴾ (1) .

إن انتشار الاسلام بالحجة والاقناع قول تدعمه أدلة كثيرة ، منها ما تقدم ذكره ومنها أن أغلب البلدان التي يكشر فيها المسلمون هي تلك البلدان التي لم تشهد حروبا ولا غزوات ولكن شهدت نشاطا مكثفا من جانب الدعاة المسلمين الذين وهبوا أنفسهم وما يملكون في سبيل الله ، يبلغون دعوة نبيهم ورسالة رجم الى جميع شعوب الأرض ، متخذين من مبادىء دينهم السامية ، وسلوكهم وتصرفاتهم النبيلة الوسيلة الوحيدة لاقناع الآخرين بصدق دعوتهم وزيف ما عداها من الدعوات الأخرى .

الاسلام في افريقيا: ـ

إن الاسلام قد شق طريقه الى وسط وجنوب القارة الافريقية السمراء بجهود بسيطة وسهلة ، اعتمدت على التجار

<sup>( 1 )</sup> الآية 32 من سورة التوبة .

المسلمين اللذين أحوجتهم ظروف العيش الى دخرول هذه البلاد ، وقد رأى الافريقي الوثني أو المسيحي في تصرفات هؤلاء التجار وسلوكهم الشخصى القدوة الحسنة التبي أقنعته بصحة هذه الرسالة التي لا تقيم وزنا للون أو جنس أو جاه ، بقدر ما تقيم وزنا لطاعة الله وتوحيده وحسن معاملة الآخرين ، رأى هذا الافريقي في الدين الاسلامي البساطة والسهولة ، رأى فيه دينا ينهي عن التفرقة العنصرية وينهى عن الزنا وشرب الخمر وأكل لحوم البشر، ويأمر بالصلاة والصدقة ومساعدة المحتاجين ، ومن هنا أقبل الأفارقة على الدخول في الدين الاسلامي دون أن تكرههم سيوف المسلمين أو تخيفهم سلطتهم . يقول الرحالة ( جوزيف تومسون ) في تقرير له نشرته التيمس في 14 / 11/ 1887 م عند حديثه عن انتشار الاسلام في افريقيا: ( اذا بلغنا غربي افريقيا والسودان الأوسط نجد الاسلام كجسم قوى تدب فيه روح الحياة والنشاط ، وتتحرك فيه عوامل الحماسة والاقدام كما كان في أيامه الأولى ، فترى الناس تدخل فيه أفواجا أفواجا وتقبل عليه باقبال عجيب شبه أيامه السالفة ، نرى فيه أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون وآخذة في انارة بصائر القبائل المنحطة في وهاد الجهالة الآكلة لحوم البشر عند منبع النيجر . وقد كانت

أعظم فتوحات الاسلام في أواسط السودان وغربه كانت على يد جماعة سليمي الطوية منخفضي الجناح ، وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجرا ذا همة واقدام يدعي ( هوذا أونوبية ) كان ذلك الراعي يجهد نفسه لنشر لواء ديانته من بحيرة تشاد الى الأقيانوس الاطلانتيكي ، ونتج عن ذلك أن أشرقت شمس الاسلام في سياء هذه الجهة بأجمعها ) (1).

ولعل التجار لم يكونوا وحدهم في ميدان الدعوة الاسلامية بل كان يساندهم في جهودهم هذه جهود أخرى عثلت في تلك الطرق الصوفية الكثيرة التي انتشرت في أرجاء القارة ، وأسست لها مراكز وزوايا لنشر الاسلام وشرح تعاليمه وتعليم القرآن واللغة العربية ، وكان لهذه الفرق دور بارز حيث انها استطاعت أن تجمع حولها الكثيرين الذين حسن اسلامهم وصدقت نياتهم واتقد حماسهم للاسلام حتى انهم أصبحوا دعاة ساهمت جهودهم بدور فعال في نشر الديانة الاسلامية ، وكان منهم من استطاع الذهاب الى الأزهر أو

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان ( الاسلام يزحف بفوتـه الـذاتية في افـريقيا ) ـ أنــور الجندي ـ مجلة حضارة الاسلام ـ عدد 4 ـ السنــة 10 ـ جمــادى الآخــرة 1389 هــ ـ آب أيلول 1969 م .

الزيتونة حيث تعلم القرآن واللغنة العربية وعلـوم الـدين ، ورجع بعد ذلك يرشد قومه ويعلمهم ما علم .

وأهم الفرق الصوفية التي كانت أحد العوامل المهمة في نشر الاسلام القادرية في القرن السادس الهجري ، التي كان يتزعمها عبد القادر الجيلاني (أ) ، والتي أسست لها مراكز في غينيا والسودان الغربي ، وامتدت أيضا من السنغال الى مصب نهر النيجر . وكانت التجانية أيضا من أهم الفرق الصوفية وقد تأسست في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي على يد أحمد بن عمد المختار بن سالم التجاني (2) ، واتخذت من مدينة فاس بالمغرب مركزا لنشاطها الى جانب المراكز الأخرى التي انتشرت في أرجاء أخرى من القارة (3) . وهاتان الفرقتان كان لهما دور كبير وبارز في نشر الاسلام بين الافريقيين بطرق سلمية بحتة

<sup>(1)</sup> هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد عمي الممادين الجيلانسي ، مؤسس الطريقة القمادرية ، ولسد سنسة 471 هـ/ 1078 م وتوفي سنة 561 هـ/ 1166م، انظر الاعلام ـج 4.

<sup>(2)</sup> هو فقيه مالسكي تزعّــم الطائعــة التجــانية بالمغــرب ، ولــد سنــة 1150 هـ/ 1737 م ـ وتوفي سنة 1230 هـ/ 1815 م . انظــر الاعــلام ــ

<sup>( 3 )</sup> انتشار الاسلام في القارة الافريقية ـ د . حسن ابراهيم ـ ط 2 ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ 1963 ـ ـ ص 42 وما بعدها .

وباقناع بالحجمج والبراهمين ، ودونما استخدام أي سيف أو ضغوطات أخرى .

ولعله من المفيد لطبيعة هذا البحث أن أفند آراء الغربيين التي تشكك في عملية انتشار الاسلام السريع بآراء غربية مسيحية أخرى لم تجد مناصا من اظهار الحقيقة وابسراز الأحداث كها هي ، فها هو الكاتب المسيحي الفرنسي ( هوبير ديشان ) حاكم المستعمرات الفرنسية بافريقية حتى سنة 1950 يقول : ( إن انتشار دعوة الاسلام في أغلب الظروف لم تقم على القسر ، وإنما قامت على الاقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا الا ايمانهم العميق بربهم وكثيرا ما انتشر الاسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم الى الأول تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الاسلام أمر آخر هو النه دين فطرة بطبيعته ، سهل التناول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التكييف والتطبيق في مختلف الظروف ) (1).

الاسلام في آسيا: ـ

ولم تكن الطريقة التي دخل بها الاسلام الى آسيا تختلف (1) الاسلام ـ أحمد شلبي ـ ص 198. عن الطريقة التي انتشر بها في افريقيا ، فالاسلام قد انتشر في القوقاز وداغستان عن طريق دعاة مسلمين كان في مقدمتهم الشيخ الشافعي ابو مسلمة ، ثم ساعد ظهور الطريقة النقشبندية الصوفية في اذكاء روح الدعوة الى الاسلام واستمرار انتشاره ، وساعدت أيضا القوافل التجارية القادمة من الصين في انتشار الاسلام في جمهورية جورجيا الروسية وما حولها من الأقاليم الاسلامية الأخرى (۱) .

ووصل الاسلام الى الصين عن طريق الحملة التي قادها قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 96 هـ/ 714 م حين فتح مدينة (كاشغر) ، وتوقف الفتح الاسلامي في هذه الجهة بعد هذه الحملة نظرا لوفاة الخليفة السوليد بن عبد الملك وانشغال المسلمين بأحداثهم الداخلية ، ورغم توقف الفتوحات الاسلامية في تلك المنطقة الا أن امتداد نور الاسلام لم يتوقف ولم تنطفىء جذوته ، وهذا مما يؤكد وباستمرار أنه دين يكثر انشاره ويزداد عدد معتنقيه عندما لا يكون هناك سيف ، وعندما تضع الحروب أوزارها ، فالروايات التاريخية تحدثنا أنه

<sup>( 1 )</sup> انتشار الاسلام والدعوة الاسلامية ـ سامي محمود ـ المكتــة العصرية ـ بيروت ـ ص 32 وما بعدها .

عندما اضطهد الأمويون الشيعة من أتباع زيد بن علي ( زين العابدين ) فضل هؤلاء الفرار من ظلم الأمويين ولجئوا الى الصين حيث استقروا هناك وعملوا على نشر الاسلام في بعض المناطق التي زاروها في حلاتهم التجارية ، وكان لسلوكهم الحميد وتصرفاتهم الاسلامية الأثر الكبير في اقناع الكثيرين من الصينيين باعتناق الاسلام!

ووصل الاسلام الى الفلبين في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، وكان ذلك عن طريق بعثة اسلامية وصلت من ( مالاقا ) برئاسة عالم عربي كبير هو الشيخ ( محدوم ) ، وكان هدف هذه البعثة هو نشر الاسلام بالطرق السلمية وبالموعظة الحسنة (2) ، ويرى بعض الباحثين أن الاسلام قد وصل الى الفلبين منذ القرن الأول الهجري ، وتسم ذلك عن طريق التجار المسلمين في حضرموت وعان والملايو والهند (3) ، ولا يعنينا هذا الخلاف في بدء انتشار الاسلام في هذه المنطقة ،

<sup>(1)</sup> من مقال بعنوان ( المسلمون في الصين ) ـ محمود شاكر ـ مجلة حضارة الاسلام ـ عدد. 7, 8 ـ سنة 9 ـ رمصان 1388 هـ/ديسمبر 1968 م .

<sup>(2)</sup> من مقال بعنوان ( الاسلام في تاريخ الفلبين ) \_ أحمـد ألونشو \_ مجلمة حضارة الاسلام ـ عدد 8 ـ سنة 7 ـ شعبان 1380 هـ/ فبراير 1961 م .

<sup>( 3 )</sup> انتشار الاسلام .. سامي محمود .. ص 97.

ولكن المهم هو الوسيلة التي وصل بها الاسلام الي هذه الجهة ، فجميع الأخبار تتفق على أنه وصلها بجهودالتجار وجهود بعض الدعاة الآخرين الذين كان على رأسهم سبعة أخوة عرب كان أشهرهم أبو بكر واسمه في الفلبين ( يادوكامها مصاري مولانا السلطان شريف الهاشمي) (١) . وإذا كانت قد وقعت بعض الأحداث الحربية في البلدان السابق ذكرها والتي لم يكن لها أي دور في نشر الدين الاسلامي ، فاننا نجد أن أندونيسيا قد وصلها الاسلام وانتشر فيها عن طريق التجار اللذين زاروهما حوالي القرن السابع الميلادي حيث حطموا رحالهم في جزيرة سومطرة ثم انتقلوا الى بقية الجزائر الأخرى جامعين بين التجارة والتبشير بدينهم ، وقد ساعدهم في مهمتهم هذه سرعة تكيفهم ، حيث تعلموا لغة وعادات وتقاليد أهل البلاد وصاهر وهم وصادقوا ولاتهم ، وهكذا استطاع هؤلاء التجمار بجهودهم الفردية البسيطة أن ينشروا الدين الاسلامي في معظم أنحاء البلاد(2) ، وقد تحدث الدكتور أحمد شلبي عن كيفية انتشار الاسلام في اندونيسيا وصراعه مع الديانات الأخرى ،

<sup>(1)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 97.

<sup>( 2 )</sup> أطلس التاريخ الاسلامي ـ هاري هازارد ـ تر. ابراهيم زكي خورشيد ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة ـ ص 42.

حيث قال: إنه عاش في اندونيسيا عدة سنين ورأى بعينيه كيف صمد الاسلام وشق طريقه بين الاندونيسيين رغم ما كانت تقدمه الديانات الأخرى من مغريات، وما كان يسندها من سلطات، فالمسيحية كانت تساندها قوة المستعمر وما له من ثروة وسلطان، والكونفوشية كانت تدعمها ثروات الصينيين الهائلة، والهندوكية والبوذية كانت تساعدها الروابط الوثيقة بين اندونيسيا والهند، أما الاسلام فكانت تدفعه وتسانده سياحة مبادئه وجهود أبنائه من الفقراء والمساكين، وكانت النتيجة أن اندحرت الكونفوشية ولم تجد لها موطىء قدم في اندونيسيا واجتذبت المسيحية والهندوكية بمغرياتها عددا ضئيلا الدونيسيا واجتذبت المسيحية والهندوكية بمغرياتها عددا ضئيلا الاسلامي رغم ما عانوه من شقاء وبؤس نتيجة جور المستعمر الاسلامي رغم ما عانوه من شقاء وبؤس نتيجة جور المستعمر

وانتشر الاسلام في ماليزيا ومالايو بطرق سلمية بحتة ، حيث لم يكن هناك سيف ولا قتال ، بل كان هناك جهسود المخلصين من المسلمين من تجار وأتباع طرق صوفية الذين تحاول بعض المصادر التاريخية أن تشوه عملهم هذا عندما تقول

وشظف العيش (1).

<sup>(1)</sup> الاسلام - أحمد شلبي - ص 197.

أن هؤلاء لم يكونسوا يقصدون التبشسر بالدعموة وانما جاؤوا لمصالح شخصية يبغون جمع المال أو تكوين سلطان سياسي وجاء هدف التبشير بالدعوة عارصا ، ومهما يكن من أمر فان هؤلاء استطاعوا وبدون سيف أن ينشر وا عقيدة وينقلبوا فكرا وينشئوا حضارة لا تزال آثارها باقية الى يومنـا هذا ، والـذي دفعهم الى ذلك هو الايمان الصادق الـذي غمر قلوبهم ، والايمان القوى بما سيلاقونه من ثواب عند رجهم . ومرة أخرى أقول ان انتشار الاسلام في تلك البقاع يدحض فرية المستشرقين الذين يقولون ان الاسلام لا يصادف نحاحا الا عندما كان يهدف الى الغزو ، فأي غزو حمل الماليزيين والملاويين وغيرهم من شعوب آسيا على اعتناق الاسلام ، وأي قوة أجبرتهم على سِذْ مَا وَرَثُوهُ عَنْ آبَائُهُمْ وَأَجِدَادُهُمْ وَالْأَقْرَارُ بَصِحَةُ هَذَا الدين ، لا شيء حملهم على ذلك سوى الحقيقة التي أضاءت قلوبهم والايمان الذي نور بصائرهم ، ولقد اعترف بذلك الكثير من مؤرخي ورحالة الغرب الدين سجلوا في وثائقهم الكشيرة أن الاسلام دخسل الى تلك البقاع بطرق سلمية خالصة ، بل إن منهم من ينفى أن الاسلام وصل الى ماليزيا من الجزيرة العربية بل وصلها من جنوب الهند ، وفي ذلك يقول ( فون رونكل ) : ( من المعروف أن الاسلام والقسم الأكبر من التصوف الاسلامي جاء الى الأرخبيل الأندونيسي من جنوب الهند ، وليس من شبه جزيرة العرب ويكفي أن نذكر القارىء بالحقيقة التي لا يمكن انكارها وهي أن شكل الاسلام الشعبي وصفته الصوفية وكل الأدب الاسلامي الرومانطيقي المهذب ، وشكل الكلمات العربية المستعارة فيه ، وهندسة قبور المسلمين . . . . كلها تشير الى أن جنوب الهند كانت الأرض التي انتقل منها الاسلام الى ماليزيا ) (1) .

وهكذاومن خلال ما استعرضت من حقائق حول وصول الاسلام الى كل من افريقيا وآسيا يتضح لكل ذي عقل زيف وافتراء وتضليل المستشرقين النين يرون أن السيف كان الوسيلة التي نشر بها الاسلام ، وما قالوا ذلك عن اقتناع أو عن دراسة علمية صحيحة وانما قالوا ذلك خدمة لأغراضهم الشخصية الحاقدة ، وخدمة لمؤسساتهم الاستعارية التي تحاول أن تشوه مفهوم الجهاد وذلك لما ترى فيه من خطر يداهم كيانهم ويحطم مستقبلها ، فمحاولات التشكيك هذه يمكن أن كيع مفهوم الجهاد لدى المسلمين وبالتيالي سيمحى من ذاكرة

<sup>( 1 )</sup> الاسلام في الشرق الأقصى ـ د. قيصر أديب مخول ـ تر . نبيل صبحي ـ نقلا عن فون رونكبل في محطوطة ملاوية بلغـة التـأميل ـ مجلـة الجمعية الملكية الآسيوية رقم 85 آذار 1922

التاريخ ويصبح من الأشياء التي عفا عليها الزمن وهو ما يتمناه المستعمرون وأذنابهم .

الاسلام في أوربا وأمريكا: -

واذا كان الاسلام كها أشرت آنفا قد انتشر في كل من افريقيا وآسيا بالطرق السلمية ، وأن هذا أوضح دليل على أن ما ادعاه المستشرقون عن انتشار الاسلام باطل ولا يستند على حقيقة علمية ، فان انتشار الاسلام أيضا في كل من أوربا وأمريكا شاهد آخر على بطلان ذلك الادعاء .

إن الاسلام وصل بلدان اوربا وأمريكا بطرق كشيرة ومختلفة ، ولكن لم يكن السيف من بينها على الاطلاق ، فقد وصل الاسلام الى المجر عن طريق أفراد ينتمون الى طائفة الاسها عيلية الذين هاجروا واستوطنوا هناك بعد القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري وقد عمل هؤلاء على نشر الدين الاسلامي ، وساعدهم في مهمتهم هذه علاقات بعض المسلمين المغاربة بالمجر الذين كانوا عاملا آخر في ارساء دعائم الدين الاسلامي . ووصل الاسلام الى النمسا عن طريق أفراد من البوسنة والهرسك الذين كانت بلادهم جزءا من امبراطورية النمسا ، كها انتشر الاسلام فيها أيضا عن طريق المسلمين المسلم فيها أيضا عمل المسلمين ا

الذي رحلوا الى هناك وتزوجوا من فتيات نمساويات اعتنقب الاسلام وخلفن ذرية مسلمة . ووصل الاسلام الى فنلدنة عن طريق مجموعة من التجار الأتراك الذين كانوا يجوبون روسيا، ثم استقربهم الأمر واستوطنوا في فنلندة وأسسوا جمعية اسلامية سنة 1830 . وبفضل جمعية هيئة الدعموة الأحملية انتشر الاسلام في كل من ألمانيا وهولندة ، وأسست مساجد وجمعيات اسلامية ، وصدرت صحف تعنى بالشئون الاسلامية حيث ساهمت كل هذه الأدوات في تعريف هذه الشعوب بالدين الاسلامي الأمر الذي نتج عنه اعتناق الكثيرين للاسلام . وابتدأ الاسلام في بريطانيا بجهود بسيطة ، وذلك حينها اعتنق الاسلام اللورد ( استانلي أوف الدرلي ) السفير البريطاني في تركيا ، واعتنقه أيضا المستر (كويليام ) أحد أعيان ليفربول ، وقد حول هذا الأخير قسما من بيته الى مسجد ، وأصدر صحيفتين تهتان بالشئون الاسلامية وكان لعمله هذا أثر كبير في نشر الاسلام في بريطانيا واظهاره الى الوجود (١) .

ولا أريد أن أذكر أعـداد المسلمـين وتـــاريخ وصـــول

(1) المسلمون في العالم اليوم \_ عبد الرحمن زكي \_ مكتبة النهضة \_ القاهرة \_ 1960.

<sup>230</sup> 

الاسلام الى كل الأقطار الاوربية فذلك أمر طويل يحتاج الى مؤلفات خاصة ، فالمسلمون قد انتشروا في معظم أنحاء الدنيا ، والاسلام قد عم نوره كل بقاع المعمورة ، ولكني أردت فقط ابراز بعض الشواهد التاريخية التي تبرز حقيقة واقعة وملموسة الى يومنا هذا وهي أن الاسلام دين حرية العقيدة وأنه لا ينتشر الا عندما تغمد السيوف ويعلو صوت العقل ، وأنه دين كثر أتباعه وزاد عددهم في البقاع التي لم يفتحها المسلمون ولم تصلها جيوشهم .

أما أمريكا فهاذا يمكن أن يقول المستشرقون عن انتشار الاسلام فيها ، هل لجأ المسلمون الى القوة ، وفرض عقيدتهم على سواهم ؟ إن هذا أمر لا تقره الأحداث التاريخية او العقلية الموضوعية ، لقد بدأ انتشار الاسلام في أمريكا حديثا بعد هجرة الكثير من الأسر العربية التي استقرت وتجنست هناك، وأصبح لها دور كبير في نشر الاسلام في أوساط المجتمع الأمريكي ، وساعد هذه الأسر في جهودها ما كان يقوم به الشباب المسلم الغيور من الطلاب الذين ذهبوا للدراسة من جهود نشيطة في تعريف الأمريكيين بالدين الاسلامي ، وقد وجدت فيه طائفة الزنوج الدين الذي يدعو الى المساواة وعدم وجدت فيه طائفة الزنوج الدين الذي يدعو الى المساواة وعدم

التفريق بين الأبيض والأسود، الدين الذي يقدس الحرية بكل جوانبها، وهما الشيئان اللذان افتقدهما الزنوج داخل المجتمع الأمريكي.

وفي العصر الحاضر تشهد الساحة الأمريكية نشاطا ملموسا في ميدان الدعوة الاسلامية ، وقد شاهدت شخصيا الكثير من الدعاة المسلمين الذين تركوا أولادهم وأموالهم والتزاماتهم الدنيوية ووهبوا أنفسهم لخدمة دينهم واظهمار حقيقته للآخرين ، ورغم ما تقوم به الدعاية الصهيونية التي تتحكم في المجتمع الأمريكي عن طريق السيطرة على جميع مرافق الاعلام والمؤسسات الاقتصادية م ورغم ما تقوم به جمعيات التبشير المسيحية من دعاية ضد الاسلام والمسلمين ، رغم كل ذلك فان الاسلام ينتشر بسرعة مذهلة داخل المجتمع الأمريكي ، وأصبح يضم بين أتباعه الكشير من أساتـذة الجامعات الأمريكية ومفكرين لهم وزنهم في ميدان الفكر الغربي ، ونتج عن الاقبال الكبير على الاسلام في أمريكا انشاء الكثير من المساجد والمراكز الاسلامية التي تعنى بتعليم علسوم الدين الاسلامي واللغة العربية ، وكان لهـذه الحركة أثرهـا الكبير في المجتمع الأمريكي الذي لم يستطع أن يخفي مشاعره

في التعبير عن خطورة تلك الحركة حيث ظهرت المقالات التي تشير الى نمو وازدياد انتشار الاسلام في أمريكا حتى أنه وصل خلال السنوات العشر الأخيرة الى نسبة 400 ½(١) .

على أني لست هنا في مجال تقديم دراسة تقويمية للفكر الاسلامي في أوربا وأمريكا وغيرهما ، أو إعطاء صورة وافية عن المسلمين ونشاطهم في هذه البلاد فذلك موضوع آخر ، وإنما كل ما سعيت اليه من وراء الاشارة الى انتشار الاسلام في تلك البقاع هو الرد على مزاعم المستشرقين ، وأن الاسلام غزاهم في بلادهم دون سيف أو جيش جرار .

1 - عقب الفتوحات الاسلامية وبعد انتهاء الحرب ، وذلك نتيجة جهود المبشرين من الصحابة والتابعين الذين كان لأخلاقهم الاسلامية وسلوكهم الحميد الأثر الكبير في اقناع الآخرين بحقيقة هذا الدين .

2 \_ التجار والمهاجرون المسلمون المذين استقروا في بلدان

THE DAILY ADVERTISER -PAUL HARVEY (1)

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كثيرة والذين استطاعوا أن يعرفوا شعوب الأرض بمحتوى الدعوة الاسلامية .

الجهود الكبيرة التي كان يقوم بها متبعو الطرق الصوفية التي انتشرت في كل من آسيا وافريقيا ، والتي كان لها دور بارز في تأسيس الكثير من المراكز الدينية التي أسهمت بدور فعال في جذب الكثيرين الى حظيرة الاسلام .

## مناقشة الانتجاه الثاني

## نظرة الاسلام الى المال

أما التهمة الثانية وهي أن الفتوحات الاسلامية جاءت ثمرة للعامل الاقتصادي ، فان نقدها يقتضي أولا بيان نظرة الاسلام الى المال ، ثم يأتي بعد ذلك الرد على التهمة . ان الاسلام كدين متكامل اهتم بجميع القضايا التي تمس حياة الانسان وعالجها علاجا بين فيه موضع الداء ووصف فيه الدواء لكل الأمراض التي تصيب الانسان في حياته ، وقد بين القرآن الكريم دستور الاسلام الخالد خطورة فتنة المال وما يتبعه من متاع الدنيا ، وأوضح بأن ذلك شيء خلق للانتفاع المؤقت الذي به تسير أمور الحياة الدنيا ، واذا تعدى هدف الانسان من الذي به تسير أمور الحياة الدنيا ، واذا تعدى هدف الانسان من الخاجة فان ذلك يصبح أمرا خطيرا في حياة الفرد ، الذي يجب أن يخلص اهتامه للعمل ليوم الدين ذلك اليوم الذي يجازى فيه كل فرد على ما عمل في هذه الحياة الدنيا .

لقد قرر القرآن أن المال كله لله ﴿ ولله ملك السموات

والأرض وما فيها في (1) ﴿ وآتوهم من مال الله الدنيا آتاكم ﴾ (2) ، وقرر أن الأموال رغم ما فيها من متعة الحياة الدنيا الا أنها تبقى فتنة لمن لم يزهد فيها ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ (3) ووضح القرآن أيضا أهمية المال والولد في الحياة الدنيا ولكنه قارنها بالعمل الذي ينفع صاحبه في الحياة الأخرى وبين أن الأموال والأولاد أشياء تافهة بالنسبة الى العمل الصالح ﴿ المال والبنون زينة أملا ﴾ (4) ، وحرم القرآن جمع المال وكنزه من غير أن يؤدى منه أملا ﴾ (4) ، وحرم القرآن جمع المال وكنزه من غير أن يؤدى منه في اجتياز عقباتهم الحياتية ، ويساعد صاحبه في تكوين رصيد من الحسنات يقابل بها ربه يوم الحساب ﴿ والمذين يكنزون من الحسنات يقابل بها ربه يوم الحساب ﴿ والمذين يكنزون اليم ﴾ (5) ، وحرض القرآن المسلمين على الانفاق من هذا المال

الآية 120 من سورة المائدة .

 <sup>(2)</sup> الآية '33 من سورة النور .
 (3) الآية 28 من سورة الأنمال .

 <sup>(2)</sup> الآية 26 من سورة الكهف.

<sup>( 5 )</sup> الآية 34 من سورة التونة .

في كل الظروف والأحوال التي يتأتي لهم ذلك حتى تتطهر نفس المسلم من الشح والبخل وحب المال ، وحتى تتحرر نفسه أيضا من سلطان الحياة الدنيا ونعيمها ، فأوجب الاسلام الزكاة وجعلها فريضة للفقراء بمقدار معلوم تطهيرا لمال الغني ومساعدة للفقراء والمساكين وتقريبا للتفاوت الطبيقي بين أفراد المجتمع ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا السركاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ (١) ، وأوجب التصدق والانفاق ما على الطبقات التي تستحقها ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقباب والغارمين وفي سبيل الله وابس السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ (2) ، وحث المسلمين على بذل أموالهم في الجهاد تماما كما حثهم على بذل أرواحهم ﴿ والسَّذِينِ آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عنسد الله وأولئسك هم الفائسزون ﴾ (3) وأخبرا فان القرآن يبين أن التمسك في هذه الحياة الدنيا يجب أن يكون بالمباديء والقيم والمثل العليا والعمل الصالح ، أما الأموال وبقية المتاع الدنيوي فانها لا تنفع صاحبها ولا تنجيه من

<sup>(1)</sup> الآية 20 من سورة المزمل .

<sup>( 2 )</sup> الآية 60 من سورة التوبة .

<sup>( 3 )</sup> الآية 20 من سورة التوبة .

عذاب جهنم ، ولذلك يجب أن يكون المسلم حريصا على أن يتزود في هذه الحياة الفانية بزاد ينفعه في الحياة الخالدة ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ (١) ﴿ ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافر ون ﴾ (2) ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفي ﴾ (3) .

هذه هي نظرة الاسلام الى المال وشهوات الدنيا تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه ، وبلغها الى قومه في صورة آيات منزلة وفي صورة سلوك نبوي زاهد في الحياة الدنيا متعفف عنها ، فتلقاها أصحابه وحولوها الى سلوك عملي ساروا عليه في حياتهم ، وحين اتصلوا بالأمم والشعوب الأخرى كانت أول سمة لوحظت عليهم هي أنهم قوم حرصوا على الموت في سبيل الله ، يتدافعون كل يريد أن يسبق الآخر في نيل الشهادة والموت من أجل أن يبقى الدين الاسلامي شعلة خالدة لا تنطفىء أبدا ، وأنهم قوم زهدوا في الحياة الدنيا ونعيمها ، لا حرص لهم على مال وفير أو طعام شهي أو كسوة ونعيمها ، لا حرص لهم على مال وفير أو طعام شهي أو كسوة

<sup>( 1 )</sup> الآية 17 من سورة المجادلة .

<sup>(2)</sup> الآية 85 من سورة التوبة .

<sup>( 3 )</sup> الآية 37 من سورة سبأ .

فاخرة أو مركوب مريح ، يكفي الواحد منهم ما يسد رمقه ويستر عورته ويعينه على الوصول إلى هدفه ، لا يعرف الأجنبي منهم الرئيس ولا المرؤوس ، فالجميع متساوون في المظهر ، وحين عرفت الشعوب فيهم هذه الحقيقة أيقنت أنهم حلة رسالة وطلاب حق وأصحاب مبادىء ، أما الملوك والأمراء والقياصرة فحين عرفوا خصالهم هذه أصابهم الذعر والفزع ذلك أن هذه الصفات لا تتلاءم مع الكرسي والجاه والمنصب والثراء والنعيم ومن ثم حركوا الجيوش لترد المسلمين وما جاءوا به من مبادىء حتى يتسنى لهم الاستمرار في شهواتهم وملذاتهم .

ان التهمة التي يحاول المستشرقون الصاقها بالفتوحات الاسلامية ليست جديدة أبدا ، فهذه تهمة قد سجلها التاريخ لمشركي مكة كهايسجلها اليوم لمستشرقي ومشركي أوربا وغيرهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم حينا بلغ رسالة ربه وظهر بها على الملأ خافت قريش من هذه الرسالة وأيقنت أن ذلك سوف يهدد كيانها ، وأن محمدا المناه الما فعل ذلك بسبب فقره ويتمه ، وأنه بفعله هذا يريد أن يبني لنفسه كيانا في المجتمع القرشي ، ومن هذا المنطلق أرسل زعاء قريش عتبة

ابورربيعة ليساومه في عقيدته ، وليعرض عليه الشراء والجاه والنعيم من أجل أن يتخلى عن هذه الرسالة لقد قال عتبة : ١ ما ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقـت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر قل يا أبا الوليد أسمع قال : يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جثت به من هذا الأمر ما ﴿ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه )(1) ، ماذا يفعل الرسول ﷺ أمام هذا الأغراء الكبير ، المال ، الجاه ، السلطان ، انها الحياة بكل ألوان نعيمها يقدمها زعماء قريش للرسول مساومة له في مقابل أن يتنازل عن عقيدته وظنا منهم أن هدفه

<sup>(1)</sup> السيرة النبوية \_ ابن هشام \_ تحـق . محمد محبي الـدين \_ جـ 1 \_ ص 313

المال والجاه والنعيم تماما كما يظن المستشرقون أن المسلمين انما جاهدوا من أجل ثروة القياصرة والأكاسرة .

لقد رد الرسول على ردا خالدا سوف يبقى دفعا لهذه التهمة الى يوم الدين ، لقد قال الرسول على العتبة ( أقد فرغت يا أبا الوليد قال: نعم ، قال: فاستمع منى قال: أفعل فقال: ﴿ بسم الله الرحمن السرحيم حم تسزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه كه ثم مضى رسول الله على فيها يقرؤها عليه ) (1) ، لقد تأثر عتبة هذا الرد الالهي وأخبر قومه بأن تهمتهم باطلة وأن الرجل سيكون له أمر عظيم ، ولكن قريشا لم تقتنع وظنت أن عتبة قد سحر ، ولذلك لم ييأس أشرافها من معاودة العرض ومحاولة الاغراء فاجتمعوا في الكعبة واستدعوا الرسول على معيدين ما قاله عتبة فقال لهم الرسول عَلَيْ : (ما بي ما تقولون ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونلديرا ،

<sup>(1)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 314

فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم )(۱) ثم ان قريشا قد حاولت التوسط عن طريق عمه أبي طالب الذي جاءه أشراف مكة طالبين منه كف ابن أخيه عن الاستمرار في ما يدعو اليه وله ما يريد ، وحين عرض أبو طالب ذلك على النبي و د النبي اسكات برده الخالد الذي أيأس المشركين وخيب آمالهم في اسكات صوت الدعوة وقال قولته المشهورة : ( يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته )(2) ، وهكذا يبين الرسول يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته )(2) ، وهكذا يبين الرسول دنيا ، ولما عرفت قريش ذلك تحولت من اغرائها له بالمال والجاه دنيا ، ولما عرفت قريش ذلك تحولت من اغرائها له بالمال والجاه الى تدبير الخطط والمؤامرات للقضاء عليه .

لقد عرف عن رسول الله ﷺ \_ حتى بعد أن تكونت الدولة الاسلامية وأصبحت ذات سيادة في الجزيرة \_ أنه كان زاهدا في الدنيا معرضا عنها لا توضع له الموائد ولا توجد عنده

<sup>(1)</sup> السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص 316.

<sup>(2)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 278.

الملابس الفاخرة ، لقد عاس فقيرا كما عاش الكثير من صحابته ولم يكن ذلك عن عدم قدرة ، لقد كان في مقدوره أن يجمع من متاع الدنيا ما يريد ، فهو الرسول والقائد والأمر له الطاعة المطلقة ، ولكن أخلاق النبوة كانت تعرض عن المتاع الزائف ففي ذلك تربية لصحابته وسنة لأمته بأن لا يكون للدنيا في قلوبهم أهمية ولا للثراء والنعيم في عقولهم مكان خصوصا حين يعلموا أن رسولهم خرج من الدنيا ولم يشبع في يوم مرتين . يقول ابن سعد: ( أخبرنا موسى بن اسماعيل ، أخبرنا سلمان ابن عبيد المازني أبو داود ، أخبرنا عمران بن زيد المدنى ، حدثني والدي قال: دخلنا على عائشة ، رضى الله عنها فقلنا سلام عليك يا أمه! فقالت وعليك السلام! ثم بكت ، فقلنا: ما بكاؤك يا أمه ؟ قلت: بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء يمرئه ، فذكرت نبيكم ، ﷺ ، فذلك الذي أبكاني ، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين ، كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز ، واذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر ، فذاك الذي أبكاني ) <sup>(۱)</sup> .

<sup>(</sup> ۱ ) الطبقات الكبرى ـ اسن سعـد ـ دار صادر ـ بــــروت ـ حـ ۱ ـ ص 406.

هذه هي أخلاق وسيرة صاحب الدعوة التي عرفها فيه أصحابه الذين ساروا على نهجه من بعده ، كيف يمكن أن يقال ان الفتوحات الاسلامية هدفها المغنم وصاحب الدعوة قد عرضت عليه المغريات من كل جانب ولكنه أبي الا أن يعيش فقيرا زاهدا ، لم يكن الرسول فله فقيرا قبل البعثة فلقد عرف عنه أنه اشتغل بالتجارة ورحل الى الشام من أجل ذلك ، وكان له ما يكفيه ويسد حاجته بزيادة ، ولكن الرسول افتقر بعد البعثة وقلت موارده حين انصرف الى التبشير بالدين الجديد ، وزادت حاجته حين كثرت تبعاته ومسئولياته ، لقد كان في وزادت حاجته حين كثرت تبعاته ومسئولياته ، لقد كان في الأول في تلك البقعة ، ولكنه لم يأت طمعا في الثراء أو جمعا الأول في تلك البقعة ، ولكنه لم يأت طمعا في الثراء أو جمعا جديدة .

ولم يكن الرسول وحده في ذلك فلقد تبعه في تلك السيرة أصحابه الذين اهتدوا بهديه ، وجاهدوا بأموالهم قبل أن يجاهدوا بأنفسهم ، فأبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله كان يملك يوم أن أسلم أربعين ألف درهم ولم يأت يوم هجرته مع رسول الله على الله الله الله الله الله الله قط ،

فلقد أنفق ما كان معه على المستضعفين والعبيد اللذين كان يشتريهم ويعتقهم في سبيل الله (١) ، أما حين ولي الخلافة فانه حسب ما تشير به المصادر لم يكن يملك شيئا ، فلقد استمر بعد توليه الخلافة يشتغل بالتجارة ولكنه حين رأى كثرة أعبائه ومسئولياته أيقن أنه لا يمكن له أن يستمر في التجارة ، ولذلك فقد عرض الأمر على أصحاب رسول الله على الذين فرضوا له نصيبا من بيت مال المسلمين يسد حاجته وحاجة عياله ، ولو كان له مال مدخر لما اضطر لأن يسأل الصحابة أن يفرضوا له شيئا ، أما حين حضرته الوفاة فقد قال : ردوا ما عندي من مال المسلمين فاني لا أصيب من هذا المال شيئا ، وان أرضي التي عمر ولقوح وعبد صيقل وقطيفة ما يساوى خمسة دراهم فقال عمر : لقد أتعب من بعده (٤) .

أما عمر فان الروايات التاريخية قد عجزت عن أن تسطر تلك الصفحات الخالدة من سيرته وعدل وعفاف وزهده في

<sup>(1)</sup> من ىحث بعنوان ( الجهاد بالمال في نظر الاسلام ) ـ د . محمد عبد الله ماضي ـ المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية ـ مارس 1970 م ـ القاهرة .

<sup>( 2 )</sup> الطبقات الكبرى \_ ابن سعد \_ ج 3 ـ ص 186

الدنيا ، لقد عاش وهو الأمر الذي فتحت في عهده المالك والامبراطوريات التي يتحدث عنها المستشمون عاش حياة البساطة والكفاف ، وسار على نهج الرسول وأسى بكر في التضييق على نفسه خوفًا من عذاب ربه ، وفي ذلك يروى ابن سعد : ( أخبرنا يزيد بن هارون وأبو أسامة حماد بن أسامة قالا : أخبرنا اسماعيل بن أبي خالد عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة بنت عمر لأبيها ، قال يزيد يا أمر المؤمنين وقال أبو أسامة يا أبت ، انه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخبر فلو طعمت طعاماً ألين من طعامك ولست لياسيا ألين من لياسك فقيال: سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله على يلقسي من شدة العيش ؟ قال فيا زال يذكرها حتى أبكاها ، ثم قال : انى قد قلت لك اني والله لئن استطعت الشاركنها في عيشهم الشديد لعلى ألقي معهم عيشهما الرخي . قال يزيد بن هارون : يعني رسول الله وأبا بكر )(١) .

وعـن عثمان يصـدق نفس القــول الا أنــه اختلف عن أصحابه بكثرة ماله ، فلقد كان رجلا موسرا صاحــب تجــارة

<sup>(1)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 278.

ولكنه لم يكن يحسب للمال نصيبا في حياته ، فلقد أنفق ماله في الذود عن الدعوة الاسلامية وحمايتها ، وكانت له المواقف المشهودة في تاريخ الاسلام ، ومن أروع مواقفه رضي الله عنه تجهيزه لجيش العسرة في غزوة تبوك وذلك حينا قدم من خالص ماله ثلاثيائة بعير وألف دينار(١) ، ترى هل كان يطمع سيدنا عثمان رضى الله عنه ـ وهو يجهز جيش العسرة ـ أن يرد له ذلك المال عندما تفتح المهالك والامبراطوريات ، كلا لقد وهبها في سبيل الله وأراد مها ابتغاء وجه ربه وهكذا كان أبو بكر وعمر قادرين على أن يجمعوا في أيديهم كل ما يحصلون عليه من غنائم ، وأن يستخدموا ذلك في توفير حياة رغدة وادعة كتلك التي يحياها الملوك والأمراء من الشعوب التي لا عقيدة لها ، ولكن هؤلاء كانوا على يقين كامل بأن جهادهم هو من أجل اعلاء كلمة الله ومن أجل افساح المجال أمام الشعوب لتصلها دعوة محمد ﷺ ، ولم يكونوا أبدا ينوون تبديل حياة بأخرى أو ضم أرض جديدة أو الاستيلاء على مراكز الشروة في العالم فذلك عما لم توص به عقيدتهم ولم يسر عليه نبيهم ، بل ان العقيدة نهت عن التكالب على الدنيا والسعبي وراء ملذاتها

<sup>( 1 )</sup> الكامل ـ ابن الأثير ـ حـ 2 ـ ص 190.

وشهواتها . فاذا كان هؤلاء وهم من تقلدوا أمور المسلمين وفي زمن قوة الفتوحات الاسلامية وعنفوانها على تلك الحال من العفة في السدنيا وأهوائها فكيف يكون اذا حال البقية من المسلمين السذين قامت على أكتافهم حركة الفتوحات الاسلامية ، كيف يمكن لهم أن يخرجوا من الجزيرة يبتغون ثروات القياصرة والأكاسرة وهم تحت قيادة أولئك الأمراء الذين تحدثت عنهم سابقا ، انه من المستحيل جدا أن يكون هدف الجنود غير هدف القائد وهم يسيرون جنبا الى جنب وخطوة بخطوة تحت راية واحدة وكلمة واحدة ، من المستحيل جدا أن يسيل لعاب الجنود المسلمين لثروة المالك الأخرى ويدفعون بأنفسهم الى ساحات الموت وهم يعلمون جيدا أنه ليس لهم في هذه الشروة ـ ان غنموها ـ الا ما يسد حاجتهم وحاجة عيالهم .

ولقد برزت تهمة المستشرقين هذه في عقول الفرس أيضا الله نظنوا أن المسلمين انما جاءوا يقصدون الغنيمة فقطوليس لهم هدف غير ذلك ، ومن هذا المنطلق فان المسلمين عندما اصطدموا بالفرس في القادسية أرسل لهم رستم قائد الفرس يطلب منهم توجيه أحدهم اليه ليساومه فأرسل سعد بن أبي

وقاص المغيرة بن شعبة الذي قال له رستم : قد علمت أنه لم يحملكم علي ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تتشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون ، ولم يعبأ المغيرة بهذا العرض الذي أبداه رستم فلقد تعلم من نبيه أن الدعاة دائها يقابلون بالتهم والتشكيك وأن ظن رستم في ذلك لم يكن جديدا ولذلك لم يشأ المغيرة أن يخاصمه فيا قال بل اكتفى بأن قال له : ان الله بعث الينا نبيه والتها اتبعناه فيا أمر وها نحن ننفذ تعاليمه فان شئت فاختر واحدة من ثلاث : الاسلام أو الجزية أو القتال (1) . ذلك ما رد به المغيرة على تهمة رستم ، ولو كان الأمر كما يقول المستشرقون من أن المسلمين انما دفعتهم ولو كان الأمر كما يقول المستشرقون من أن المسلمين انما دفعتهم الحاجة للحروب ، لقبل المغيرة العرض ورجع المسلمون غاغين سالمين ، ولم الحاجة الى تعريض أرواحهم للموت ؟ خصوصا اذا عرفنا أن جيش المسلمين كان أقل عددا وعدة .

وترددت هذه التهمة مرة أخرى على لسان يزدجرد ملك الفرس حين أتاه وفد من المسلمين يفاوضه فقال لهم : ( إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات

<sup>(1)</sup> فتوح البلدان ـ البلاذري ـ تحقيق . صلاح الـدين المنجـد ـ جـ 2 ـ مكتبة النهضة ـ الفاهرة ـ ص 315.

بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فان كان عدد لحق فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم )(1) ، ومرة أخرى يصمد المسلمون أمام الاغراء المادى ، مثبتين لكل المشككين أنهم انما خرجوا للتبشير بالدعوة وازالمة الحواجز من أمامها ، ولم يخرجوا من أجل طلب ما يقتاتون به أو يلبسونه ، فلقد قال له المغمرة بن زرارة ان الرسول على قال : ان ربكم يقول : ﴿ من تابعكم على هذا ( أي الدين الاسلامي ) فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبي فقاتلوه فأنا الحكم بينكم . فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومـن بقـي منكم أعقبته النصر على من ناوأه فاختر ان شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وان شئت فالسيف أو تسلم فتنجى نفسك ﴾ (2) . وهكذا يرتفع الصوت المؤمن قويا مجلجلا في ساحة ملك الفرس وأمام جنده وحاشيته مرددا فاختر ان شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، لقد ضرب هؤلاء أروع الأمثال في الشجاعة والايمان

<sup>(1)</sup> تاريخ الطبري \_ محمد بن جرير \_ ج 3 \_ ص 499

<sup>(2)</sup> نفس المصدر السابق \_ ص 500

والثبات ، لقد رفضوا الدنيا التي عرضت عليهم على لسان يزدجرد ملك أكبر دولة في العالم آنذاك وصاحب أكبر ثروة أيضا ، رفضوا ذلك لأنهم لم يخرجوا من أجله ، وانما خرجوا من أجل واحدة من ثلاث: الاسلام أو الجزية أو السيف ، ذلك فقط ما يبغيه المسلمون ، أمّا ما تبقى بعد ذلك فهو بحكم عقيدتهم الراسخة يتولاه الله الذي بيده مقاليد الأمور ان شاء أعطى وان شاء مسك ان شاء أغنى وان شاء أفقر .

ومرة أخرى تتجدد التهمة سنة ست وتسعين عندما غزا قتيبة بن مسلم الباهلي الصين ، حيث طلب ملك الصين أن يأتيه وفد من المسلمين يعرف منهم مطلبهم ويعرض عليهم ما يرضيهم من متاع الدنيا لعلهم بذلك يكفوه شر القتال ومرارة الهزيمة ، فأرسل اليه قتيبة وفدا برئاسة هبيرة بن مشمرج ، وحين قدم على الملك قال له الملك : ( الصرفرا الى صاحبكم فقولوا له : ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه )(أ) وهنا يبرز الموقف واضحا هذه المرة فان كان المسلمون يقصدون جمع الثروات فقد كفاهم ما وجدوه عند الممالك التي فتحوها ، فلهاذا يجاوزوا هذه

 <sup>( 1 )</sup> تاريخ الطبري \_ محمد بن حرير \_ جـ 6 \_ ص 502.

المالك ويكلفوا أنفسهم مشقة السفر وأتعاب الرحلة وتكاليفها ، لقد رد هبيرة وبوضوح على تهمة ملك الصين حيث قال : (كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادكم وآخرها في منابت الزيتون ! وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ! وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه )(۱) هذا هو الجواب الواضح الذي لا يحتاج الى تعليق يدحض تهمة ملك الصين ، ويدحض ما يأتي بعدها من تهم المستشرقين وأكاذيبهم الذين حاولوا أن يرموا الاسلام بكل نقيصة ويلصقوا به أي تشويه .

لقد حارب النبي الله وأصحابه سنين طويلة داخل الجنزيرة العربية ، حاربوا قريشا واصطدموا معها مرات عديدة ، وحاربوا اليهود في المدينة بمختلف قبائلهم ، وحاربوا من عاهد قريشا وحالفها من القبائل الأخرى المنتشرة في الجزيرة ، وحارب المسلمون في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين وما نعي الزكاة ، لقد خاض المسلمون كل هذه الحروب في داخل الجزيرة العربية وهي كما يقول

<sup>(1)</sup> المصدر السابق.

المستشرقون أرض جدباء قاحلة ، واذا كان الأمر كما يقولون فأين خزائن الذهب التي أسالت لعابهم في هذه الحروب ؟ وأين الحدائق والبساتين والقصور التي كانوا ينتظر ونهامن هذه الحروب ؟ أين الثراء والنعيم الذي حصل عليه المسلمون أو على الأقل توقعوا أن يحصلوا عليه وحاربوا من أجله ، أليس في هذه الحروب ما يقنع المستشرقين بزيف آرائهم وبطلانها ، أليس فيها شاهد واضح على أن المسلمين انما حاربوا من أجل اعلاء كلمة الله وتبليغ دعوته ، وأن الدنيا لم تكن تدور بخاطرهم عندما كانوا يحملون سيوفهم ذودا عن العقيدة .

لقد قلت سابقا ان هذه التهمة قديمة جدا ، وأن تفنيدها والرد عليها قديم أيضا ، ولكنمه استمر لفترات تاريخية طويلة ، فلقد رد على هذه التهمة كها عرض هاجس يوحي بها ، وها هم رسل المقوقس الى عمرو بن العاص يسألهم المقوقس عن صفات هؤلاء المسلمين الذين قدموا لفتح مصر فيجيبونه : ( رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم في الدنيا رغبة ولا والتواضع أحب اليه من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا تهمة انما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من

العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم الله ، هؤلاء هم المسلمون الذين خرجوا - كما يقول المستشرقون - يريدون الغنيمة والثراء وصفهم المصريون الذين كانوا على غير دينهم ، ولكنهم وصفوهم بصدق كما شاهدوهم في حقيقة أمرهم ، وعندما تأكد المقوقس من حقيقة هؤلاء القوم عرف أنهم على حق وأنهم أصحاب عقيدة ورسالة ، ومن كان كذلك هانت عنده الأمور وصغرت أمامه الدنيا بمغرياتها فلا يهمه اذا الا تحقيق هدفه ، ولذلك قال المقوقس : ( والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد )(2) .

ان المسلمين لم يكونوا يهدفون الى الغنيمة أبدا بدليل أنهم ردوا الكثير من الغنائم في بعض الغزوات كغزوة حنين مثلا ، وحصلت فتوحات لم يحصل فيها المسلمون على غنائم مطلقا ، وذلك كها حصل في فتح مكة مثلا ، وكان المسلمون اذا قدموا الى بلاد عرضوا على قادتها الاسلام أولا باعتبار ذلك هو الشيء الوحيد الذي يهمهم والذي أخرجهم من جزيرتهم

<sup>(1)</sup> فنوح مصر وأخبارها ـ أبو القاسم بن عبد الحكم ـ تحقيق . عبد المنعم عامر ـ لحنة الىبان العربي ـ القاهرة ـ ص 97. (2) نفس المصدر السابق .

<sup>. 6,.....</sup> 

فهم دعاة أولا وقبل كل شيء ، ثم اذا لم يحصل ذلك تركوا الأمر بيد أعدائهم وخيروهم بين ثلاث لا بد من قبول واحدة منها ، فاما الاسلام وهو الشيء الذي به تعمد السيوف وتعود الجيوش إلى مواقعها ويترك تدبير أمور الدولة ببد أهلها ، وإما الجزية وهي المقدار البسيط من المال الذي به يستطيع أهل الكتاب البقاء على دينهم آمنين سالمين دون التعرض لأي خط ، وإما القتال وهو الوسيلة التي بها يمكن كسر جدار العزلة بين الدعوة الاسلامية وبين الشعبوب المغلوبة على أمرها. ولنفرض جدلا أن الفرس أو البروم عندما عرض عليهم المسلمون هذه الأمور الثلاثة قبلوا منها الجزية فإذا يكون موقف الجيوش الاسلامية حينئذ ؟ هل يمكن لهم أن يتجاوزوا ذلك وينهبوا خزائن الفرس أو ذخائر الـروم ؟ كلا فالاســلام الذي خرجوا للتبشير به ينهاهم عن ذلك ، فقد بين لهم القرآن وبصراحة أنه لا عمل لهم بعد قبول الكفار الجرية الا أن يتركوا للناس عقائدهم وأموالهم وديارهم وكل بمتلكاتهم ﴿ قاتلُوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ١٠٥٠ فاذا أعطوا الجزية أو

<sup>( 1 ).</sup> الآية 29 من سورة التونة .

قبلوا الاسلام فقد عصموا دماءهم وأموالهم ، وهنا أعود فأقول : ان كان المسلمون حقا خرجوا بقصد تحسين أوضاعهم المدية فان الجزية لا تكفيهم أبدا لقلتها وكثرة عددهم ، وقد بين التاريخ في كثير من المواقف أن المسلمين قد رضوا بالجزية في كثير من المرات ، وصالحوا الكثير من الشعوب على هذا المبدأ ، واذا ثبت ذلك فقد ثبت بطلان دعوى المستشرقين ، وشبت زيف آرائهم وفسادها .

### الجزية وأثرها في اعتناق الاسلام :

وحين الحديث عن الشق الثاني من التهمة وهو أن الكثير من أهل الذمة انما دخلوا الاسلام فرارا من دفع الجزية أقول: ان هذا القول يعوزه الدليل ويحتاج الى اثبات ، ولا سبيل إلى اثباته ، ذلك أن الذي يعتنق دينا أو مذهبا انما يعتنقه بقلبه وتصدق ذلك جوارحه وأفعاله ، ولا يعلم ما في القلوب الا الله سبحانه وتعالى ، فربما اعتنق الانسان دينا أو مذهبا خوفا من سلطان جائر أو هر وبا من ظرف قاهر أو طمعا في مال وثراء ، ولكن تلك الأسباب التي أدت به الى ذلك تظل حبيسة في نفسه لا يعلمها الا خالقه ولو صرح بها لما قبل منه اعتناقه هذا ولرد عليه بل ربما عوقب أو قتل ، وإذا كان الأمر كذلك فما هو عليه بل ربما عوقب أو قتل ، وإذا كان الأمر كذلك فما هو

الدليل الذي يورده هؤلاء المستشرقون على دعواهم هذه ؟ هل هناك نصوص تثبت أن هؤلاء قد صرحوا بأن اسلامهم كان هروبا من الجزية ؟ هل هناك دلائل تشير على أن هؤلاء قد ظلوا على دينهم القديم بعد اعفائهم من الجزية ؟ ليس هناك دليل يقوم على صحة هذه الدعوى الاذلك الدليل الثابت البطلان الذي يردده بعض المستشرقين من أن الجزية كانت باهظة ولا سبيل للهروب منها الا بالتظاهر باعتناق الاسلام.

ان الجزية مأخوذة من الجزاء ، أي أن أهل الكتاب انما أخذت منهم الجزية جزاء ما يقدم لهم من خدمات ، فهؤلاء حين يعاهدون على الجوزية تكون أرواحهم وأموالهم وجميع ممتلكاتهم في حماية المسلمين ، لا يمكن لأحد أن يمسها بسوء ، فهي ضريبة مقابل امتياز مثلها مثل الكثير من الضرائب التي تأخذها الحكومات اليوم مقابل تقديم خدمات معينة ، والدليل على أنها كذلك هو أن المسلمين قد ردوا لأهل الذمة ما أخذوه منهم من جزية حين علموا أنهم غير قادرين على حمايتهم ، وقد حدث ذلك حينا بلغ أبو عبيدة أن الروم تجمع جحافلها لغزو المسلمين ، فكتب الى نوابه أن يردوا الجزية الى من أخذت منهم وأمرهم أن يعلنوهم بهذا البلاغ : ( انما رددنا عليكم منهم وأمرهم أن يعلنوهم بهذا البلاغ : ( انما رددنا عليكم

أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم اشترطتم علينا أن نمنعكم. انا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشروط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم ) (أ) . وبما يدل أيضاً على أنها مقابل الحماية والمنعة هو أنها لا تؤخذ الا من القادرين على حمل السلاح فقط ، يقول الماوردي : ( ولا تجب الجزية الا على الرجال الأحرار العقلاء ، ولا تجب على امرأة ولا صبي ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وذراري ) (2) .

هذا ما كان من سبب فرضها ، أما من حيث قيمتها فان الجزية لم تكن أبدا باهظة فهي لا تؤخذ الا من القادر عليها أي الذي له موارد مالية يستطيع • ن خلالها دفع الجزية ، أما الفقير الذي لا يملك مالا ولا يقدر على دفعها فهو معفى تطبيقا لمبدأ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴾ (3) وقد فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين رفع الجزية عن رجل كبير من

<sup>( 1 )</sup> غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ـ د . يوسف القرصـــاوي ـــ مكتبــة وهبة ـــ القاهرة ـــ ص 35

<sup>( 2 )</sup> الأحكام السلطانية \_ الماوردي .. ط1. . 1909 م . ص 144.

<sup>( 3 )</sup> الآية 286 من سورة البقرة .

أهل الذمة رآه يسأل الناس (1) . والجزية أيضا لا تؤخذ الا مرة واحدة في السنة تماما كما يؤخذ من المسلمين فريضة الزكاة ، وهي أيضا مقدار بسيط لا يتجاوز في أكثر الأحوال ثمانية وأربعين درهما (2) .

كيف يقال اذا ان الجزية كانت سببا في ارهاق المذميين حتى أكرهتهم على اعتناق الاسلام ، ألم يعلم هؤلاء أن باسلام هؤلاء تسقط عنهم الجزية وتجب عليهم البزكاة ، في الفائمة اذا ؟ ان الزكاة ربما زادت في مقدارها عن الجزية فالجزية مقدار معين ومعلوم وثابت ، أما الزكاة فهي نسبة معينة تزيد وتنقص بحسب زيادة المال ونقصانه ، ثم ان الذمي اذا أسلم صارت عليه تبعات جديدة لم تكن عليه في السابق ، فبحكم اسلامه يجب عليه الانخراط في الجيش الاسلامي والدفاع عن المديار الاسلامية ، وذلك أمر عظيم لم يكن مكلفا به حين كان ذميا فقد تكفلت الجزية باعطائه حق الحاية والمنعة ، فهل يصدق بعد هذا أن يكون المذميون قد اعتنقوا الاسلام فرارا من

<sup>(1)</sup> أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ــ د . عمد الكريم زيدان ـ ط 2 ــ جامعة بغداد ـ 1976 م ـ ص 141

<sup>(2)</sup> الأموال \_ اس سلام \_ تحقيق : محمد حليل هراس \_ دار الفكر ومكتبة الكليات الأزهرية \_ القاهرة \_ 1975 م - ص 50

الجزية ، ان هذا قول ليس له نصيب من الصحة وليس له أي هدف سوى أن المستشرقين يريدون أن يبينوا وبطريق خفي أن الاسلام لا يصلح دينا يعتنقه الناس وأن الذين اعتنقوه انما فعلوا ذلك سب أتعاب ومصاعب مادية .

ان اعتناق الاسلام هروبا من دفع الجزية أمر لا يتأتى مطلقا فالذمي اذا اعتنق الاسلام وهو غني موسر فان اسلامه سيضاعف من تبعاته المالية حين تجبى منه الزكاة وان كان الذمي فقيرا ليس له قدرة على دفع الجزية فقد تكفل الاسلام باسقاط الجزية عن من لا يستطيع دفعها ، ففي أحكام الجزية أنها تسقط عن الفقير الذي يتصدق عليه والشيخ الذي لا يستطيع العمل والأعمى والأعرج والمريض والمخلوب على عقلمه الا اذا كان غنيا ، وأعفي من دفعها أيضا المترهبون في الأديرة والصوامع الذين يعيشون على الصدقات (۱) .

ان الجزية ترفع عن الذي أعلن اسلامه دون نظر الى الدافع الذي من أجله أسلم الانسان ، لأن الدين الاسلامي يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، ولا يهم أن كان الشخص

<sup>(1)</sup> الاسلام وأهل الذمة ـ د . علي الحربوطلي ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ـ 1969 م ـ ص 73.

أسلم فرارا من الجزية أم لا فأمره الى الله ، وقد ورد أن رجلا غير عربي أسلم ولكن الوالي لم يرفع عنه الجزية ، فقدم الرجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين : اني أسلمت والجزية تؤخذ مني ، فقال عمر : لعلك أسلمت متعوذا ، فقال : أما في الاسلام ما يعيذني ؟ فقال عمر : بلى فكتب عمر أن لا تؤخذ منه الجزية (۱) .

وهكذا ومن خلال الكثير من الحقائق التي مرت يثبت أن الكثيرين من أهل الذمة الذين دخلوا الاسلام انما دخلوه اقتناعا ورغبة في انقاذ أنفسهم من الضلالات ومن زيف الأديان الأخرى وأباطيلها ، وأنهم لم يفعلوا ذلك الا بعدما شاهدوا بأعينهم حقيقة الاسلام متجسدة في سلوك معتنقيه ، الذين أظهر وا تسامحا فريدا لم تظهره الديانات الأخرى حتى ان مسيحيي الشام حين رد لهم أبو عبيدة الجزية التي أخذت منهم لما علم أن المسلمين غير قادرين على حمايتهم ، دعا هؤلاء المسيحيون بالبركة على رؤساء المسلمين وقالوا : ( ردكم الله علينا ونصركم عليهم ( أي على الروم ) فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، وأخذوا كل شيء بقي لنا ) (2) .

<sup>(1)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 72

<sup>(2)</sup> غير المسلمين في المجتمع الاسلامي . د. يوسف القرصاوي . ص 59.

ولا يفوتني في نهاية الكلام على هذه الشبهة أن استشهد برأي عالم غربي اعترف بنزاهة المسلمين وصواب رأيهم في فرض الجزية فقد قال توماس ارنولد: ( ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين كها يريدنا بعض الباحثين على الظن لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الاسلام، وانما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الجدمة في الجيش في مقابل الجهاية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين ) (1).

# التعامل التجاري وأثره في اعتناق الاسلام:

أما الشق الثالث من تهمة العامل الاقتصادي في الفتوحات الاسلامية والذي يرى بأن التعامل التجاري بين المسلمين وغيرهم كان سببا من الأسباب التي أدت بالكثيرين الى التحول الى الاسلام، فان ذلك قول غير صحيح ويصدق عليه الكثير من الكلام الذي أوردته في موضوع الجزية، ورغم أنه لم يقل به الا قليل جدا من المستشرقين الا أني أردت أن

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام \_ توماس اربولد \_ ص 79.

أشير اليه اشارة عابرة نظرا لعدم أهميته وعجز أصحابـه عن اقامة الدليل عليه .

أما الدليل على أن ذلك غير صحيح فهو أن الكتابيين بصفة عامة وأهل الذمة بصفة خاصة كانوا يتساوون مع المسلمين في أحكام المعاملات وأنه يجوز لهم الاتجار بحرية تامة تماما كها يجوز للمسلمين ذلك ، ولم يشترط فقهاء المسلمين شرط الاسلام في الكثير من أحكام العقود والمعاملات ، فقد قال الحنفية بأن الذمي كالمسلم في التزامه أحكام الاسلام في ما يرجع الى المعاملات لأنه من أهل دارنا ، وان الذميين في المعاملات والتجارات كالبيوع وسائسر التصرفات كالمسلمين الا ما استثنى ، وصرح الحنفية أيضا في باب الاجارة بأن اسلام المعاقدين ليس بشرط أصلا ، وفي باب الشفعة ان اسلام الشفيع ليس بشرط لوجوب الشفعة ، وفي باب البيوع صرحوا بأن اسلام البائع ليس بشرط لا يعقاد البيع ولا لصحته ، وكذلك قالوا في باب المزارعة وباب المضاربة (۱) ، ولم يتفرد الحنفية بذلك بل قال بهذه الآراء أيضا الشافعية فقد قال الامام

<sup>( 1 )</sup> أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ـ د . عبد الكريم زيدان ـ ص 547 وما بعدها .

الشافعي: (ونبطل بينهم (أي أهل الذمة) البيوع التي تبطل بين المسلمين كلها) (أ) ، ومثل ذلك قاله الحنابلة والمالكية والزيدية والامامية ، فالجميع يتفقون على أن المسلمين وأهل الذمة والمستأمنين يتساوون في أحكام المعاملات من بيع وشراء وغيرها ، حيث لم يتعرض الفقهاء للتفريق بين المسلم وغيره الا في المعاملات التي تقع في الأشياء المحرمة (2) ، واذا ثبت ذلك فكيف يحتاج الكافر الى أن يعتنق الاسلام من أجل المعاملات التجارية مع المسلمين التي هي مباحة له حتى وهو غير مسلم ، ان هذا القول غير جدير بالمناقشة أصلا لأنه لا يستند الى وجهة نظر يمكن أن تكون موضوعا للحوار والنقاش يستند الى وجهة نظر يمكن أن تكون موضوعا للحوار والنقاش العلمي ، ومن ثم أكتفي بما أوردته عنه .

<sup>( 1 )</sup> الام ـ الشافعي ـ جـ 4 ـ دار المعرفــة ـ بــيروت ـ 1973 م ـ ص 211.

<sup>(2)</sup> انطر في هذا الموصوع :

أ ـ حواهر الاكليل ـ جـ 2 ـ باب البيوع ـ طدار الفكر .

ب ـ النهاية ـ الطوسي ـ كتاب المتاجر ـ دار الكتاب اللبنامي ـ بيروت .

جد مواهب الجليل ما الحطاب مدار الفكر مبروت ماب البيوع .

# مناقشة الانجاهالثالث المسيميون في العهد لعثماني والتشكيك في سبب اسلامهم

وحين الانتقال بالمناقشة الى الاتجاه الثالث فان أول ما يطالعنا هو تلك الأسباب الواهية التي عددها توماس سميث وجعلها أسبابا رئيسية لدخول كثير من المسيحيين في الاسلام في العهد التركي أو كما اشتهر بالعهد العثماني ، والدارس الفاحص لهذه الأسباب يجد أنها لا تقوم على دليل مقبول ، ولا تعرف الموضوعية ولا تنهض على شواهد تاريخية ، وسيتضح ذلك بعد مناقشتها .

ان أول سبب يذهب اليه توماس سميث هو أن فريقا من المسيحيين أسلم بدافع اليأس البالغ وقد عجزوا عن احتال عبء العبودية وتجنب سفاهات الكفار ، هذا هو السبب الأول وهو واضح في كونه كلاما عاما غير محدد لا يهدف الا الى التشويه وذلك عن طريق الايماء بأن هناك عبودية وظلما أديا الى يأس المسيحيين الذين لم يجدوا مفرا للهروب من تلك العبودية وذلك الظلم الا باعتناق الاسلام ، وحين وضع هذا الرأي

تحت المجهر التاريخي في محاولة لايجاد ما يثبت ذلك يتضح أنه كلام لا أساس له من الصحة وانه كلام صدر عن روح صليبية حاقدة حتى ان توماس ارنول د صاحب كتاب الدعوة الى الاسلام حين قدم هذا الرأي قال: ( ويتحدث توماس سميث الذي كان في القسطنطينية سنة 1669 عن عدد الداخلين في الاسلام من المسيحيين حوالي هذه الفترة. ولكنه ينسب اليهم بواعث أكثر خسة ) (۱).

أما عن العبودية والسفاهات التي يتحدث عنها سميث فأقول ان المسبحيين كانوا في ظل الحكم العثماني على درجة كبيرة من الاحترام والتقدير ، فمنذ قيام الدولة العثمانية توطدت العلاقات بين الحكومة الاسلامية والكنيسة المسيحية ، واهتم بعض سلاطين الدولة باضفاء طابع الرعاية الكاملة على المسيحيين وذلك شيء افتقده المسيحيون في عهودهم السابقة ومع حكوماتهم التي تدين بدينهم ، يقول توماس ارنولد في ذلك : ( ومن أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني ، بعد سقوط القسطنطينية واعادة اقرار النظام فيها ، أن يضمن ولاء المسيحيين بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام .. توماس ارنولد . ص 193.

الاغريقية فحرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا ومنح البطريق الجديد مرسوما يضمن له ولأتباعه ولم ؤوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق . وقد تسلم جناديوس أول بطريق بعد الفتح التركى ، من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التي . كانت رمز هذا المنصب ومعها كيس يحتوى على ألف دوكة ذهبية وحصان محلى بطاقم فاخر وكان يتميز بركوبه في خلال المدينة تحف به حاشيته . ولم يقتصر المسلمون في معاملة رئيس الكنيسة على ما تعود أن يلقاه من الأباطرة المسيحيين من توقير وتعظيم ، بل كان متمتعا أيضا بسلطة أهلية واسعة فكان من عمل البطركية أن يفصل في القضايا التي تتعلق بالاغريق بعضهم مع بعض ، فكان لها أن تفرص الغرامات ،وتسجن المجرمين في سجن معد لها ، بل كان لها أن تحكم بالاعدام في بعض الأحيان . بينا صدرت التعليات الى الوزراء وموظفي الحكومة بتنفيذ هذه الأحكام: وكانت المراقبة التامة على الشئون الروحية والكنسية ( وهي التي لم تتدخل فيها الحكومة التركية مطلقا بعكس السلطة المدنية التي كانت نخولة للدوالة البيزنطية ) متروكة كلها في أيدي البطريق وأعضاء المجمع الأعظم ، وكان في استطاعة البطريق أن يدعوهم متى شاء ،

كذلك كان في استطاعته أن يفصل في كل شئون العقيدة والشريعة من غير أن يخشى تدخلا من جانب الحكومة ، ولما كان هذا البطريق معترف به موظف من موظفي الحكومة السلطانية كان يستطيع أن يقوم بعمل كبير في رفع الظلم عن المظلومين بأن يوجه أنظار السلطان الى أعمال الحكام الظالمين ) (1) ، ذلك بالضبط ما يقوله كاتب غربي مشابه لتوماس سميث ولكنه عتاز عليه بأنه يتجرد أحيانا من مسيحيته وعصبيته الدينية ولا يتردد في قول الحق خصوصا اذا وجد نفسه أمام دلائل تاريخية ثابتة لا مجال للالتواء فيها ، فأين الظلم والعبودية التي يدعيها توماس سميث ، وأين القهر والمعاناة التي دفعت المسيحيين الى اليأس البالغ حتى دفعهم ذلك الى ترك ديانتهم واعتناق الاسلام ، لقـد تمتـع المسيحيون في ظل الحكم العثماني بميزات عظيمة وكثيرة حتى ان ذلك دفعهم الى الموافقة على تغيير سادتهم وايثار سيادة السلطان العثاني على أية سلطة مسيحية أخرى وذلك لما وجدوه من عدل وتسامسح خصوصا في عهد بايزيد ومراد الثاسي اللذين اشتهرا برعايتهم الفائقة للمسيحيين واعطائهم حرية كاملة خصوصا في ممارسة

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام - توماس ارنولد - ص 170, 171.

شعائرهم الدينية وما يتبعها من طقوس واحتفالات خاصة بهم (1) .

ولقد آثرت أن أورد هنا رأي توماس ارنولد دون غيره ، وبخاصة من العلماء المسلمين حتى لا أدع مجالا لمقال حول ما ذهب اليه توماس سميث ، فارنولد كاتب غربي لا يعنيه أن يدفع عن الاسلام تهمة ما لأنه لا يدين به ، فاذا رد ما زعمه سميه في المعتقد كان أبلغ في ابطال التهمة وآكد في أن الاسلام لا يؤمن به الناس الا عن رغبة ذاتية وقناعة قلبية وعقلية ، وليس كما يزعم الزاعمون ويفتري الداهمون .

أما السبب الثاني الذي يورده توماس سميث لاسلام المسيحيين في العهد العثماني فهو أن فريقا آخر أسلم نتيجة مهزلة سقيمة هوجاء ليتبوؤوا مكانة يملكون بها ناصية الحكم وينزلون الاهانة بغيرهم من الناس ، وهذا السبب أوهى من سابقه وأسخف فهو يظهر أولا وقبل كل شيء أن المسيحيين لم يكونوا مقتنعين بدينهم ولا متحمسين للاعتصام به ، فالذي يرضى بترك دينه وعقيدته ـ وهي أهم ما يعتبز به الانسان ـ مقابل الفوز بمنصب وظيفي أو مكانة مرموقة في ذلك المجتمع الذي

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام ـ توماس ارنولد ـ ص 170 وما بعدها .

عرف بأنه لا يفرق بين المسلم وغيره في تصريف شئون الحياة ، ليس انسانا جديرا بالتقدير ولن يحترم العقيدة التي آثرها على عقيدته ، ويقول توماس سميث ان هذا المنصب الذي سعى اليه المسيحيون ودفعوا مقابله عقيدتهم سوف يستخدمونه في اذلال غيرهم من الناس والحاق الاهانة بهم ، فهم لم يستخدموه \_ كم استخدم المسلمون \_ في التسامح واقامة العدل والمساواة وتقريب الهوة بين أتباع الديانات المختلفة ، وتفتيت الأحقاد والضغائن الناتجة عن الاختلاف الدينم, أو السياسي أو الاجتاعي ، لقد أساء سميث بكلامه هذا للمسيحيين أكثر عما أساء للمسلمين الذين أراد تشويههم والصاق التهم بدينهم الحنيف ، أما ما يفهم من كلامه من أن المسيحيين كانوا بعيدين غن المناصب لكونهم غير مسلمين ، فذلك شيء طبيعي وعادى ، فالدولة العثمانية دولة اسلامية ونظام الحكم فيها اسلامي ، ولذلك فانه من الطبيعي جدا أن يتولى المسلمون مقاليد الأمور في هذه الدولية ، ومن غير الطبيعي أن يترك تصريف أمور الدولة الاسلامية لأفراد غسر مسلمين ، واذا حدث ذلك فهو اما بسبب عجز المسلمين عن القيام بذلك وهو الأمر الذي لم أعثر له على مسند تاريخي ، واما من قبيل التسامح واضفاء طابع المســاواة على جميع أفــراد

الشعب دون تفريق ديني أو طائفي وهو أمر قد يوجد ما يثبته تاریخیا ، ومن ذلك ما یقوله ( مارتن كروسیوس ) : ( مـن الغريب أننا لم نسمع مطلقا أن شيئا من الجراثم أو المظالم قد وقع بين البرابرة ( الأتراك ) وبين البقية الباقية في هذه المدينة الكبرى ، فالعدالة ممنوحة لكل فرد . لذلك وصف السلطان القسطنطينية بأنها ملجأ العالم كله: ذلك لأن جميع التاعسين يختبئون هناك في أمان ، ولأن العدالة توزع على الناس جميعا ، على أقلهم شأوا وأعظمهم نفوذا على المسيحيين والكفار سواء بسواء ) (١) ، وزيادة في الايضاح أقول ان كلام توماس سميث مردود من ناحية أخرى وهي أن النصاري واليهود كانوا يعاملون معاملية الحاعبات المستقلبة ذاتيا (2) ، وإذا كان ذلك كذلك فليس هناك مبر رالأن يغير المسيحيون عقيدتهم من أجل الحصول على مناصب قد تكفل لهم حتى وان لم يتحولوا الى مسلمين ، ولذلك أقول ان كلام سميث ليس له أي وجهة منطقية أو مسند تاريخي ، ولا يحتاج في الرد عليه الى أكثر مما أشرت اليه.

<sup>(1)</sup> الدعوة الى الاسلام ـ توماس اربولد ـ ص 173.

<sup>( 2 )،</sup> دائرة المعارف الاسلامية -كرامرز - جـ 5 - مادة ترك - ص 174.

أما السبب الأخير الـذي يذكره سميث وهـو أن فريقـا أسلم بدافع التخلص من ألوان العقاب والبلاء جزاء بما ارتكبوه من الجرائم ، فهو سبب ليس له من هدف الا الاشارة الخفية الى أن الاسلام معقل المجرمين والقتلة بدليل أنه ذكر بعد ذلك معللا لفعل هؤلاء أنهم لينعموا بالحريات التبي تنطوي على الوحشية والتي قدّسها محمد باعتباره مثلا اقتدى به أتباعه: ذلك فقط ما يريد توماس سميث اثباته ، أما أن المسيحيين دخلوا الاسلام بقصد التخلص من عقوبات الجرائم التي ارتكبوها فذلك أمر ثانوي أتى به بقصد الوصول الى غايته بطريق غير مباشر ، وليس هو المقصود لأنه يعلم بالطبع أن الاسلام قد سن من العقوبات والقوانين الرادعة لكل ألوان الجرائم التي قد يرتكبها الانسان دون نظر الى عقيدة المجرم أو حيثيته ، فالعقوبات في الاسلام يخضع لها كل من يخضع للدولة الاسلامية اللهم الا بعض الحدود كالخمر لأن غير المسلمين يعتقدون أنها حلال ، وان كنا اسلاميا لا نقرهم على ذلك ، ولكنه التسامح الذي لم يعرفه دين سوى الاسلام ، واذا كان سميث يقصد بالعقاب ذلك الندى يكون يوم الندين والندى يتعلق بذمة الجاني ، والذي قد يغفره الله باعتبار أن المجرم قد فعل ذلك وهو كافر وأن الاسلام يجب ما قبله فذلك أمرجائز

ومحتمل ، أما العقاب الدنيوي المتمثل في صورة قانون العقوبات فذلك أمر لا مفر من تنفيذه لأن فيه انصافا لحق الأفراد أو الهيئات التي وقع عليها الاعتداء نتيجة فعل المجرم ، ولو ترك المجرم دون عقاب بحجة أنه كان كافرا وأسلم لأصبحت المسألة أمرا فوضويا قد يهدم صرح العدالة والأمن الذي يجب أن يتوفر في المجتمع .

والخلاصة أن آراء توماس سميث تعكس مفاهيمه المضطربة عن الاسلام ، وأهوائه الحاقدة عليه ، وأنه في دراسته لانتشار الاسلام لم يأخذ نفسه بالمنهج العلمي والبحث الموضوعي ، وأن كل هذه الآراء لا تدعمها حجة مقبولة أو برهان معقول .

# الحاجة الى الزواج وأثرها في اعتناق الاسلام : ـ

والشق الثاني من هذا الاتجاه هو ما يقوله ( مارشال هودجسون ) من أن الذين اعتنقوا الاسلام من المسيحين كانوا يعيشون تحت ضغوطات متنوعة دفعتهم الى اعتناق الاسلام ، ومسن هذه الضغوطسات ما يواجسه المسيحيين في علاقاتهسم الاجتاعية مع المسلمين وبالأخص الزواج الذي كان عاملاهاما

في تحول المسيحيين والمسيحيات الى الاسلام ، ويلاحظأن هذا الباحث لم يكن جازما فيا ذهب اليه من رأي بدليل أنه ساقه في عبارة تحمل ظلالا من الشك وعدم القطع ، ومع هذا لا أرى مانعا من مناقشته لما في ذلك من جلاء الصورة عن موقف المسلمين من العلاقات الاجتاعية التي قد تنشأ بين المسلم والكافرة أو العكس .

ان القرآن قد حدد هذه العلاقة وفصلها ، وهي إما أن تكون علاقة بين مسلمين ومشركين وهذه قد حرمها القرآن بدليل قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾ (١) ، وقد بين القرآن أيضا علة هذا التحريم بقوله : ﴿ أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنةوالمغفرة باذنه ﴾ (٤) ، فالمشركون لا دين له لا شيء يردعه من فعل المنكر والقبيح وبالتالي فكيف يمكن أن يستأمن على مسلمة تريد أن تحفظ دينها وتؤدي شعائره . واما أن تكون العلاقة بين مسلمين وأهل

<sup>(1)</sup> الآية 221 من سورة البقرة .

<sup>(2)</sup> هس الآية السابقة .

كتباب وهمو ما فصله القرآن البذي أبياح زواج المسلم من الكتابية \_ وهو أمر اعترف به ذلك الباحث أيضا \_ بدليل قوله تعالى : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قيلكم اذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخــذي أخــدان ﴾ (١) ، وحرم زواج الكتابي من المسلمة بدليل قوله تعالى : ﴿ يأسها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ (2) وقد علل بعض الفقهاء لهذا التحريم بأن الكتابي اذا تزوج مسلمة كانت له الولاية عليها ووجبت عليها طاعته وامتثال أوامره وهو ما يحالف قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجِعُلُ اللَّهُ لَلْكَافَرِينَ عَلَى المؤمنينَ سبيلًا ﴾ (3) ، ثم إن هذا الزواج أمر غير نمكن لما فيه من الاختلاف في جوهر العقيدة التي قد يترتب عليها أمور تعكر صفو الحياة الزوجية ، فالكتابي لا يعترف بالدين الاسلامي ولا بالقرآن ولا بالنبي

<sup>( 1 )</sup> الآية 5 من سورة المائدة .

<sup>(2)</sup> الآية 10 من سورة المتحمة .

<sup>( 3 )</sup> الآية 141 من سورة النساء .

على ، وبهذا الاختلاف فإن الأمور لا تستقر بينهما علاوة على أنه قد يتعرض لدينها بسب أو حرمان من أداء الفراض وعلى العكس من ذلك المسلم اذا تزوج كتابية فانه يعترف بصحة رسالتها ويعترف بصدق نبوة رسولها ويصدق بكتابها ، ولا يتم ايمانه الا اذا اعترف بدينها ، وهو بالتالي لا يمكن له أن يتعرض لدينها أو يجرمها من أداء واجباتها وطقوسها(١) ، يصرف النظر عن أن أتباع هذا الدين قد حرفوا وبدلوا ومن ثم أنكروا نبوة محمد ﷺ وعموم رسالته ، فذلك أمر يتحملون وزره يوم يقوم الناس لرب العالمين. وهكذا تتبين نظرة الاسلام إلى العلاقات الاجتاعية بين متبعى الديابات المختلفة ، ويتبين أيضا أنه دين يهدف الى ازالة الحواجز بين الأمم والشعوب حتى يحصل التقارب والتعارف والتآلف الذي قد يؤدي في النهاية الى اظهار حقيقة الاسلام لمن لم يعرف وذلك وسيلة من وسائس نشر الاسلام والتعريف به ، ولا أظن أن أحدا ينكر على الاسلام هذه الوسيلة السلمية التي تقوم على الدعوة بالحكمة والقدوة الحسنة .

واذا سلمنا جدلا بأن العامل الاجتاعي كان وسيلة من

<sup>(1)</sup> فقمه السنة ـ السيد سابـق ـ حـ 2 ـ ط 1 ـ دار الفـكر ـ ـ ـــيروت ـ ـ 1977م ـ ص 94.

وسائل نشر الاسلام فانه من الخطأ البين أن يسمى ذلك بالضغوط الاجتاعية التي يفهم منها معنى القوة والغلبة ، أي أن الاسلام قد فرض هذه القيود من أجل الاعتراف به ولذلك فلا مفر من التسليم والاذعان لهذه القيود من أجل الظفر بالمطلوب ، وهذا المفهوم الذي يتبادر الى الذهن هو ما يرد على هذا المستشرق وذلك لمخالفته لواقعية الاسلام الذي لم يفرض ضغوطا اجتاعية وانما فرض شروطا تحفظ للمسلمة عزتها وتحين متكها بدينها وتصونها من عبث من لا يعترف بدينها ، وحين نعرف ذلك نفهم أن لفظ ضغوطات اجتاعية هو أمر مردود ، وأن عال الذي فرضه ونشره بين الناس هو ظروف وأن يعتنق ، وأن الذي فرضه ونشره بين الناس هو ظروف ختلفة ، هي أيضا محاولة غير مسلمة ، فالاسلام انما نشرته سياحة مادئه وصدق تعالمه و واقعتها .

#### بين القومية والدين : ـ

أما الشق الثالث من هذا الاتجاه فهو يتمثل في اضفاء الطابع العنصري القومي على الفتوحات الاسلامية ، حيث يرى فيليب حتي أن الغلبة في الفتوحات الاسلامية كانت للعرب وأن الحماس الذي وصل بالاسلام الى معظم بقاع الدنيا

كان نتيجة شعور قومي سيطر على نفوس المسلمين الأمر الذي ذابت معه العاطفة الدينية ، وكانت النتيجة كما يرى الفوز للقومية العربية وليس للدين الاسلامي . ذلك بالضبط ما يفهم من كلام حتى وهو أمر بعيد عن المنطق العلمي الذي يستند الى استقراء التاريخ ودراسة تعاليم الدين الاسلامي نفسه . ان الاسلام الذي ظهر في الجزيرة العربية \_ تلك البيئة التي عرفت بعصبيتها المفرطة \_ كان يضع حسابا كبيرا للأثر الذي يمكن أن تحدثه تلك العصبية \_ اذا تركت \_ من تفتيت للوحدة التي يجب أن تسود بين جميع معتنقيه على اختلاف بيئاتهم وأنسابهم وألوانهم ، ومن هذا المنطلق أراد الاسلام أن يتربي أتباعه على ازالة كل النعرات الطائفية والقبلية ، وأن يلتزموا برابطة واحدة فقط وهي رابطة الأخوة الأسلامية ، بل قد ذهب الاسلام الى أبعد من ذلك حين غرس في نفوس أتباعه رابطة الأخوة الانسانية التي لا ترتبط بدين ولا مذهب ولا قبيلة ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (١) ﴿ يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم

<sup>( 1 )</sup> الآية 1 من سورة النساء .

عند الله أتقاكم ﴾ (1) ، لقد أشعر الاسلام أتباعه بأهمية تلك الرابطة من أجل أن تنشأ دولة الاسلام قوية متاسكة لا تهددها الخلافات ولا تفتتها النزاعات المذهبية والعرقية التي ان ظهرت في مجتمع مزقته وأذابته ، يقول الرسول على مبينا أهمية تماسك المجتمع الاسلامي وتكاتفه على اختلاف طوائفه وأنسابه وألوامه : ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراجمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ﴾ (2) .

لقد ظهرت النعرة القومية التي يشير اليها فيليب حتى في كثير من المناسبات في عهد الرسول وفي عهد خلفائه الراشدين ولكن الموقف منها كان حازما وشديدا والتأنيب عليها كان فظيعا ، فمن ذلك ما يروى من أن أبا ذر الغفارى وهو عربي تغاضب مع بلال وهو حبشي وتطور النزاع بينهها الى أن أخذت أبا ذر الحدة فقال لبلال : يا ابن السوداء ، فشكاه بلال الى الرسول ولله ققال لأبي ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ! فندم أبو ذر على ما فعل حتى أنه أمر بلالا أن يطأه على جاهلية ! فندم أبو ذر على ما فعل حتى أنه أمر بلالا أن يطأه على

<sup>( 1 )</sup> الآية 13 من سورة الحجرات ...

<sup>(2)</sup> رواه مسلم \_كتاب البر \_ حـ 16

وجهه مبالغة في التوبة والندم (۱۱) ، وبما يروى أيضا أن قيس بن مطاطية جاء الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فها بال هؤلاء ، فقام اليه معاذ بن جبل وأخذ بتلابيبه وأتى النبي وأخبره بمقالته ، فقام الرسول في عاضبا حتى أتى المسجد وأمر بأن ينادى في الناس حيث خطب فيهم وقال : يأيها الناس ان الرب واحد والأب واحد وان الدين واحد (2) . وهكذا يتضح من خلال تعاليم الاسلام وسلوك نبيه أنه دين لا يقيم وزنا للافتخار بالنسب ، ولا للاتكاء على القومية بجعلها سبيلا الى الأثرة والتعالي على النفس الآخرين ، ولا بالتمسك بها حتى تكون المسيطر على النفس والحركة للشعه ( . )

انه لا غضاضة في أن أقول ان العرب كان لهم الشرف في القيام بحمل عبء الرسالة ، وكان لهم الشرف أيضا في تحمل تبعات نشرها في منبتها الأول ، وكان لهم الشرف أيضا في تكوين الدولة الاسلامية وبناء صرحها ، وكان لهم الشرف

<sup>(1)</sup> من روائــع حضارتنــا ـ د . مصطفــى السناعــي ـ ط2 ـ المكتــب الاسلامي ـ دمشق ـ 1977 ـ ص 65.

<sup>(2)</sup> نفس المصدر السابق .

أيضا في أن تكون لغتهم هي لغة الدعوة ، وأن يكون صاحب الدعوة عربيا من أشرف بطون العرب ، ذلك ما يفضل به العرب غيرهم من بقية المسلمين ، أما ما عدا ذلك فالجميع سواء ( لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى )(1)

ولعل الروايات التاريخية الكثيرة كفيلة بالرد على هذه الفرية ، فالعنصر العجمي كان له دور واضح منف بداية الدعوة ، فها هو بلال الذي تحمل في سبيل الدعوة الكثير نراه يأخذ مكانه الطليعي في معظم الغزوات والمعارك منذ بداية الدعوة وحتى نهاية أجله ، وها هو الرسول على يشرفه دون غيره من سادة العرب بأن يعتلي الكعبة في فتح مكة ويؤذن للصلاة ، وكأنه بذلك يومى الى العرب بأن الاسلام لا يعترف بحسب ولا نسب وأن الجميع أمام الله سواء ، ومثل ذلك كان سلمان ورفع لوائه ، وكان لسلمان الفضل الكبير في أن ينقذ الاسلام والمسلمين من خطر محدق وذلك بما أشار به على الرسول والمسلمين من خطر محدق وذلك بما أشار به على الرسول من حفر للخندق الذي حفظ المدينة من مداهمة الكفار لها في غزوة الخندق ، وهي خطة حربية فارسية عمل بها الرسول علية

<sup>(1)</sup> رواه الامام أحمد ـ جـ 5.

وحين الاسترسال قليلا في تقليب صفحات التاريخ سوف تتضح الأمور أكثر ، ويصبح الأمر غير محتاج الى نقاش ، فالعجم كان لهم دور القيادة والزعامة في الدولة العباسية حتى أصبح دور العربي أمامهم ثانويا ، فأبو مسلم الخراساني كان له الدور البارز في تأسيس الدولة وفي تولي أمر جزء مهم منها وهو إقليم فارس ، وكان ذا شوكة كبيرة في الدولة العباسية حتى اصبح خطرا يهدد الخليفة بفسه ، ومشل ذلك الحال كان في عهد الرشيد حيث تسلمت أسرة البرامكة كل مقاليد السلطة وأصبح بيدها الأمر والنهي في تصريف كل أمور الدولة ، وإذا وقع ذلك في فترة حاسمة من فترات التاريح الاسلامي امتدت فيها الفتوح وازدادت توسعا ، وكانت تحت قيادة الأعاجم فلمن يا ترى يكون الفوز للقومية العربية كها يقول حتى أم للقومية الفارسية والعجمية كما يتبين من ظاهر الحوادث التاريخية ؟ أن الفوز والغلبة لم تكن لهذا ولا لذاك ، فقد كانت الغلبة للدين الاسلامي ولمبادئه وأهداف السمحة التي وحدت الصفوف وصهرت الجميع في بوتقة واحدة حتى أخرجت منهم العنصر المسلم ، وهو العنصر الجديد الـذي لا

يعرف تعصبا ولا يرى فضلا يفوق فضل الاسلام والتقوى .

لماذا لم يتذكر حتى -حين قال ذلك - قيام الدولة العثمانية وظهورها ؟ أين دور العرب في قيام هذه الدولة وفي تصريف شئونها ؟ ألم تقم بجهود الأعاجم وسيطر فيها الأعاجم سيطرة كاملة ، ومع ذلك استمـرت الفتـوح وازداد اتساع رقعة الاسلام . فأين القومية العربية في ذلك ؟ . واليوم يقوم بجهود نشر الدعوة والتبشير بها رجال مسلمون غالبيتهم من العجم وعلى الأخص من الباكستان والهند ، وجهود هؤلاء كبيرة وواضحة يتضاءل أمامها دور العبرب في هذا الميدان ، ومع ذلك يقول حتى ان الفوز كان للقومية العربية لا للـدين الاسلامي ، ان ذلك زور وبهتان فالفوزكان للدين الاسلامي الذي حمل لواءه العنصر الاسلامي الذي هو مزاج من العرب وغيرهم من بقية الشعوب التي دخلت الاسلام وسارت جميعا في ركب واحد تردد شعارا واحدا هو لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ ، وترفع علما واحدا وتأتمر بامرة قائـد واحـد ، ذلك هو بالضبط ما كانت عليه حالة الفتوحات الاسلامية ، أما ما عدا ذلك من محاولة ايجاد تفسيرات وتعليلات واهية ليس لهـا ما يؤيدها فذلك أمر واضح في أنه ليس له هدف سوى رمي

الاسلام بكل نقيصة ومحاولة تشويهه بكل ما أمكن ، وهو أمر نتج عن أحقاد صليبية لا يستطيع أحد أن ينكر أن لفيليب حتى نصيا وافرا فيها .

#### بين الدين والدولة : \_

والاستنتاج الثاني الذي يحاول فيليب حتى أن يستشفه من الفتوحات الاسلامية هو أن الغلبة في الفتوح الاسلامية هي للدولة الاسلامية كمفهوم سياسي وليس للدين الاسلامي ، فهو يقول ان الاسلام الذي فتح أراضي الشال لم يكن الدين بل كان الدولة . وهذا الكلام غير صحيح وذلك لأنه لا يوجد في الاسلام فصل بين الدين والدولة ، وانما يوجد نظام اجتاعي شامل متكامل ينظم أمور الدنيا والدين معا ، وعلى العكس من ذلك تماما عرف الغرب هذه التفرقة كرد فعل لاضطهاد الكنيسة وتدخلها في كل الأمور ، ومن ثم كفر الغربيون بكل تعاليم الكنيسة وسلطانها وأقر وا مبدأ فصل الدين عن الدولة . ان الكنيسة هذا الكاتب يحاول أن يستخدم هذا المبدأ في دراسته للتاريخ العربي والاسلامي حتى يستطيع في النهاية أن يصل الى نتيجة يريدها وهي أن الاسلام كدين بعيد كل البعد عن تحريك الفتوحات الاسلامية واذكاء جذوتها ، وأن المحرك الأساسي لها

هو النظام السياسي الذي أقامه الرسول الله ومن بعده خلفاؤه ، وجهذه النتيجة يصل الى وصف الدولة الاسلامية بالدولة الاستعمارية التي يكون طابعها دائها اكتساح مواطن الشعوب واحتلال أراضيها .

ان كلام فيليب حتى في هذا الموضوع مردود من حيث أن الأمة الاسلامية بجميع طوائفها وشعوبها لم تعرف شيئا اسمه دولة وآخر اسمه دين ، وانما عرفت نظاما يضم الاثنين على حد سواء ، والأمة الاسلامية أيضا لم تعرف الا الدولة الاسلامية والمجتمع الاسلامي الذي يتخذ من القرآن دستورا يستمد منه كل التعاليم الدينية والدنيوية ، وعلى أساس ذلك انطلقت الفتوح الاسلامية وجاب المسلمون كل بقاع المعمورة ، فالمحرك في الفتوح الاسلامية ليس أمرا سياسيا عسكريا وانما كان أمرا الهيا بايصال الدعوة الاسلامية الى كل الشعوب وتكسير جميع الحواجز التي تقف في طريقها ، ولذلك كان النصر حليفهم في معظم المواقع لأن الله معهم والايمان يعمر قلوبهم ، وعلى العكس من ذلك لو كانوا ينفذون أمرا سياسيا أو عسكريا ليس لديهم اقتناع به فقد تقع الكارثة وتحل الهزيمة ، وهذا يتضح في صراع الدولتين الفارسية والبيزنطية المؤيمة ، وهذا يتضح في صراع الدولتين الفارسية والبيزنطية

سنين طويلة دون أن يتحقق لاحداهم الغلبة على الأخرى رغم ما توفر للاثنتين من عدد وعدة ومن تنظيم سياسي محكم ، ولكن عندما ظهر الاسلام استطاع أن يكتسح الاثنتين معارغم أنه أقل منها عددا وعدة ، وذلك أمر حبر الباحثين والمفكرين اللهين ذهلوا أمام عظمة تلك الانتصارات التي حققها المسلمون وكان يغلب على الظن أن الهزيمة ستلحق بهم نتيجة لعدم التكافؤ . فها هو يا ترى السر في هذه الانتصارات وتلك الفتوحات ؟ أهو القرار السياسي المذي أصدرته الدولة الاسلامية وطبقه المسلمون ؟ أم هو القرار الذي نزل به القرآن واستقر في قلوب المسلمين وسرى في دمائهم ؟ ان الجواب واضح بكل تأكيد ولا ينكره الاكل جاحد لفضل الاسلام وتأثيره في سلوك أتباعه من أمثال فيليب حتى ومن شايعه من الذين غفلوا عن الحقائق فلم يجدوا ملجأ الاأن ينسبوا هذا الانتصار للنظام السياسي ويبعدوه عن الدين ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١) .

<sup>( 1 )</sup> الآية 32 من سورة التوبة .

## مناقشة الاتجاه الرابع الجهاد وظروف العصر

يعتمد هذا الاتجاه الذي يتزعمه المستشرق الانجليزي اندرسون على اضفاء طابع العصرية على موضوع الجهاد ، وذلك انطلاقا من الواقع المعاش الذي يرى التسليم بالأفكار العصرية والحديثة والقبول بها حتى ولو كانت خاطئة أو على حساب أفكار قديمة أكثر منها صحة ، وذلك ناتج من دراسة نفسية المسلمين وخصوصا الشباب منهم اللذين جرفهم تيار الفكر الغربي وجذبهم باضفاء طابع العصرية على كل الأفكار التي يلقي بها في نفوسهم .

إن أول ما يراه هذا المستشرق هو أن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على قاعدة تتغير الأحكام بتغير الأزمان ، وهذا التعليل غير صحيح لأن قاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان ليست \_ كها ذهب الأصوليون \_ عامة في كل الأحكام ، وإنما تدور غالبا فيا يتعارف عليه الناس من معاملاتهم اليوم دون أن يتعارض ذلك مع نص صريح أو ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، أما قضية الجهاد فليست من قبيل الأحكام التي بالضرورة ، أما قضية الجهاد فليست من قبيل الأحكام التي

تخضع للعرف أو لظروف العصر ، إنه ماض الى يوم القيامة ، فقد شرع في بادىء الأمر لرد الظلم والاعتبداء الواقع على الجماعة البشرية المؤمنة من جماعة بشرية أخرى كافرة ﴿ أَذَنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ﴾ (١) ، ثم بين الله للمسلمين أنه لا يحل لهم أن يقاتلوا أحدا الا من بدأ بمقاتلتهم والاعتداء عليم ﴿ وقاتلوا في سبيل الله المدين يقاتلونكم، ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ١٩٥٠، ثم أبيح للمسلمين أن يقاتلوا من أجل نصرة المظلومين والدفاع عن المضطهدين حتى لا تكون هناك فتنة تهدد الفرد في حريته ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (3) ، ثم كانت الفتوحات الاسلامية ـ الذي كان فرض الجهاد أساسها الأول - تبليغا للدعوة الالهية الخاتمة للشعوب ، وتكسرا للجدار الحاجز بين هذه الدعوة والشعوب ، وحماية لحرية الفرد الدينية التي حرم منها تحت حكم القياصرة والأكاسرة وسيطرة المذاهب الفاسدة الأخرى. .

هذا هو فرض الجهاد في المنظور الاسلامي فهل في ذلك

<sup>(1)</sup> الآية 39 من سورة الحج .

<sup>(2)</sup> الآية 190 من سورة البقرة .

<sup>(3)</sup> الآية 39 من سورة الأنفال.

ما يخل بروح العصركما يدعى اندرسون ، ألم تدّع المدنيات والدساتير الحديثة أنها تقدس وتصون حرية الفرد وتضمر له جميع حقوقه ، فها بال الانسان يضطهد في بقاع كشيرة من العالم ، في فلسطين ولبنان والفلبين وأمريكا وجنوب افريقيا ، أين تلك المواثيق والعهود والاعلانات التي توقع كل يوم في أروقة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الأخرى الدولية وغير الدولية ، أهمى عاجزة عن حماية هذا الانسان الذي يضطهد كل يوم ، أم أن تلك المواثيق انما جعلت لمجرد الدعاية والتضليل وذر الرماد في العيون فقط . إن الاسلام لا يعـرف التضليل والمخادعة وحين فرض الجهاد ربطه بأسباب ودواع يمكن أن تحدث في كل زمان ومكان ، وها هي الأسباب التي شرع الجهاد من أجلها تتوفر اليوم في الكثير من بقاع العالم ، تتوفر في فلسطين حيث حرم هذا الشعب من العيش فوق أرضه وطرد من بلاده ودياره وسلبت خيراته ، وتتوفر في الفلبين حيث الاضطهاد الصليبي الذي يسلب من الفلبيني حرية المعتقد ، فالمسلمون يموتون هناك بالآلاف نتيجة الابادة الجماعية التمي تقوم بها حكومة ماركوس ، وتتوفر في الولايات المتحدة حيث يحرم الانسان من كل مقومات العيش ويطارد من مكان الي آخر لا لشيء إلا لأنه هندي أحمر صاحب الأرض الأصلي ، ويحرم

الزنجي أيضا من كثير من الامتيازات والحقوق لا لشيء الا لأنه أسود ، ومثل ذلك الحال في جنوب افريقيا حيث يضطهد الافريقيون أصحاب الأرض الأصليون ، وتسلب خيراتهم من قبل حفنة من البيض ليس لها حق في تملك الأرض او التمتع بها .

ها هي شروط الجهاد تتوفر في الكثير من الأماكن ، وها هو الظلم قد أحاط بالانسان من كل جانب ، والاسلام ينادي برفع الظلم ورد الاعتداء فهل ذلك لا يتفق مع روح العصر ، وها هي الحرية قد انتزعت والكرامة قد انتهكت والاسلام يدعو لحرية الفرد وكرامته ، ويوجب الجهاد مع أجلها فهل في ذلك ما يناقض روح العصر ، وها هي المساواة قد انعدمت بين الأفراد واستحل التمييز العنصري والمذهبي والطائفي والعرقي ، والاسلام يدعو الى المساواة والاخاء والعدالة بين والعرض ، والاسلام يدعو الى المساواة والاخاء والعدالة بين فرض هذا المبدأ فهل في ذلك ما يخل بروح العصر ، كلا إن دواء الانسانية اليوم هو الجهاد ، ووسيلة الأفراد لنيل حقوقهم هو الجهاد ، ووسيلة الأفراد لنيل حقوقهم هو الجهاد ، ذلك أنه أمر شرعه الباري عز وجل وهو خالق البشر وهو الخبير بأمراضهم وعلاجها .

إن محاولة اندرسون اضفاء طابع العصرية على مفهوم الجهاد واتخاذ ذلك وسيلة لالغاء فرضيته أمر لا يوجد له ما يبرره ، بل على العكس كان اضفاء طابع العصرية على الجهاد أمر يثبت هذا الفرض ويدعمه ويجدد الدعوة الى الرجوع الى هذا الفرض ابراء للبشرية من سقامها واثباتا لحق الفرد في الحياة الحرة الكريمة ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير بمن خلقنا تفضيلا ﴾ (1)

هذا في ما يتعلق بالجانب الأول من كلام اندرسون ، أما الجانب الثاني وهو أن الجهاد وسيلة لحمل الناس على الاسلام ، وأوضاع الحرية ورقي العقول لا تقبل فكرة تفرض بالقوة ، فذلك أمر سبق الرد عليه وسبق تناوله بالبحث والمناقشة ولا حاجة لاعادته ، ذلك أنه يدخل تحت الاتجاه الأول الذي يرى بأن الاسلام فرض بالسيف .

الجهاد وميثاق الأمم المتحدة : \_

أما الجانب الثالث وهو التناقض بين ميثاق الأمم المتحدة

<sup>(1)</sup> الآية 70 من سورة الاسراء

والجهاد فهو كلام مردود من عدة وجوه : ـ

أولاً: إن الجهاد تشريع الهي فرضه الله تعالى ، وميشاق الأمم المتحدة تشريع بشري وضعته عقول بشرية قاصرة ، وشتان بين تشريع الخالق والمخلوق ، فالخالق يشرع وهو خبير بأحوال المخلوقين عارف بخبايا نفوسهم ، أما المخلوق فانه يشرع وفي نفسه تأثيرات متعددة تجعل خروج التشريع بدرجة الكهال أمرا مستحيلا .

ثانيا: إن ميثاق الأمم المتحدة جاء كرد فعل للحروب الواقعة في تلك الفترة ، وحاول أن يضع أسسا لاقرار السلام اللدولي تمهيدا لاطفاء نار الحرب ، ولا شك أن موقف الاسلام من الحروب واضح وقد سبقت الاشارة اليه ، فهو يحرم الحرب التي تقوم من أجل استعار الشعوب وسلب خيراتها ، وهو يحرم أيضا الحرب التي تقوم على اختلاف سياسي أو مذهبي أو عرقي ، ويقر فقط الحرب من أجل رد الاعتداء واقرار الحرية والمساواة وضها ن كرامة الشعوب وهوما يمكن أن أقول ان الميثاق قد عبر عنه في الديباجة وفي الفقرة 1 من المادة 1 حين قال : قد عبر عنه في الديباجة وفي الفقرة 1 من المادة 1 حين قال :

تستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة ) (١) ، وبذلك أقول ان الميثاق لم يأت بجديد ، وأن الاسلام قد سبقه في تقرير هذا المبدأ السامي .

ثالثا: لقد ورد في الديباجة الاشارة الى أن الجميع يجب أن يعملوا على اقرار مبدأ السلام والتعايش السلمي ، وورد ذلك أيضا في الفقرة 1. 2 من المادة 1 ، والفقرة 3. 4 ، من المادة الثانية (2) ، وهذا المبدأ سبق الاسلام في تقريره بل العمل به حيث يقول القرآن الكريم : ﴿ يا أيها اللين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ (4) ﴿ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم في جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ (5) . وهكذا فانه لا يوجد تعارض بين أحكام الاسلام في الحرب وبين ميثاق الأمم المتحدة وانحا توجد أسبقية الاسلام في تقرير ذلك

<sup>. (1)</sup> نقلا عن/ النطام الدولي والسلام العالمي ـ اينيس كلود ـ تر . د. عبد الله العريان دار النهصة العربية ـ القاهرة ـ 1964 م ـ الملحق الخاص بميثاق الأمم المتحدة ص 654.

<sup>( 2 )</sup> نفس المصدر السابق .

<sup>( 3 )</sup> الآية 208 من سورة البقرة .

 <sup>(4)</sup> الآية 61 من سورة الأنعال .

<sup>( 5 )</sup> الآية 90 من سورة النساء .

والأسبقية تقتضي التفضيل قطعا ، فضلا عن أن المبادىء الاسلامية لها قداستها واحترامها ، على حين أن المبادىء البشرية لا تلقى الاحترام الا بمقدار ما يعود على الناس من الزامهم بها من فوائد ومنافع ، ولذلك تنتهك هذه القوانين كل يوم ولا تنفع القرارات في منع هذا الانتهاك .

رابعا: إن الاسلام حين وضع أحكام الجهاد وما يتعلق به من أمور الحرب والسلم قام أيضا بتطبيق تلك الأحكام وتنفيذها على أرض الواقع ، وقد سجلت المصادر التاريخية أروع الحوادث عن محافظة الاسلام على السلم ودوره في حقن الدماء والمحافظة على النفس البشرية ، أما الأمم المتحدة فقد وضعت الميثاق ولم تضع ما يضمن تطبيقه واستمراريته ، وها نحن اليوم نرى السلام الدولي مهددا في أجزاء كثيرة من العالم ، حيث الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ، والعبث الأمريكي بمقدرات الشعوب واللعب بمصيرها ، والتدخل الأجنبي في كثير من الأقطار ، كل ذلك يجري دون أن يحرك ميثاق الأمم المتحدة وواضعوه والموقعون عليه ساكنا ، أو يعملون أي شيء يكن أن يحفظ السلام الدولي أو أن يكف يعملون أي شيء يكن أن يحفظ السلام الدولي أو أن يكف الدول الكبرى عن بطشها ، ولذلك أقول انه لا مجال للمقارنة الدول الكبرى عن بطشها ، ولذلك أقول انه لا مجال للمقارنة

بين أحكام الاسلام في الجهاد وبين ميثاق الأمم المتحدة ، ذلك أن الميشاق عبارة عن حبر على ورق ووسيلة للضغط على الشعوب الصغيرة التي تحاول أن تقف أمام طغيان الدول الكبرى ، وذلك بالطبع شيء لم يعرفه الاسلام فلم تكن فيه قوة كبرى ولا قوة صغرى ، وإنما وجدت فيه أمة واحدة ذات نظام وحضارة خالدة استطاعات أن تتكيف مع مختلف الحضارات ، وأن تعيش معها على أساس احترام حرية الفرد وكرامته وضان حقوقه .

وبناء على ما تقدم أقول: إن الجهاد لا يتعارض مع الأحكام النظرية الجيدة في الميثاق، وإنما يتعارض الجهاد مع الثغرات التي وجدت في الميثاق وحدثت بعد توقيع الميشاق، وهي الثغرات التي كانت سببا في اهانة الانسان وسلبه لحقوقه وحريته، وكانت سببا في تقسيم العالم الى دول كبرى ودول صغرى وعالم ثالث وغير ذلك، فكل ذلك لا يقره الاسلام ولا يقيم له وزنا ويفرض الجهاد من أجل منع ذلك.

الجهاد واعلان حقوق الانسان : ـ

ومثل ما قيل عن الجهاد وميثاق الأمم المتحدة يمكن أن يقال عن الجهاد واعلان حقوق الانسان ، ذلك أن الميشاق

والاعلان ينبعان من منبع واحمد ، ويتساويان في الهمدف والنتيجة . إلا أنه عند الحديث عن اعلان حقرل الانسان يجب ملاحظة الآتي :

أولا: إن التناقض واضح في الاعلان منذ البداية ، فبينا تعترف المادة الأولى بأن جميع الناس يولدون أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق ، وكلهم قد وهب الرشد والضمير وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء (١) ، بينا تقول المادة الأولى ذلك نرى في الديباجة التي تسبقها اعتدافا واضحا بالعبودية والاستعار واحتسلال الأراضي وحكم الآخرين بالقوة ، حيث ورد في الديباجة أن على جميع الأعضاء العمل على صيانة هذه الحقوق والحريات : ( والمحافظة عليها عافظة فعالة سواء بين شعوب الدول الأعضاء نفسها أو بين شعوب البلاد الواقعة تحت حكمها ) (١) وفي هذا التناقض شعوب البلاد الواقعة تحت حكمها ) (١) وفي هذا التناقض الواضح والاعتراف بالعبودية والاستعار للبشر والأرض أقول اني أوافق المستشرق اندرسون في أن الجهاد يتناقض مع اعلان

<sup>(1)</sup> قصة الأمم المتحدة ـ ليونارد . س . كنــوورذي ـ تر . محمــد اسراهيم زكي ـ مؤسسة سحل العرب ـ 1964 م ـ الملحق رقم 3 الحاص باعلان حقوق الانسان ـ ص 220 . حقوق الانسان ـ ص 220 . (2) نفس المصدر السابق .

حقوق الانسان حيث ان الجهاد فرض وشرع من أجل ضهان حرية الانسان وليس من أجل استعباده .

ثانيا: تقرر المادة الأولى أن جميع الناس يولدون أحرارا وهو أمر فطري طبيعي اعترفت به جميع الأمم والأديان ، وقد نقل عن ( أوليان ) الروماني قوله : ( لا يجوز في القانون لن الطبيعي أن يولد الناس الا أحرارا ، وإنه باسم هذا القانون لن يكون لنا الا اسم واحد هو الأناس ، إن العبيد وان عدوا موجودين في نظر القانون \_ الروماني \_ ليسوا موجودين في نظر القانون \_ الروماني \_ ليسوا موجودين في نظر وحين جاء الاسلام أكد هذا المبدأ في كثير من المناسبات لعل أشهرها قول عمر رضي الله عنه : ( متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ) (2) ، وبناء على ذلك لم يأت الاعلان بجديد وليس في تشريع الجهاد ما يناقض هذا المبدأ .

ثالثها: حين استعراض بقية مواد الاعلان نجد أن الحقول التي استهدفها الاعلان قد أقرها الاسلام قبل ذلك

<sup>(1)</sup> الاسلام وحقوق الاسان \_ زكريا البري \_ مجلة عالم الفكر \_ عدد مارس 1971 م.

<sup>(2)</sup> أخبار عمر \_على الطنطاوي/ باجمي الطبطاوي \_ط1 \_ دار الفكر \_ دمشق \_ 1959 م \_ص 182 وما بعدها .

 <sup>( 1 )</sup> الآية 256 من سورة البقرة .

<sup>(2)</sup> الآية 46 من سورة الحح .

<sup>(3)</sup> الآية 46 من سورة فصلت .

<sup>( 4 )</sup> الآية 232 من سورة البقرة .

<sup>( 5 )</sup> الآية 13 من سورة الحجرات .

<sup>( 6 )</sup> رواه الترمذي في كتاب البر .

بالحق ﴾ (١) وكفل الاسلام أيضا للانسان حرية الاشتراك في تسيير شئون بلاده ﴿ وأمرهـم شورى بينهـم ﴾ (2) وكفـل له أيضًا حرية التعبير والنقد ، وفي ذلك يقول أبو بكر رضي الله عنه بعد أن تمت مبايعته : ( أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخبركم . فان رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيته فلا طاعة لي عليكم) (3) ، وفوق كل ذلك أمر الاسلام بالعدل بين الناس في جميع الأمور المتعلقة بحياتهم ﴿ إِنَّ اللَّهُ يَأْمُورُ بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (4) . لقــد كفــل الاسلام للانسان كل هذه الحقوق واعترف بكل هذه الأشياء، وحين شرع الجهاد لم يكن فيه ما يعارض هذه الحقوق بل كان فيه الوسيلة التي تحققها وتثبتها وتدافع عنها ، واذا ثبت ذلك فليس هناك تعارض بين الجهاد واعلان حقوق الانسان على الأطلاق.

<sup>(1)</sup> الآية 33 من سورة الاسراء.

<sup>( 2 )</sup> الآية 38 من سورة الشورى .

<sup>( 3 )</sup> الكامل - ابن الأثير -ج 2 - ص 224

<sup>( 4 )</sup> الآية 90 من سورة النحل .

رابعا: الشيء الوحيد الذي يمكن أن يرد منه الاتهام على الاسلام في هذا الموضوع هو ما ورد في المادة الرابعة من أنه لا يجوز استعبادأي انسان أو استرقاقه فالرق والاتجار بالعبيد عرمان في كافة أشكالهما ، فالبعض يتهم الاسلام بأنه أباح الـرق ، والبعض الآخر يرى أن الجهاد كان سببا في وجود رقيق الحرب ، والحقيقة التي يمكن أن تقال في هذا الموضوع هو أنه لا توجد آية واحدة في القرآن تبيح الرق والاستعباد ، وليس من الصحيح أن ينسب نظام الرق للاسلام ، فالرق نظام وجد قبل الاسلام ، وعرفته الأمم قبل ظهور الاسلام بكشير ، وحين ظهر الاسلام فتح أمام العبيد جميع أبواب الحرية وأدخل عتق الرقبة وتحرير العبد في كثير من المناسـك والقـرب ، وجعلهــا تطهيرا للكثير من الأخطاء والآثام ، فقد جعل عتق الرقبـة في كفارة اليمين : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مستاكين من أوسط منا تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة كه (١) وجعلها في كفارة الظهار ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ (2) وجعلها في كفارة

<sup>(1)</sup> الآية 89 من سورة المائدة .

<sup>(2)</sup> الآية 3 من سورة المجادلة .

ted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القتل ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ) (1) وجعلها كفارة للفطر بالجماع في رمضان -، فقد روى أبو هريرة أن رجلا أتى النبي على فقال : ( هلكت يا رسول الله ، قال : ما شأنك ؟ قال : وقعت على امرأتي في رمضان ، قال : فهل تجد رقبة تعتقها ، قال : لا ... الخ )(2) ، وجعل عتق الرقبة وجها من الوجوه التي تصرف فيها الزكاة : ﴿ إنما المصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلو بهم و في الرقاب والغارمين و في سبيل الله وابن السبيل ﴾ (3) وجعل تحرير العبد قربة من القرب التي بها يصل الانسان الى ربه ﴿ فلا اقتحم قربة من القرب التي بها يصل الانسان الى ربه ﴿ فلا اقتحم ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين و في الرقاب ﴾ (5) ، ويقول الرسول على : ( من اعتق رقبة الرقاب ﴾ (6) ، ويقول الرسول على الله على حبه مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار ) (6) . وهكذا لم يترك الاسلام منفذا الا وفتحه أمام العبيد للحرية ، ولم

(1) الآية 92 من سورة النساء .

<sup>(2)</sup> إرواه البخاري في أبواب/ الصيام/ الهمة/ النفقات/ الكفارات.

<sup>(3)</sup> الآية 60 من سورة التونة .

<sup>(4)</sup> الآية 13 من سورة البلد .

<sup>( 5 )</sup> الآية 177 من سورة البقرة .

<sup>( 6 )</sup> رواه البخاري في كتاب الكفارات .

يترك وسيلة لانهاء الرقيق الاحث عليها وأوجبها ، فكيف بعد ذلك يمكن القول إن الاسلام دين الرقيق ، أو كيف يمكن أن يقال ان الجهاد قد كان الوسيلة للرقيق والحال أنه نظام عرف قبل الجهاد وقبل الاسلام أيضا (أ) .

<sup>(1)</sup> الاسلام وحقوق الآنسان ـ زكريا البري ـ مجلة عالم الفكر .

### شهادات المنصفين

في نهاية هذا الفصل الذي استعرضت فيه اتجاهات المستشرقين بوجه عام من انتشار الاسلام مع نقدها ، أرى أنه لا بأس من أن أثبت بعض آراء المنصفين من هؤلاء المستشرقين ، فضلا عها أوردت منها سابقا ، وكل هذه الآراء المنصفة لا تعنينا كمسلمين يؤمنون بدينهم ، ولا يخالطهم ريب في صدق مبادئه وعدالة تعاليمه ، وإنما الغاية من ايراد هذه الآراء هو الرد على المستشرقين من أقوال بعضهم ، ولعل في ذلك ما يصحح مفهم بعض المسلمين الذي تأشروا بالمستشرقين ، ورددوا مزاعمهم دون فهم أو ادراك واع لأهدافها .

يقدروا عليها) (١) . ويقول ( جيمس متشنر ) : ( اعتقد الغرب أن توسع الاسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون الى السيف ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأى . فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة والدليل قوى على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان ما دام أهلها يحسنون المعاملة ويدفعون الجزية ) (2) . وتقول المستشرقة ( لورافيشيا فاغليري ) : ( إن أحدا لا يستطيع اليوم أن يزعم أن سيف الفاتح هو الذي يمهد السبيل أمام الاسلام \_على العكس \_ ففي الأصقاع التي كانت في يوم من الأيام دولا اسلامية تولت مقاليد السلطة حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى ، وعملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظات تبشرية قوية ، ومع ذلك فان هذه الحكومات وتلك المنظمات لم توفيق الى زحزحة الاسلام واقصائه عن حياة الشعوب الاسلامية ) (3). ويقــول ( جوستــاف لوبــون ) : ( لــم ينتشر القــرآن بالسيف . . . . . . بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعبوب ) (4) . ويقول أيضا : ( سمرى

<sup>(1)</sup> المستشرقون والاسلام ـ زكريا هاشم ـ ص 43, 44.

<sup>(2)</sup> نفس المصدر السابق ـ ص 50.

<sup>( 3 )</sup> دفاع عن الاسلام ـ لورافيشيا فاغاري ـ ص 40.

<sup>(4)</sup> حضارة العرب \_ جوستاف لوبون \_ تر . عادل زعيتر \_ مطبعة عبسى البابي الحلمي \_ القاهرة \_ ص 8.

القارىء حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارا في أديانهم  $0^{(1)}$ .

ويقول ( الكونت هنري دي كاسترو ) : ( فلم يكوه أحد عليه بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب )(2) .

وبعد ، فهذه بعض آراء المنصفين من المستشرقين أوردتها دون تعليق عليها لأنها غنية عن التعليق ، وأطمع أن أكون فيا قدمت في هذا الفصل قد كشفت النقاب عن اتجاهات المستشرقين من الاسلام من حيث انتشاره وايمان الناس به ، وأكرر ما ذكرته في المقدمة من أن الموضوع واسع جدا ، والآراء فيه لا حصر لها ، وإنما حاولت جمع ما استطعت من الآراء ، ولعلها تحقق الغاية في رسم الاطار العام لموقف المستشرقين من ظاهرة انتشار الاسلام .

<sup>(1)</sup> نفس المصدر السابق . ص 145

<sup>(2)</sup> الاسلام في قفص الاتهام ـ شوقي أبو خليل ـ ص 126



# خساتمة

وبعد ، فما هي أهم نتائج هذه الدراسة وما المقترحات التي ترشد اليها . ان النتائج التي يمكن استنباطها هي :

أولاً: يختلف الاسلام عن غيره من الأديان التي خلت قبله بعمومه وأنه خاتم الرسالات الالهية .

ثانياً: تعد المعجزة القرآنية الخالدة ، وتعاليم الكتاب العزيز التي تواثم الفطرة الانسانية من أهم دلائل صلاحية الاسلام الدائمة للتطبيق .

ثالثاً: كان الايمان بعالمية الدعوة هو الحافز الأول لخروج العرب من شبه الجزيرة للتبليغ والانذار دون أن يكرهوا أحدا على الدخول في الاسلام لأنه لا اكراه في الدين .

رابعاً: نشأ الاستشراق في رعاية الكنيسة ، وخضع لسياسة علمية مدروسة غايتها غزو المسلمين فكريا ، واخضاعهم لقوى البغي والاستعار .

خامساً : كان انتشار الاسلام السريع في فترة زمنية

وجيزة مرده الى وضوح مبادئه ، وأخـلاق دعاتـه ، وظـروف العالـم السياسية والإجتماعية والفكرية .

سادساً: تعددت اتجاهات المستشرقين في تعليل ظاهرة انتشار الاسلام ، ولكن يجمع بينها كلها أنها لا تقوم على الموضوعية ، وتحاول تلمس الشبهات للتشويه والتزييف .

سابعاً: إن ما يذهب اليه عامة المستشرقين من أخذهم بالمناهج العلمية في دراسة الاسلام وانتشاره وحضارته غير مسلم ، ويدحضه تلك الآراء المبثوثة في دراساتهم عن الاسلام والمسلمين .

ثامناً: لقد اعترف بعض المستشرقين بالحق في انتشار الاسلام وإن لم يؤمنوا بهذا الدين ، وهو اعتراف يزيد من دفع تلك الاتجاهات المنحرفة في فهم الاسلام وتاريخه .

أما ما يمكن أن ترشد اليه هذه الدراسة من اقتراحـات فهي تتلخص في الآتي :

إ\_ ضرورة اغناء مكتباتنا بالأبحاث والمقالات التي تصدر في
 معظم بقاع العالم عن الاسلام والمسلمين .

2 - من المستحسن توجيه الدراسات العليا في قسم الدراسات

- 3 ـ ضرورة تعريف طلابنا عن طريق مناهجهم التعليمية عن
   فكرة الغربيين عنهم وعن دينهم وعن تراثهم
   وحضارتهم
- 4 \_ أرى أن تتبنى جامعة الفاتح طرح فكرة انشاء دائرة معارف اسلامية ، يكتبها كتاب مسلمون ومن جميع الأقطار الاسلامية المختلفة ، حتى تعطي صورة حية للاسلام تمحو تلك الصورة المشوهة التي عرضتها دائرة المعارف الاسلامية التي كتبها المستشرقون .

ولا يسعني في ختام هذه الدراسة الا أن أكرر ما أسلفت الاشارة اليه وهو أن الموضوع واسع الأرجاء ، كشير الآراء ، وقد بذلت ما استطعت ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ولا أعتقد أن عملا بشريا يخلومن هنات ، ولعلها تكون معدودة ، ويشفع لي أنها أول محاولة في مجال البحث العلمي وأطمع أن تكون البداية موفقة ومن سار على الدرب وصل .

#### والحمد لله أولا وأخيرا



# أولا: الكتب العربية

الق رآزال كريمٌ

- 1 ـ آثار الحرب في الفقه الاسلامي ـ وهبة الزحيلي ـ ط 3 ـ دار الفكر ـ سروت ـ 1981.
- م أجنحة المكر الثلاثة \_ عبد الرحمن حسن الميداني \_ ط 1 \_ دار القلم \_
   دمشق ، بيروت \_ 1975 م .
- 3 أوربا والاسلام عبد الحليم محمود مطابع الأهرام التجارية القاهرة .
- 4 \_ الأحكّام السلطانية \_ الماوردي \_ ط 2 \_ مطبعة مصطفى البابي الحلبي \_ القاهرة \_ , 1966 م .
- 5 ـ أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ـ عبد الكريم زيدان ـ ط
   ٢ ـ جامعة بغداد ـ 1976م .
- 6 أطلس التاريخ الاسلامي هاري هازارد تر . إبراهيم زكي خورشيد مكتبة النهضة القاهرة .
  - 7 \_ الأم \_ الشافعي \_ دار المعرفة \_ بيروت \_ 1973 م .
- 8 امبراطورية العرب جان باجوت جلوب تر. خيري هماد دار
   الكتاب العربي بيروت 1966 م .
- و \_ الأموال \_ ابن سلام \_ تحق . محمد خليل هراس \_ دار الفكر ومكتبة
   الكليات الأزهرية \_ القاهرة \_ 1975 م .
  - 10 \_ أعلام الموقعين \_ ابن القيم \_ دار الجبل \_ بيروت \_ 1973 م .
  - 11 \_ الأعلام \_ خير الدين الزركلي \_ ط٣ \_ بيروت \_ ـ 1969 م .

- 12 ـ إنسـانية الاســلام ـ مارسيل بوازار ـ تر. عفيف دمشــقية ـ دار الآداب ـ بعروت ـ 1980 م .
- 13 \_ إنتاج المستشرقين \_ مالك بن نبي \_ مكتبـة عمار \_ القاهــرة \_ 1970 م .
- 14 \_ انتشار الاسلام والدعوة الاسلامية \_ سامي محمود \_ المكتبة العصرية \_ بروت .
- 15 \_ انتشار الاسلام في القارة الافريقية \_ حسن إبراهيم \_ ط 2 \_ مكتبة النهضة المصرية \_ القاهرة \_ 1963 م .
- 16 ـ أساليب الغزو الفكري للاسلام ـ علي جريشة وآخر ـ ط ١ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ 1977م .
- 17 ـ أسباب نزول القرآن ـ أبو الخسن الواحدي ـ تحق . السيد صقر ـ دار الكتاب الجديد ـ لجنة إحياء التراث الاسلامي ـ 1969م .
- 18 ـ الاسلام \_ أحمد شلبي \_ ط ٥ \_ مكتبة النهضة المصرية \_ القاهرة \_
   1977 لم .
- 19 \_ الاسلام دعوة عالمية \_ عباس محمود العقاد \_ ط 1 ـ دار الكتاب اللبناني \_ بيروت \_ 1974 م .
- 20 ـ الاسلام وأهل الذمة \_ علي الخربوطلي \_ المجلس الأعلى للشئون
   الاسلامية \_ القاهرة \_ 1969 م .
- 21 ـ الاسلام وحركة التاريخ ـ أنـور الجنـدي ـ مطبعـة الرسالــة ـ القاهرة ـ. 1968 م .
- 22 ـ الاسلام والحضارة الانسانية \_ عباس محمود العقاد \_ دار الكتباب اللبناني \_ بيروت \_ 1974 م .
- 23 ـ الاسلام والحضارة العربية ـ محمد كردعلي .. ط 3 ـ مطبعة لجنة
   التأليف والترجمة والنشر .. القاهرة .

- 24 ـ الاسلام والحضارة الغربية ـ محمد محمد حسين ـ ط 1 ـ دار
   الارشاد ـ بعروت ـ 1969 م .
- 25 \_ الاسلام نظام إنساني \_ مصطفى الرافعي \_ ط 2 \_ مكتبة الحياة \_ بروت .
- 26 \_ الاسلام في وجمة التغريب \_ أنور الجندي \_ دار الاعتصام \_ القاهرة .
- 27 \_ الاسلام في عطمته الأولى \_ موريس لومبار. تر.يس الحافظ ـ دار الطليعة \_ بيروت \_ 1977 م .
- 28 \_ الاسلام في قفص الاتهام \_ شوقي أبو خليل \_ ط ٣ \_ دار الفكر ـ ً دمشق \_ 1977 .
- 29 \_ الاسلام في الشرق الأقصى \_ قيصر أديب محسول \_ تر. نبيل صبحى .
- 30 ـ الاسلام ضرورة عالمية ـ زاهـ رعزب الزغبــي ـ الهيشــة المصرية للتأليف ـ القاهرة ـ 1971 م .
- 31 .. الاسلام والثقافة الغربية \_ أنبور الجنبدي \_ مطبعة الرسالية \_ القاهرة .
- 32 \_ أسلوب الدعوة في القرآن \_ محمد حسين فضل الله \_ ط 2 \_ دار الزهراء \_ ببروت \_ 1972 م .
- 33 \_ الاستشراق والمستشرقون \_ مصطعى السباعي \_ ط 2 \_ المكتب الاسلامي \_ بيروت \_ 1979 م .
- 34 اخبار عمر \_ الطنطاويين \_ط 1 \_ دار الفكر \_ دمشق \_ 1959 م .
- 35 \_ آيات الجهاد في القرآن الكريم \_كامل سلامة الدقس \_دار البيان \_ الكويت \_ 1972 م .

- 36 بداية المجتهد ابسن رشد ط 3 مطبعة مصطفى الحلبي -القاهرة - 1960 م .
- 37 ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ الفيروزابادي ـ تحق. محمد النحار ـ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ـ 1387 هـ .
- 38 ـ الجامع لأحكام القرآن \_ أبو عبد الله القرطبي \_ دار الكاتب العربي \_ القاهرة \_ 1967 م .
- 39 الجهاد أحمد الحموقي المجلس الأعلى للششون الاسسلامية -القاهرة - 1970 م .
  - 40 ـ جواهر الاكليل \_ الجزيري \_ ط دار الفكر \_ بيروت .
- 41 داثرة معارف القرن العشرين ـ محمـد فريد وجـدي ـ ط 3 ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ 1971 م .
- 42 ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ الشنتناوي وآخرون ـ انتشسارات جهان ـ تبران .
- 43 مالدعوة الى الاسلام .. توماس ارنولد .. تر. حسن ابراهيم وآخر .. ط
   3 مكتبة النهضة المصرية .. القاهرة .. 1970 م .
- 44 ـ دفاع عن الاسلام ـ لورافيشيا فاغليري ـ تر. منير البعلبكي ـ ط 2 ـ دار العلم للملايين ـ ببروت \_ 1963 م .
- 45 ـ الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية ـ رودي بارث ـ تر. مصطفى ماهر ـ القاهرة .
- 46 ـ دراسات في حضارة الاسلام ـ هاملتون حب ـ تر . إحسان عباس وآخرون ـ ط 2 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1974 م .
- 47 دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام \_ السيد عبد العزيز سالم \_ مؤسسة شباب الجامعة \_ الاسكندرية .

- 48 ـ الوحدة الاسلامية ـ محمد أبو زهرة ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ 1971 م .
- 49 ـ حياة محمد ورسالته ـ مولانا محمد علي ـ تو. منير البعلبكي ـ ط 3 ـ دار العلم للملايين ـ بعروت ـ 1976 م
- 50 ـ الحرب والسلام في شرعة الاسلام ـ مجيد خدوري ـ الدار المتحدة للمشم ـ ببروت ـ 1973 م
- 51 حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي دار المعرفة -بروت .
- 52 ـ حضارة العرب \_ جوستاف لوبوں \_ تر . عادل زعيتر \_ مطبعة عيسى البابى الحلبى \_ القاهرة .
- 53 ـ الحريات العامة ـ عبد الحكيم العيلي ـ دار الفكر العربــي ـ بيروت ـ 1974 م .
  - 54 \_ الطبقات الكبرى \_ ابن سعد \_ دار صادر \_ بيروت .
- 55 ـ الكامل ـ ابسن الأئسير ـ دار صادر ودار بسيروت ـ بسيروت ـ ـ بسيروت ـ 1965 م .
- 56 ـ لمحات في الثقافة الاسلامية ـ عمر عودة الخطيب ـ ط 2 ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 1977 م .
- 57 \_ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين \_ أبو الحسن الندوي \_ ط 5 \_ مكتبة دار العروبة \_ القاهرة \_ 1964 م .
  - 58 \_ مواهب الجليل \_ الحطاب \_ دار الفكر \_ بيروت .
- 59 \_ موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية \_ أحمد شلبي \_ ط 7 \_ مكتبة النهضة المصرية \_ القاهرة \_ 1977 م .
- 60 \_ من روائع حضارتنا \_ مصطفى السباعي ـ ط 2 \_ المكتب الاسلامي \_ دمشق \_ 1977 م .

- 61 ـ المنتقى من دراسات المستشرقين ـ صلاح الدين المنجد ـ ط 2 ـ دار الكتاب الجديد ـ ببروت ـ 1976 م .
- 62 ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ـ مجموعة من المستشرقين ـ مطابع بريل ـ ليدن ـ 1965 م .
- 63 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي دار مطابع الشعب القاهرة .
- 64 معالم الشريعة الاسسلامية صبحي الصالح دار العلم للملاين بيروت 1975 م .
- 65 ـ المسلمون في العالم اليوم ـ عبد الرحمن زكي ـ مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ـ 1960 م .
- 66 مسند الامام أحمد أحمد بن حنبل ط دار صادر والمكتب الاسلامي بيروت .
- 67 ـ المستشرقون ـ نجيب العقيقي ـ ط 3 ـ دار المعـارف ـ القاهـرة ـ 1946 م .
- 68 ـ المستشرقون والاسلام ـ عرفان عبىد الحميد ـ مطبعة الارشـاد ـ بهداد ـ 1979 م .
- 69 ـ المستشرقون والاسلام ـ زكريا هاشم ـ المحلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ـ 1965 م .
- 70 ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامي ـ علي حسني الخربوطلي ـ سلسلة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ عدد 111 ـ مطابع الأهـرام التجارية ـ القاهرة ـ 1970 م .
- 71 ـ المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ـ محمـد صالـح البنــداق ـ دار الآفاق الجديد ـ بيروت ـ 1980 م .
  - 72 المغنى ابن قدامة ـ مكتبة الجمهورية العربية ـ القاهرة .

- 73 \_ النهاية \_ الطوسي \_ دار الكتاب اللبناني \_ بيروت .
- نيل الأوطار الشوكاني مطبعة مصطفى البابسي الحلبسي القاهرة .
- 75 \_ النظام الدولي والسلام العالمي \_ اينيس كلود \_ تر. عبد الله العربية \_ العربية \_ 1964 م .
- 76 ـ نظام الاسلام ـ وهبة الـزحيلي ـ ط2 ـ منشـورات قاريونس ـ بنغازي ـ ليبيا ـ 1978 م .
- 77 \_ نظرات استشراقية في الاسلام ، محمد غلاب \_ دار الكاتسب العربي \_ القاهرة .
- 78 \_ صحيح مسلم \_ الامام مسلم \_ ط 1 \_ دار إحياء الكتب العربية \_ القاهرة \_ 1955 م .
- 79 ـ العقد الفريد ـ إبن عبد ربه ـ تحقيق. أحمد أمين وآخرون ـ ط 3 ـ لحنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ 1965 م .
- 80 ـ العقيدة والشريعة في الاسلام ـ أجناس جولد زيهـر ـ تر . محمـد موسى وآخرون ـ دار الكاتب المصري ـ القاهرة ـ 1946 م .
- 81 العرب إدوار عطية تر . محمد قنديل الشركة العربية للطباعة - القاهرة - 1961 .
- 82 \_ العرب وظهور الاسلام \_ محمد النجار \_ الجامعة الاسلامية \_ البيضاء لبيها .
- 83 فجر الاسلام أحمد أمين ط 9 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1946 .
- 84 \_ في الثقافة الاسلامية \_ محمد الدسوقي \_ ط 2 \_ منشورات جامعة الفاتح \_ طرابلس ليبيا \_ 1977 م .
- 85 \_ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعار الغربي محمد البهي \_ ط 6\_ دار الفكر بيروت 1973 م .

- 86 \_ فقه السنة \_ السيد سابق \_ ط 1 \_ دار الفكر \_ سيروت \_ 1977 م .
- 87 ـ فتوح البلدان ـ البلاذري ـ تحق . صلاح الدين المنجد ـ مكتمة النهصة المصرية ـ القاهرة .
- 88 ـ فتوح مصر وأخبارها ـ أبو القاسم بن عبد الحكم ـ نحق . عبد المنعم عامر ـ لجنة البيان العربي ـ القاهرة .
- 89 ـ فتح الباري ـ العسقلاىي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ 1959 م .
- 90 \_ قاموس المورد \_ منير البعلبكي \_ ط 13 \_ دار العلـم للمـلايين \_ 90 \_ 1979 م .
- 91 ـ القاموس المحيط ـ الفيروزابادي ـ ط 2 ـ مطبعة مصطفى البابـي الحلبي ـ القاهرة ـ 1952 م .
- 92 ـ قصة الأمم المتحدة \_ ليونارد. س. كنوورذى \_ تر . محمد ابراهيم زكى \_ مؤسسة سجل العرب \_ 1964 م .
- 93 ـ روح الاسلام ـ سيد أمير علي ـ تر . أمــين الشريف ـ مكتبــة الآداب ـ القاهرة ـ 1961 م .
- 94 ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ تحق . مصطفى السقا وآخرون ـ ط 2 ـ مطبعــة مصطفــى البابــي الحلبــي ـ القاهـــرة ـ 1955 م
- 95- السلام العللي والاسلام سيد قطب ط 3 مكتبة وهبة القاهرة .
- 96 ـ السلام رسالة السهاء ـ محمود النبوي الشال ـ دار الفكر العربي 1978
- 97 ـ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي \_مصطفى السباعي \_ط2 \_ المكتب الاسلامي \_ بيروت \_ 1976 م .

- 98 ـ تاج العروس ـ الزبيدي ـ طـدار صادر ـ بيروت ـ . 1966 ـ الناشر دار ليبيا ـ بنغازي .
- 99، \_ تاريخ الاسلام \_ حسن ابراهيم حسن \_ ط 9 \_ مكتبة النهضة. المصرية \_ القاهرة \_ 1975 م .
- 100 \_ تاريح الحضارة الاسلامية والمكر الاسلامي \_ أبو زيد شلبي \_ط 3 \_ 100 \_ . تاريح الحضارة القاهرة \_ 4 196 م .
- 101 ـ تاريخ الطبري ـ محمد بن جرير ـ تحق . محمد أبو الفضل ـ ط
   2 ـ دار المعارف ـ القاهرة
- 102 ـ تــاريخ مسلمـــي اسبـــانيا ـ دوزي ـ تر .حســن حبشي ـ دار المعارف ـ القاهرة .
- 103 ـ تاريخ العرب ـ فيليب حتى وآخرون ـ ط 4 ـ دار الكشاف ـ بيروت ـ 1965 م .
- 104 \_ تاريخ الشعبوب الاسلامية كارل بروكلهان تر . نبيه فارس والبعلبكي ـ ط 6 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1974 م .
- التبشير والاستعار \_ عصر فروخ والخالـدي \_ ط 3 \_ المكتبة
   العصرية \_ ببروت \_ 1964 م .
  - 106 \_ التواريخ الهجرية \_ اللواء محمد محتار باشا .
- 107 \_ تحديات أمام العروبة والاسلام \_ صابـر طعيمة \_ دار الجيل \_ بيروت \_ 1976 م .
- 108 \_ التفسير الكبير \_ فخر الـدين الــرازي ـ دار الفـكر ـ بــيروت ــ 1978 م .
- 109 <sub>| -</sub> تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ط 2 ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1970 م .

- 110 \_ غير المسلمين في المجتمع الاسلامي \_ يوسف القرضاوي \_ مكتبة
- وهبة \_ القاهرة . 111 \_ تفصيل آيات القرآن الحكيم \_ جون لابـوم \_ ط 1 \_ دار إحياء الكتب \_ مطبعة عيسي البابي الحلبي \_ القاهرة .

#### ثانياً : \_ الدوريات العربية

القاهرة	1 _ مجلة الأزهر
قطر	2 _ مجلة الدوحة
دمشق	3 _ محلة حضارة الاسلام
جامعة فارق الأول	4 _ عجلة كلية الآداب
مصر	
بغداد	5 _ محلة كلية الدراسات
	الاسلامية
البيضاء/ ليبيا	6 _ عجلة كلية اللغة
	العربية
القاهرة	7 _ مجلة لواء الاسلام
القاهرة	8 _ مجلة مجمع البحوث
	الاسلامية
دمشق	9 _ مجلة الجمع العلمي
	العربي
الكويت	10 _ مجلة عالم الفكر
بنغازي/ ليبيا	11'۔ مجلة عمر المختار
الكويت	1'2- مجلة العربي
القاهرة	13 _ مجلة الرسالة



#### ثالثاً: .. الكتب والدوريات الاجنية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- The World Book Encyclopedia Fiald Enterprises Educational Corporation U. S. A. 1964
- The American Educator Encyclopedia The United Educators, INC Tangley Oaks Education Center LAKEBLUFF, ILLINOIS U. S. A.
- 3. Orientalism Edward. W. SAID NEWYORK 1979.
- 4. The spread Of Islam MICHAEL ROGERS EL SEVER FHAIDOH.
- The Arabs In History LEWIS HARBER And Row Publishers. NEWYORK 1958.
- The Venture Of Islam MARSHALL HODGSON CHICAGO 1974.
- 7. Encycloped Britannica WILLIAM BENTOR Publisher U. S. A. 1974.
- 8. The Daily Advertiser PAUL HARVEY.
- Second Critique Of English Speaking Orientalists A. L. TIBAWI LONDON 1979.



### فهرس الموضوعات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفحة	الموضوع
11	المقدمة
17	غهيد
لدعوة الإسلامية 38 - 17	_ عالمية ال
لمستشرقين من الدعوة	ـ موقف ا
مية 38	الإسلا
غ الاستشراق	الفصل الأول : تاريخ
لاستشراق 53	_ مفهوم ا
ستشراق وتطوره 62	_ نشأة الا
لاستشراق 76	ـ دوافع ا
الاستشراق 89	_ أهداف
الاستشراق 96	_ وسائل
المستشرقين 102	ـ أصناف
ب انتشار الاسلام 115 - 165	الفصل الثاني: اسبار

- حالة العالم قبل الاسلام 117 - الحرب في الاسلام وأسباب انتشار هذا الدين 141
الفصل الثالث: آراء المستشرقين: عرض
ومناقشة 167 - 302 - عرض الآراء وتصنيفها 167
مناقشة الاتجاه الأول 179 - 234
ـ الطابع الدفاعي لغزوات الرسول   186
_ المجابهة مع الفرس 196
ـ العنف في الحروب الاسلامية 199
<ul> <li>انتشار الاسلام بين السيف</li> </ul>
والاقناع 205
ــ الاسلام في افريقيا 218
ـ الاسلام في آسيا 222
ـ الاسلام في اوروبا وامريكا 229
مناقشة الاتجاه الثاني 235 - 264

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by	Tiff Combine -	(no stamps are appli	ied by	registered	version)

	235	ـ نظرة الاسلام الى المال ـ الجزية وأثرها في اعتناق
	256	ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
286	- 265	مناقشة الاتجاه الثالث
	265	ـ المسيحيون في العهد العثماني والتشكيك في سبب اسلامهم .
		ــ الحاجة الى الزواج وأثرها
		في اعتناق الاسلام
		ـ بين القومية والدين
	284	ـ بين الدين والدولة
302	- 287	مناقشة الاتجاه الرابع
	287	ـ الجهاد وظروف العصر
	291	ـ الجهادوميثاق الأمم المتحدة
	295	_ الجهادوإعلان حقوق الانسان
	303	ـ شهادات المنصفين من المستشرقين

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

307	 		الخاتمة
311	 - 1 1 .	المسادر	فع س



